طرائف ونوادر

من عيون التراث العربي

الكتاب الأول

تصنيف

الدكتور نايف محمود معروف

دار النفائس

المحتويات

تَمهيد

إنَّ الدارس للأدب العربي يجدهُ بستاناً متعدّد الألوان بأغراضه ، متنوّع الثمارِ بموضوعاته ، ممثِّلاً النشاط الإنساني بجميع أشكاله . فيه الجِدّ في موضع الجدّ ، كما فيه الهزلُ في موضع الهزلِ ، فلكلّ مقامٍ مقال ، كما أنّ لكلّ زمانٍ لبوساً وأحوالاً .

وإذا كان الباحثون المُحدثون قد أتحفوا القرّاء بكلّ جميلٍ في حقول الأدب المختلفة ، فإنّ الاهتمام باللون الباسم منه كان محدوداً . مع أنّ العديد من أكابر السلف قد رصّعوا كثيراً من مؤلّفاتهم بالأخبار الضاحكة ، والطرائف الممتعة ، والمُلَح العَذْبة ، والنوادر الشيّقة ؛ وآخرين منهم رصدوا بعض تصانيفهم للنوع الضاحك منه فحسب .

وهنا ، يجدر بنا أن نميّز بين نوعين من هذا الفنّ الأدبي : نوعٍ يستهدفُ واضعهُ طلبَ اللذّةِ والاستمتاع ليس غير ، ونوعٍ آخر تكون المِتْعةُ فيه مُجدية ، والفُكاهةُ فاكهة ، والمَزْحةُ نافعة .

وإذا كان النشاط الإنساني يتجدّد بالفُكاهة والضحك ، والإنسان يميلُ بطبعه إليهما لأنه لا يحتمل الجِدّ المتواصل ، فلا يعني ذلك أن تتحوّل سيرتُه مُزاحاً خالصاً وهزلاً دائماً .

والترويحُ عَن النفس من أعباء الحياة وهمومها لا يتناقض مع الحرص على

المُروءة ، إذ لم ينجُ من هذه المواقف أكثر الفئات جِديّةً ووَقاراً في المجتمع الإسلامي . فبعضُ القضاةِ والفقهاء والمحدّثين والأدباء كان لهم نصيبٌ ـ قلَّ أو كَثُر ـ في هذا المجال .

ولعلّ إقبال هذه الجماعات من أفاضل المسلمين على هذا اللون الأدبي ، إنّما كان بعد أن أدركوا أنّها من الأمور المُباحة . فقد رُوي عن الرسول ﷺ أنّه قال : « روّحوا القلوب ساعة بعد ساعة ، فإنّ القلوب إذا كَلّت عَميت »[1] . كما كان يمزح مع أصحابه ويُداعبهم . وقيل لسُفيان الثوري : المُزاح هُجْنَة ؟ فقال : بل سنّة ، لقوله ﷺ : « إنّي لأمزح ولا أقول إلّا حقّاً »[2] . ولكنّه ﷺ مع ذلك ، حذّرنا من مُزاحٍ « يذهبُ ببهاء المؤمن ويُسْقِطُ مُروءته ويجرُّ غضبه »[3] .

أمّا ذكرُ النساءِ في الشعر فلم يجد العلماءُ فيه حرجاً . فقد ذكر ابن هشام أنّ كعب بن زهير أنشد النبي لاميته الشهيرة في مسجد المدينة[4] . ويقول الوشّاء في مُوشّاه أنّ النبي ﷺ كان يدعو الناس الى الاستماع لشعر حسّان وهو يشبّب في قصائده ، وأنّ كعب بن زهير كان يُنشد للنبي ﷺ في مسجده :

بانَت سُعادُ فقلبي اليومَ مَتْبولُ ... مُتَيَّمٌ إثْرَها لم يُفْدَ مَكْبُولُ[5]

ويمدح النبي في قصيدته هذه ، والنبيّ يُومِىء إلى الناس أن اسمعوا شعره . ويضيف قائلاً : ولو كان ذِكْرُ النساءِ في الشعر مُنكراً لكان النبي ﷺ أوّل مَن أنكره[6] .

وجاء في الأخبار أنّ ابن عبّاس سأل عمر بن أبي ربيعة أن ينشده شيئاً من شعره ، فأنشده قصيدته الغزلية الشهيرة :

أمِنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبْكِرُ ... غَداةَ غَدٍ أمْ رائِحٌ فَمُهَجِّرُ

(١) الغزّي : المراح ، ص ١٢ . النويري : نهاية الأرب ، ٤ / ١ . كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، الحديث ١٤٠٠ .
(٢) الثعالبي : لطائف ، ص ٥٧ . وراجع التاج الجامع للأصول ٥ / ٥٦ .
(٣) الأصبهاني : محاضرات ، ١ / ٢٨١ .
(٤) ابن هشام : سيرة ، ٤/١٠٩ .
(٥) متبول : أسقمه الحبّ وأضناه . متيّم : ذليل مستعبد . مكبول : مقيّد .
(٦) الوشّاء : الموشّى ، ص ١٥٢ .

حَتّى أتمّها ، وهي ثمانون بيتاً ، وحفظها من ساعته[1] .

أما أصحاب رسول الله ﷺ فقد ساروا على سنّته ، فكانوا يمزحون حتى بحضرته . وسُئل النخعي : هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون ؟ قال : نعم ، والإيمان في قلوبهم مثل الجبال الرواسي[2] .

وهذا عمر بن الخطّاب (رض) الذي شُهر بِجدّه ووَقاره يسمع ضوضاء في دارٍ فيقول : ما هذه الضوضاء ؟ فقيل له : عُرس ، فقال : فهلّا حرّكوا غَرابِيلهم ، يعني : الدُّفوف[3] .

وهذا عبد الله بن عمر (رض) يُمازح مولاةً له فيقول لها : خلقني خالقُ الكرامِ وخلقكِ خالق اللئامِ ، فتغضبُ وتصيحُ وتبكي ، ويضحكُ عبد الله ويقول لها : لا عليكِ فإن الله تعالى هو خالق الخير والشرّ[4] .

أمّا عليّ (رض) فقد نُسب إليه أنّه قال : « المزحُ في الكلام كالملحِ في الطعام »[5] .

وكان نعيمان بن عمرو بن رفاعة بن الحارث (وهو من أهل بدر) أولع الناس بالمزاح عند رسول الله ﷺ ، وكان يُكثر الضحك . فقال رسول الله ﷺ « يدخل الجنّة وهو يضحك »[6] .

وإذا كان المزاح في الكلام كالملح في الطعام ، فلا ننسى أنّ كثرة الملح تُفسد الطعام ؛ وكذلك الحال عند الإفراط في المزاح ، حين يصبح نوعاً من المجون والاستهتار . ومن هنا دعا بعضهم إلى الاقتصاد فيه كي لا يصبح في أبواب العبث اللاهي الذي يُفسد الفتيان والمتأدّبين .

وكان أبو عثمان الجاحظ سيّداً في هذا الباب ، فدافع عنه وردّ على مَن عابه عليه ، مُستشهداً بما فعله العلماء الذين كتبوا كُتُبَ الظُّرفاءِ والمُلَحاءِ ،

---

(١) المبرد : الكامل ، ٣/ ٩٦٤ .
(٢) الغزّي : المراح، ص ٢٤ .
(٣) ابن الجوزي : سيرة ، ص ١٧٥ .
(٤) ابن الجوزي : الأذكياء، ص ٢٣ .
(٥) الثعالبي : لطائف، ص ٥٧ .
(٦) ابن أبي الحديد: الشرح، ٣٣١/٦ .

وكُتُبَ الملاهي والفكاهات ، ولم يجدوا حرجاً في ذلك[1] .

وهذا الخطيب البغدادي يضع للضحك قواعد وللمُزاح أحكاماً ، ينبغي الالتزام بها والمحافظة عليها ، وذلك حين يقول : « وللضحك موضعٌ وله مِقدار ، وللمُزاح موضعٌ وله مقدار ، متى جازهما أَحد وقصّر منهما أَحد ، صار الفاضل خَطَلاً والتقصير نقصاً ، فالناس لم يعيبوا الضحك إلاّ بقَدْرٍ ، ولم يعيبوا المزحَ إلاّ بقَدْر ، ومتى أُريد بالمزح النفعُ ، وبالضحك الشيءُ الذي له جُعل الضحكُ ، صار المزحُ جِداً والضحكُ وقاراً »[2] .

ومهما قيل في هذا الباب ، فإنّ هذه الحكايات والنوادر واللطائف لا يجوز أَن تُؤخذ على محمل الأخبار الصادقة ، إلاّ إذا كانت لذوي الفضل من المسلمين ، تؤكّدها وترفع منزلتها تلك المصادر التي جاءت على ذكرها ؛ لأنّ الحاكي للنادرة أو الراوي للطُّرفة قد يتجنّى على الحقيقة ، لا لشيءٍ إلاّ لمزيدٍ من التفكهة و إضحاك السامعين واسْتِلالِ إعجابهم بما يسمعون .

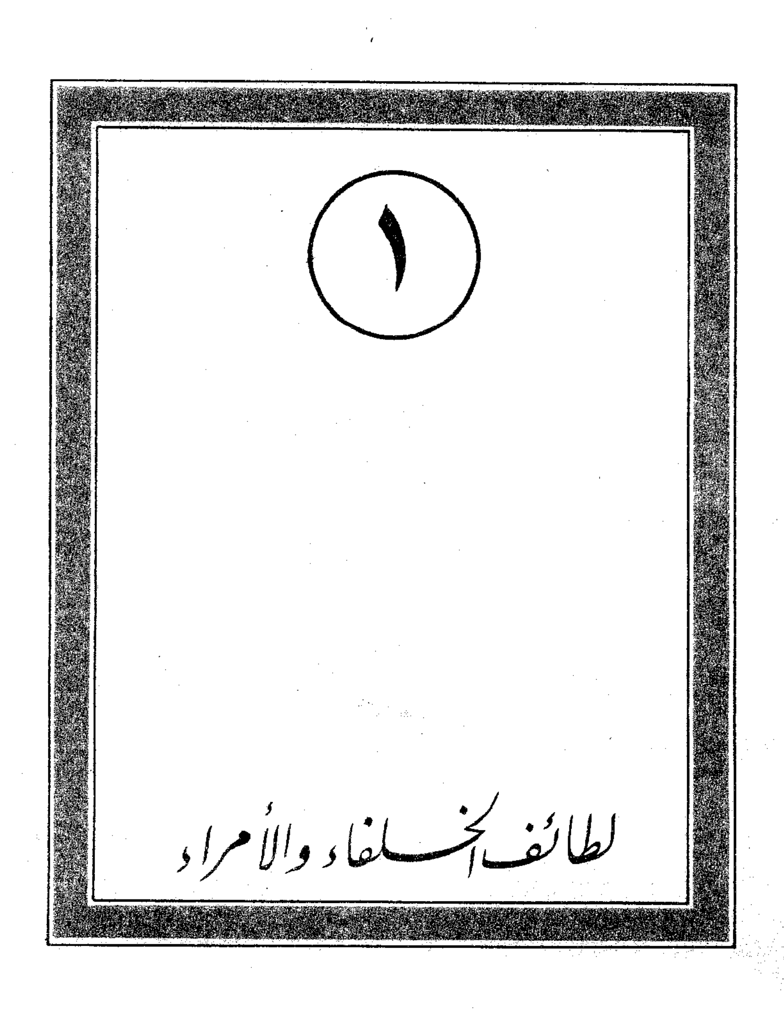
أَمّا الخطّة التي سلكتها في إعداد هذا الكتاب فهي أَنّي رجعتُ الى عشراتٍ من أُمّهات الكتب في : الأدب والظرافة والأخبار ، لأرصد نوعاً معيّناً من النوادر والطرائف والمُلَح . فجمعتُ ما كان : طريفاً في ذاته ، نادراً في بضاعته ، شيّقاً عند قراءته ، عفيفاً في لفظه ، جميلاً في مبناه ومعناه ، نافعاً في غرضه وموضوعه . يقرؤه الرجل وتقرؤه المرأة دون أن يجد أيّ منهما حرجاً في الاستمتاع بمضامينه . إنّه الأدبُ الذي ترتاحُ اليه النفس ، ويتغذّى به العقل ، وتسمو به العاطفة ، ويستقيمُ معه اللسان العربيّ .

وقد اقتصر دوري في هذا الكتاب على رَصْدِ بضاعته ، وجمعها وشرح غريبها ، ووضع عناوين لهذه الروائع الأدبية ؛ ثم تصنيفها في موضوعاتها وأبوابها ، دون أن أتدخّل في ألفاظها وحروفها وأساليب سردها ؛ وذلك حرصاً منّي في الإبقاء على نَكْهَتِها الأصيلة ، ومحافظة على بيئتها اللغوية الحضارية ، لتعود بقارئها الى أجواء عصور أصحابها ـ رُوحاً وثقافةً وإنساناً .

---

(١) الجاحظ : الحيوان، ١/٢٥ .

(٢) الخطيب : البخلاء، ص ٧ .


١
لطائف الخلفاء والأمراء

هلّا قلتَ !

قيل : إنّ أبا بكر (رض) رأى رجلاً بيده ثوب ، فقال له : هو لِلْبَـيْع ؟ فقال الرجل : لا أصلحكَ اللَّهُ ! فقال الصدّيق : هلّا[1] قلتَ : لا ، وأصلحكَ اللَّهُ ، لئلّا يشتبه الدعاءُ لي بالدعاء عليّ !

(الثعالبي : لطائف ، ص ٢٧)

* * *

كما نُسب لعمر (رض) الكثير من ظريف القول ومليح الحديث ممّا يصلح أن يصنّف في هذا الباب ، منه :

أسأتَ النقد

رأى عمر (رض) أَعرابياً يصلّي صلاةً خفيفةً ، فلمّا قضاها قال : اللهمَّ ،

---

(١) هلّا : كلمة تحضيض مركّبة من هَلْ وَ لا . فإن دخلت على الماضي كانت لِلَّوْم ، وإن دخلت على المضارع كانت للحثّ على الفعل ، نحو « هلّا تؤمن ! » .

زوّجني الحُور العِين[1] ، فقال له : لقد أسأتَ النقدَ[2] وأَعظمتَ الخِطْبة .

(ابن أبي الحديد : الشرح ، ١٢/ ٩)

* * *

أَدرك قومكَ !

يُقال : إنّه أقبلَ رجلٌ على عمر بن الخطّاب (رض) فقال : ما آسمك ؟ فقال الرجل : شِهاب بن حرقة . قال : مِمّن ؟ قال : مِن أهل حرّة النار . قال : وأين مسكنكَ؟ قال: بذاتِ لَظَى[3]. فقال له (رض) : أَدْرِكْ قومكَ فقد احترقوا . فكان كما قال .

(العاملي : الكشكول ، ص ١٦٧)

* * *

أبو عيسى ضربني !

ونظر عمر (رض) إلى جاريةٍ له سوداء تبكي فقال : ما شأنُكِ ؟ قالت : ضربني ابنكَ أبو عيسى . قال : أَو قد تَكنَّى[4] بأبي عيسى ! عليّ بـه . فأَحضروه ، فقال : وَيْحَكَ[5] ! أكانَ لعيسى[6] أبٌ فتكنّي به ! أَتَدري ما كُنَى العرب ! أَبو سَلْمة ، أبو طَلْحة ، أبو حَنْظَلة ، ثمّ أدّبَهُ .

(ابن أبي الحديد : الشرح ، ١٩/ ٣٦٨)

* * *

---

(١) الحور العين : نساء الجنَّة .
(٢) أساتَ النقد : أقللتَ المَهْر .
(٣) ذات لظى : اسم موضع .
(٤) تَكَنّى : تَسمَّى .
(٥) وَيْح : كلمة تعجّب .
(٦) يشير لعيسى عليه السلام .

الصبيّ الذي أسكت عمر !

اجتاز عمر (رض) بصبيانٍ يلعبون ، فهربوا إلّا عبد الله بن الزُّبَيْر[1] ، فقال له عمر : لِمَ لم تفرّ مع أصحابكَ ؟ قال : لم يكن لي جُرْمٌ فأفِرَّ منكَ ، ولا كان الطريقُ ضيّقاً فأوسّعَ عليك !

(الزمخشري : ربيع الأبرار ، ص ٦٦٢)

* * *

عمر يقبّل وجه عليّ

استعدى رجلٌ على عليّ بن أبي طالب عليه السلام عمرَ بن الخطَاب (رض) وعليّ جالسٌ ، فالتفت إليه فقال : قُم يا أبا الحَسن فاجلس مع خَصْمِكَ . فقام فجلس معه وتناظرا ، ثمّ انصرف الرجل ورجع عليّ إلى محلّه ، فتبيّن عمرُ التغيُّرَ في وجهه فقال : يا أبا الحسن، ما لي أَراكَ متغيّراً ! أكرهتَ ما كان ؟ قال : نعم . قال : وما ذاكَ ؟ قال : كنّيتني بحضرة خصمي ، هلّا قلتَ : قُم يا عليّ فاجلس مع خصمكَ ! فاعتنق عمرُ علياً وجعل يقبّل وجهه وقال : بأَبي أنتم ! بكم هدانا اللّهُ ، وبكم أَخرجنا من الظُّلمات إلى النور .

(ابن أبي الحديد : الشرح ، ١٧/ ٦٥)

* * *

(١) عبد الله بن الزبير (١هـ/٦٢٢م - ٧٣هـ/٦٩٢م).
هو عبد الله بن الزبير بن العوّام القرشي الأسدي : بُويع له بالخلافة سنة ٦٤هـ ، بعد موت يزيد ابن معاوية ، وكانت له مع الأمويّين وقائع هائلة ، حتّى سيّروا إليه الحجّاج بن يوسف الثقفي ، وقضى عليه (الزّركلي : أعلام، ٤/ ٨٧).

حُذَيْفة يُداعب عُمر !

رُوي عن سيّدنا عمر (رض) أنّه لقي حُذَيْفة بن اليَمان[1] فقال له : كيفَ أَصبحتَ يا حُذيفة ؟ فقال : أصبحتُ أُحبُّ الفِتنةَ وأكرهُ الحقَّ وأصلّي بغير وضوءٍ ، ولي في الأرض ما ليس للّه في السماء . فغضب عمرُ غضباً شديداً ، فدخل عليّ ابن أبي طالب (رض) فقال له : يا أميرَ المؤمنين ، على وجهكَ أثرُ الغضب! فأخبره عمر بما كان له مع حُذَيْفة . فقال له : صدقَ يا عمر ، يحبّ الفتنة ، يعني المال والبنين ، لأنّ اللّه تعالىٰ قال : ﴿ إنَّما أَمْوَالُكُم وَأَوْلَادُكُم فِتْنَةٌ ﴾[2] . ويكرهُ الحقَّ ، يعني الموتَ . ويصلّي بغير وضوء ، يعني أنّه يصلّي على النبيّ بغير وضوء في كلّ وقت . وله في الأرض ما ليس للّه في السماء ، له زوجةٌ وولدٌ وليس للّه زوجةٌ وولدٌ . فقال عمر : أصبتَ وأحسنتَ يا أبا الحسن ، لقد أَزلتَ ما في قلبي على حذيفة بن اليّمان .

(العاملي : المخلاة ، ص ١٢)

* * *

أعرابي أَبْكَى عمر !

قيل : إنّ أَعرابيّاً وقف على عمر بن الخطّاب فقال :

يـا عُمَرَ الخَيْـرِ جُزيتَ الْجَنَّـهْ　　أُكْسُ بُـنَـيّـاتِـي وأُمَّـهُـنَـهْ
وكُنْ لَنـا في ذا الـزَّمـانِ جُنَّـهْ[3]　　أُقْـسِـمُ بِـالـلّهِ لَـتَـفْـعَـلَنَّـهْ

---

(١) حُذَيْفَة بن اليَمان (. . . ـ ٣٦هـ/٦٥٦م) .
هو حُذَيْفَة بن حِسل بن جابر العبسي ، واليمان لقب حِسل ، كان صاحب سرّ النبيّ (ص) في المنافقين ، لم يعلمهم أحدٌ غيره (الزركلي : أعلام ، ٢/١٧١) .

(٢) التغابن/١٥ .

(٣) جُنّة : سِتْر ، وقاية .

فقال عمر : وإنْ لم أَفعلْ يكونُ ماذا ؟

قال : إذاً أَبا حَفْصٍ لأَمْضِيَنَّهْ[1] .

فقال : فإنْ مَضَيْتَ يكونُ ماذا ؟

قال :

والـلَّهِ عَـنْـهُـنَّ لَـتُـسْـأَلَـنَّـهْ يـومَ تكـونُ الأُعْـطِيـاتُ مِنَّـةْ[2]
ومَـوْقِـفُ الْـمَـسْـؤُولِ بَـيْـنَـهُـنَّـهْ إمَّـا إلـى نـارٍ وإمَّـا جَـنَّـةْ

فبكى عمرُ حتّى اخْضَلَّتْ[3] لحيتُهُ ، ثمّ قال لغلامه : يا غـلام ، أعطه قميصي هذا لذلك اليوم ، لا لشعره . واللّهِ ، لا أَملكُ غيره .

(ابن الجوزي : سيرة ، ص ١٦٦)

* * *

أخلاق الخادم والمخدوم

روى عبـد الله بن طاهر (من خاصّة المأمـون) أنّه كـان عنده يـوماً ، فنادى الخادم قائلاً : يا غلام . . . فلم يُجبه أحد . . . ثمّ كرّر النداء ، فدخل غلامٌ تركي وقال في حِدّة :

ـ أفما ينبغي للغلام أن يأكل ويشرب . . . كلّما خرجتُ من عندك تصيح يا غلام . . فنكَسَ المأمون رأسه ، ولـم يشكّ عبد الله بن طاهـر بأنّ الخليفـة سيأمر بضرب عنق الغلام ، لكنّه رفع رأسه وقال : يا عبد الله ، إنّ الرجل إذا حَسُنت أخـلاقه سـاءت أخلاق خَـدَمه ، وإذا سـاءَت أخلاقـه حَسُنت أخلاق خَدَمه ، وإنّا والله لا نستطيع أن نسيء أخلاقنا لتحسن أخلاق خدمنا .

(العابدي : أنيس الجليس، ص ٤٢)

* * *

(١) أمضي : أذهب. (٢) المنّه : الإحسان. (٣) اخضلّت : ابتلّت.

البلاغة سبب في الحرمان

كتب بعضهم إلى المنصور كتاباً حسناً بليغاً يَسْتَمْنِحهُ[1] فيه . فكتب إليه المنصور : البلاغة والغِنى إذا اجتمعا لامرئٍ أبطراه ؛ وأميـر المؤمنين مُشفِقٌ عليك من البطر ، فاكتفِ بأحدهما !

(العسكري : الصناعتين ، ص ١٦)

* * *

بين معاوية وعَقيل بن أبي طالب

قال معاوية[2] يوماً لأهل الشام ، وعنده عَقيل بن أبي طالب[3] : هل سمعتم قول اللّه عزَّ وجلَّ : ﴿ تَبَّتْ يَدا أبي لَهَبٍ[4] وَتَبَّ . مَا أَغْنَى عَنْهُ مالُهُ وَمَا كَسَب ﴾ . قالوا : نعم . قال : فإنَّ أبا لَهَب عمٌّ هذا الرجل ، وأشار إلى عَقيل . فقال عَقيل : يا أهلَ الشام ، هل سمعتم قولـه تعالى : ﴿ وآمْـرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَب . في جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ﴾[5] . قالوا : نعم . قال : فإنَّها عمَّة هذا الرجل ، وأشار إلى معاوية .

(التنوخي : المستجاد ، ص ٣٩)

* * *

قبّحه الله !

استعمل معاوية عاملاً من قبيلة كَلْب ، فخطبَ يوماً ، فذكر المجوس[6]

---

(١) يستمنح : يطلب عطاءً .

(٢) معاوية (٢٠ ق هـ / ٦٠٣ م ـ ٦٠ هـ/ ٦٨٠ م) .
هومعاوية بن أبي سُفيان القرشي الأُموي ، مؤسس الخلافة الأموية في الشام . (الزركلي : ١٧٢/٨) .

(٣) عَقيل بن أبي طالب (. . . . ـ ٦٠هـ/ ٦٨٠م) .
هوعقيل بن عبد مَناف (أبي طالب) أخو «عليّ» و«جعفر» لأبيهما . (الزركلي : أعلام ، ٥ /٣٩) .

(٤) أبو لهب (. . . . ـ ٢هـ/ ٦٢٤م) .
هو عبد العُزّى بن عبد المطّلب بن هاشم ، من قريش ، عمّ رسول الله ﷺ ومن أشدّ الناس عداوةً للمسلمين في الإسلام . وفيه نزلت الآية : ﴿تبّت يدا أبي لَهَبٍ وَتَب . . . ﴾ . (الزركلي) .

(٥) تبّت : خسرت وهلكت. جيدها: عنقها . من مَسَد: من نار .

(٦) المجوس: ناس من الأعاجم كانوا يعبدون النار.

فقال : لَعنهم الله ! ينكحون(1) أمّهاتِهم ، والله لو أُعطيتُ عشرة آلاف درهم ما نكحتُ أمّي . فبلغ ذلك معاوية فقال : قبّحه اللّه ! أَتَرَوْنَهُ لو زادوه فعلَ ! وعزله .

(ابن أبي الحديد : الشرح ، ١٨/ ١٦٦)

* * *

الكلمة بمثلها !

قيل : إنّ شَريك بن الأعور دخلَ على معاوية ، وكان رجلاً دميماً ، فقال له معاوية : إنّك لدميمٌ والجميلُ خيرٌ من الدميم ، وإنّك لَشريك وما للّه من شريك ، وإنّ أباك لأعور والصحيح خيرٌ من الأعور ، فكيف سُدْتَ قومكَ ؟ فقال له : إنّك لمعاوية ، وما معاويةُ إلاّ كلبةٌ عَوَتْ فآستعوت الكلاب ، وإنّك ابن صَخْرٍ والسهلُ خيرٌ من الصخر ، وإنّك لابنُ حربٍ والسِّلمُ خيرٌ من الحرب ، وإنّك لابن أُميَّة وما أُميّة إلاّ أَمَةٌ(2) فَصُغِّرت ، فكيف أصبحتَ أمير المؤمنين ؟ ثمّ خرج من عنده وهو يقول :

أَيَشْتُمُني مُعَاوِيَةُ بنُ حَرْبٍ ... وسَيْفِي صارِمٌ(3) ومَعي لِساني ؟
وَحَوْلِي مِن بَني قومي لُيُوثٌ ... ضَراغِمَةٌ تَهُشُّ إلى الطِّعانِ(4)
يُعَيِّرُ بالدَّمامَةِ مِن سَفاهٍ ... وربّاتُ الخُدور مِن الغَواني(5)

(الزمخشري : ربيع الأبرار ، ص ٦٩٩)

* * *

---

(1) ينكحون : يتزوّجون .
(2) أمَة : جارية .
(3) صارم : قاطع .
(4) ليوث : آساد . ضراغمة : آساد . تهش إلى الطعان : تسرّ وتضحك عند القتال .
(5) الدمامة : القُبح . سفاه : جهل وطَيْش . ربّات الخدور : ساكنات الخدور ، والخِدْر : ما يُفرد للجارية من السكن . الغواني : النساء المتزوّجات . يريد أن يقول : إنّ القُبح ليس بعيبٍ في الرجال ، وإنّ الجمال من خصائص النساء .

ماذا بعد !

حُكيَ عن سليمان بن عبد الملك[1] أنّه قال : قد ركبنا الفارِه[2] ،وتَبطّنا[3] الحسناء ، ولبسنا اللَّيْن[4] ، وأكلنا الطيّب حتّى أَجِمْنَاهُ[5] ، وما أنا اليوم إلى شيءٍ أحْوَجُ منّي إلى جليسٍ يضعُ عنّي مؤونة التحفُّظ ويحدّثني بما لا يمجُّه[6] السمع ويطرب إليه القلب .

(التوحيدي : الإمتاع ، ١/ ٢٧)

* * *

أعجبه جماله !

وقيل إنّه (سليمان بن عبد الملك) خرج من الحمّام يريد الصلاة ونظر في المرآة فأعجبه جماله ، وكان حسن الوجه ، فقال : أنا الخليفة الشاب ، فلقيته إحدى جواريه ، فقال : كيف تَرَيْنَني ؟ فتمثّلت :

ليس فيما بَدا لنا فيكَ عَيْبٌ ... عابَهُ الناسُ غيرَ أنّك فانِ
أنتَ نِعْمَ المتاعُ لو كنتَ تبقى ... غيرَ أنْ لا بَقاءَ للإنسانِ

ورجع فَحُمَّ[7] ، فما باتَ تلك الليلة إلا مَيْتاً .

* * *

---

(١) سليمان بن عبد الملك (٥٤هـ/٦٧٤م - ٩٩هـ/٧١٧م) .
هو سليمان بن عبد الملك بن مروان ، الخليفة الأموي . وليَ الخلافة يوم وفاة أخيه الوليد ٦٩هـ /٦٨٨م . (الزركلي : أعلام ، ٣/١٩٢) .
(٢) الفاره من الدواب : النشيط ، القويّ .
(٣) تبطّنا الحسناء : تزوجّنا النساء الجميلات .
(٤) اللّيْن من الثياب : الرقيق ، الناعم .
(٥) أجمناه : كرهناه .
(٦) يمجّه السمع : يقذفه ويستكرهه ، وهذه العبارة على سبيل الاستعارة .
(٧) حُمّ : أصابته حُمّى المرض .

هشام وأبو النجم

أرِق هشامٌ[1] ليلةً فقال لحاجبه : ابْغني رجلاً عربياً فصيحاً يُحادثني ويُنشدني ، فطلبَ له ما طلب ، فوقفَ على (أبي النجم)[2] ، فأتى . فلمّا دُخِلَ به إليه قال : أين تكونُ منذ أقصيناكَ[3] ؟ قال : بحيثُ أَلْفَتْنِي[4] رُسُلُكَ . قال : فمن كان أبا مَثْوَاكَ[5] ؟ قال : رَجُلَيْن : كَلْبيّاً وَتَغلبيّاً[6] ، أتغدّى عند أحدهما وأتعشّى عند الآخر . فقال له : مالكَ من الولد ؟ قال : ثلاث بناتٍ وبُنيّ ، فقال له : هل أخْرَجْتَ مِن بناتِك ؟ قال : نعم ، زوّجتُ اثنتين وبقيت واحدةٌ تَجْمِزُ[7] في أبياتنا (بيوتنا) كأنّها نعامةٌ ، قال : فما وصّيتَ به الأولى ؟ وكانت تُسَمَّى بَرَّة ، قال :

أَوْصَيْتُ مِن بَرَّةَ قلباً حُرّاً ... بالكلب خيراً والحماةِ شرّا
لَا تَسْأَمي ضرباً لها وَجَرّا ... حتّى يَرَوْا حُلْوَ الحياةِ مُرّا
وإن كَسَتْكِ ذَهباً ودُرّا ... والحَيَّ عُمِّيهم بشرٍّ طُرّا[8]

فضحك هشام وقال : فما قلتَ للأخرى ؟ قال : قلتُ :

---

(١) هشام بن عبد الملك (٧١هـ/٦٩٠م - ١٢٥هـ/٧٤٣م) .
هو هشام بن عبد الملك، الخليفة الأموي، أخو يزيد الثاني وخَلَفه. في عهده بلغت الخلافة الإسلامية أقصى اتساعها، إذ بلغت جيوش الفتح الإسلامي أبواب فرنسا. (الزركلي: أعلام، ٨٤/٩).
(٢) أبو النجم (٤٠هـ/٦٦٠ - . . . . .) .
هو الفضل بن قُدامة بن عبد الله ، من رُجّاز الإسلام الفحول المُقدّمين ، وفي الطبقة الأولى منهم (الأغاني : الأصفهاني ، ٧٣/٩) .
(٣) أقصيناك : أبعدناك .
(٤) ألفتني : وجدتني .
(٥) أبا مثواك : يقال لربّ البيت وربّة البيت اللذين ينزل بهما الضيف : هي أمّ مثواه وهو أبو مثواه .
(٦) أي : رجل من قبيلة كَلْب وآخر من قبيلة تَغْلب .
(٧) تجمز : تركضُ وتسرع .
(٨) أي : اجعلي شرّك يعمّهم . طرًّا: جميعاً .

سُبِّي الحماةَ وابْهَتي عليها وإن رَنَتْ فازْدَلِفي إليها[1]
وأوْجِعِي بالفِهْر رُكْبَتَيْها ومِرْفَقَيْها واضْربي جَنْبَيْها[2]
لا تُخبري الدهرَ بذاكَ ابْنَيْها

فضحكَ هشامٌ حتّى بَدَتْ نواجِذُهُ[3] ثمّ قال : ما قلتَ في الثالثة وفي تأخير تزويجها ؟ قال : قلت :

كأنَّ ظَلاّمَةَ أختَ شَيْبانْ يتيمةٌ وَوالِداها حَيّانْ
الجِيدُ منها عُطُلٌ والآذانْ وليس في الرِّجْلَيْنِ إلاّ خَيْطانْ[4]
فهي التي يُذْعَرُ منها الشَّيْطانْ

فقال هشام لحاجبه : ما فعلتَ بالدنانير المختومة التي أمرتكَ بقبضها ؟ قال : ها هي عندي وَوَزْنُهَا خمسمائة ، قال : فادفعها إلى أبي النَّجْم لِيجعَلَها في رِجْلَيْ ظَلاَّمَةَ مكان الخَيْطَيْن .

(المبرد : الكامل ، ٣/ ٨١٩ . الأصفهاني : الأغاني ، ٩/ ٧٣)

* * *

آنستُهُ بخاتمي

قيل إنّ أبا العبّاس السفّاح[5] كان يوماً مشرفاً على صَحْنِ[6] داره ينظرها ومعه امرأته أُمّ سَلَمَة ، فَعبثَت بخاتِمِها فسقط من يدها إلى الدار ، فألقى السفّاحُ أيضاً خاتمه . فقالت : يا أمير المؤمنين ، ما أَردتَ بهذا ؟ قال :

(١) ابهتي عليها: يريد ابهتيها، فضمّنه معنى اكذبي. رنت: نظرت، التفتت. ازدلفي إليها: تقدّمي إليها .
(٢) الفهر : الحجر .
(٣) النواجذ: الأضراس .
(٤) الجيد : العنق . عُطُل : خالية من الحَلْي ، أي أنّ عنقها وأذنيها بغير زينة .
(٥) السفّاح (١٠٤هـ/٧٢٢م - ١٣٦هـ/٧٥٤م) .
هو أبو العبّاس عبد الله بن محمّد، أوّل خلفاء الدولة العبّاسية (الزركلي: أعلام، ٤/ ٢٥٧) .
(٦) صحن الدار: ساحتها أو وسطها .

خَشِيتُ أن يستوحشَ خاتمك فآنستُهُ بخاتمي غَيْرةً عليه لانفراده .

(الثعالبي : لطائف ، ص ٣٧)

* * *

الرشيد يطلب ابن الأحنف ليلاً

حُكي أنّ الرشيد[١] عمل في إحدى الليالي بيتاً من الشِّعر ، ورام أن يُشفعه[٢] بآخر فامتنعَ القولُ عليه فقال : عليَّ بالعبّاس بن الأحنف[٣] . فلمّا طُرِق عليه ذُعِر وفزع أهلُهُ ، فلمّا وقفَ بين يديّ الرشيد قال له : وجّهتُ إليكَ بسبب بيتٍ قلتُهُ ورُمْتُ أن أُشفعه بمثلِهِ فامتنَعَ القولُ عليّ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، دعني حتّى ترجع إليَّ نفسي فإنِّي تركتُ عيالي على حالٍ من القلق عظيمة ، ونالني من الخوف ما يتجاوز الحدّ والوصف ؛ فانتظر الرشيد هُنَيْهَةً[٤] ثمّ أنشده :

جَنانٌ[٥] قد رأيناها ... ولم نَرَ مثلها بشَرا

فقال العبّاس بن الأحنف :

يزيدُكَ وجهُها حُسْناً ... إذا ما زِدْتَهُ نَظَرا

فقال : زِدني ، فقال :

إذا ما الليلُ سال عَلَيْـ ... ـكَ بالإظلام واعْتَكَرا[٦]

وَدَجَّ[٧] فما ترى قَمراً ... فأَبْرِزْهَا تَرَ الْقمرا

---

(١) الرشيد (١٤٩هـ/٧٦٦م - ١٩٣هـ/٨٠٩م) .

هو هارون الرشيد بن محمد (المهدي) . خامس الخلفاء العبّاسيين وأشهرهم (الزركلي) .

(٢) رام أن يشفعه بآخر : أراد أن يُتبعه ببيتٍ آخر .

(٣) العباس بن الأحنف (. . . - ١٩٢هـ/٨٠٨م) .

هو العباس بن الأحنف بن الأسود الحنفي ، أمّه جارية . شاعر غزل رقيق ، أصله من اليمامة في نجد (الزركلي : أعلام، ٣/٢٥٩) .

(٤) هنيهة : مدّة قصيرة من الزمن .

(٥) جَنان : إحدى جواري الرشيد .

(٦) اعتكر الليل : اشتدّ ظلامه .

(٧) دجّ الليل : ازداد ظلمة .

فقال له الرشيد : قد ذَعَرْنَاكَ وَأَفزعنا عيالَكَ وأقلّ الواجب أن نُعطيكَ ديّتكَ ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

(ابن خلكان : وفيات ، ٣/ ٢٢)

* * *

الرشيد والبرمكيَّة

وحُكِيَ أنّ امرأةً دخلت على هارون الرشيد ، وعنده جماعةٌ من وجوه أصحابه فقالت : يا أميرَ المؤمنين ، أَقَرَّ اللّهُ عَيْنَكَ وفرّحكَ بما أعطاكَ ، لقد حكمتَ فقسطتَ . فقال : مَن تكونينَ أيّتها المرأة ؟ فقالت : مِن آلِ بَرْمَكَ ، مِمّن قتلتَ رجالهم وأخذتَ أموالهم . فقال : أمّا الرجال فقد مَضى فيهم قضاءُ اللّه ، وأمّا المالُ فمردودٌ إليكِ . ثمّ التفتَ إلى الحاضرين من أصحابه وقال : أتدرون ما قالت هذه المرأة ، فقالوا : ما نراها قالت إلّا خيراً ، قال : ما أظنّكم فهمتم ذلك . أمّا قولها : أقرَّ اللّه عينكَ ، أي أسكنها عن الحركة ، وإذا سكنت العين عن الحركة عميت . وأمّا قولها : وفرّحكَ بما أعطاكَ ، أخذته من قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً ﴾[1] . وأمّا قولها : حكمتَ فقسطتَ ، أخذته من قوله تعالى : ﴿ وأمَّا ٱلْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾[2] .

(التحفة الشهيّة ، ص ١٧٨)

* * *

المأمون والجارية

قيل : كان لهارون الرشيد جاريةٌ ، وكان المأمون[3] يميلُ إليها ، وهو إذ

(١) الأنعام /٤٤ . (٢) الجنّ/١٥ . القاسطون: الظالمون .

(٣) المأمون العبّاسي (١٧٠هـ/٧٨٦م - ٢١٨هـ/٨٣٣م) .

هو عبد الله بن هارون الرشيد . سابع الخلفاء من بني العبّاس في العراق . (الزركلي، ٤/٢٨٧).

ذاكَ أمْرَد[1] ، فوقفت يوماً تصبُّ علي يد الرشيد من إبريق معها ، والمأمون جالس خلف الرشيد ، فأشار إليها المأمون كأنّه يقبّلها ، فأنكرت ذلك بعينها ، وأبطأت في الصبِّ على مقدار نظرها إلى المأمون وإشارتها إليه . فقال الرشيد : ما هذا ! ضعي الإبريق من يدكِ ، فَفَعَلَتْ ، فقال : واللّه لئن لم تصدقيني لأعاقبنّك عقاباً شديداً . فقالت : يا سيّدي ، أشار إليَّ عبد الله (المأمون) كأنّه يقبّلني ، فأنكرتُ ذلك . فالتفت الرشيد إلى المأمون ونظر إليه كأنه ميّت ، لِمَا دخله من الجزع والخجل . فرحمه وضمّه إليه وقال : يا عبد الله ، أتحبّها ؟ قال : نعم ، يا أمير المؤمنين . قال : هي لكَ ، قم فآدخل تلك القبّة ، ففعل . فقال الرشيد له : هل قلتَ في هذا الأمر شعراً ؟ قال المأمون : نعم ، يا سيّدي ، ثمّ أنشد :

ظَبْيٌ كَتبتُ بِطَرْفي ... مِن الضميرِ إليْهِ[2]
قَبّلْتُهُ مِن بعيدٍ ... فاعْتَلَّ مِن شَفَتَيْهِ[3]
وَرَدَّ أخبثَ رَدٍّ ... بالكسرِ مِن حاجِبَيْهِ
فَمَا بَرِحْتُ مكانِي ... حتَّى قَدِرْتُ عَلَيْهِ

(القالي : الأمالي ، ١/ ٢٢٤)

* * *

المأمون وعمّه إبراهيم

وحُكي أنّ إبراهيم بن المهدي[4] دخل على الخليفةَ المأمون ، وكان

---

(١) الأمرد: الشاب قبل أن تنبت لحيته .
(٢) ظبي: غزال. طرفي: عيني .
(٣) اعتلّ من شفتيه : اعتذر بحركةٍ من شفتيه .
(٤) إبراهيم بن المهدي (١٦٢هـ/٧٧٩م - ٢٢٤هـ/٨٣٩م) .
هو إبراهيم بن محمّد (المهدي) ، أخو هارون الرشيد. أمّه جارية، وكان أسود حالك اللون (الزركلي : أعلام ، ١/ ٥٩) .

إبراهيم أَثْجَلَ البطن[١] ، كثير اللحم والشحم ، فقال له المأمون : بالله ، يا عمّ أَعَشِقْتَ قطّ ؟ قال : نعم ، يا أمير المؤمنين ، وأنا الساعة عاشق . قال : وأنت على هذه الجثّة والشحم الكثير ! ثمّ أنشأ المأمون يقول :

وجهُ الذي يعشقُ معروفُ ... لأنّه أصفرُ مَنْحُوفُ[٢]
ليسَ كَمَنْ أَمْسَى له جُثَّةٌ ... كأنّه للذّبحِ مَعْلُوفُ

فأجابه عمّه إبراهيم :

وقائلٍ لستَ بالمحبِّ ، ولو ... كنتَ محبّاً لَذُبْتَ مِن زَمَن
فقلتُ قلبي مُكَاتِمٌ بَدَنِي ... حُبّيَ ، فالحبُّ فيهِ مُخْتَزَنُ
أَحَبَّ قلبي ، وَمَا دَرَى بَدَنِي ... وَلَو دَرَى ما أَقَامَ في السِّمَنِ

(الوشّاء : الموشّى ، ص ٧٨)

* * *

ظبيٌ يصطاد أميرا !

وخرج المأمون يوماً ومعه أبيات قد قالها وكتبها في رقعةٍ بخطّه ، وهي :

خَرجتُ إلى صَيْدِ الظِّباء فَصَادَني ... هناكَ غزالٌ أَدْعَجُ الْعَيْنِ أَحْوَرُ[٣]
غزالٌ كأنَّ البدرَ حَلَّ جَبِينَهُ ... وفي خدّهِ الشِّعْرَى المُنِيرَةُ تَزْهَرُ[٤]
فصادَ فُؤادِي إذ رَمَاني بِسَهْمِهِ ... وَسَهْمُ غَزَالِ الإنْسِ طَرْفٌ وَمِحْجَرُ[٥]

(١) أثجل البطن : كبير البطن .
(٢) منحوف : ضعيف .
(٣) أدعج : دعجت العين : صارت شديدة السواد مع سَعتها ، فصاحبها أدعج . أحور : حورت العين : اشتد بياضُ بياضها وسواد سوادها فصاحبها أحور .
(٤) الشِّعْرى : كوكب يطلع في شدّة الحرّ .
(٥) طرف ومحجر : العين وما يدور بها .

فَيَا مَن رأى ظبياً يصيدُ، وَمَن رأى   أَخَا قَنَصٍ يُصطادُ قَهْراً وَيُقْسَرُ[1]

(النويري : نهاية الأرب ، ٥/ ١٣)

* * *

اسمه « لا أدري »!

ونظر المأمون إلى غلامٍ حَسَن الوجه في أحد المواكب فقال له : يا غلام ، ما اسمُكَ ؟ قال : لا أدري . قال : أويكون أحدٌ لا يعرف اسمه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، اسمي الذي أُعرف به « لا أدري » .

فقال المأمون :

وسُمِّيتَ «لا أدري» لأنَّكَ لَا تَدْرِي   بما فَعَلَ الحبُّ المُبَرِّحُ[2] في صَدْرِي

(ابن أبي الحديد : الشرح ، ١٩/ ٣٦٨)

* * *

يهوى القبيحة

حكى أحدهم قال : كنتُ عند الأمير عبد الله بن المعتزّ[3] ، وعنده قَيْنة[4] قبيحة الصورة ، فجعلتُ أتبرّمُ[5] بها ، وجعل يُظهر شغفاً بها وعشقاً لها ليغايظني بذلك . فلمّا اشتدّ غَيْظي منه خلوتُ به فقلتُ له : نَشَدْتُكَ اللّه أيّها الأمير ،

---

(١) القَنَص : المصيد . يُقسر : يُكره .

(٢) المبرّح : الشديد .

(٣) عبد الله بن المعتز (٢٤٧ هـ/ ٨٦١ م - ٢٩٦ هـ/ ٩٠٩ م) .

هو عبد الله بن محمد المعتزّ بالله، الشاعر المبدع ، خليفة يوم وليلة (الزركلي : أعلام ، ٤/ ١١٨) .

(٤) قينة : جارية .

(٥) أتبرّم : أتضجّر .

أعشقتها ؟ فقال مضاحكاً : نعم . فقلتُ : أَلَسْتَ ترى قُبح وجهها وسماجة[1] خَلْقها ! فارتجل :

قلبي وثّابٌ إلى ذَا وَذَا ... ليس يرى شيئاً فيأْباهُ[2]
يَهيمُ بالحُسْنِ كما ينبغي ... ويرحمُ القُبْحَ فيهواهُ

(الأزدي : بدائع ، ٣٤٥)

* * *

حِلْم الصادق وعفوه وإحسانه

رُوي أنّ غلاماً وقف يصبّ الماء على يدي جعفر الصادق[3] ، فوقع الإبريق من يد الغلام في الطَّسْتِ[4] ، فطار الرشاشُ في وجهه ، فنظر جعفر إليه مُغْضَباً ، فقال : يا مولاي ، ﴿ وَالْكَاظِمِينَ ٱلْغَيْظ ﴾[5] . قال : قد كظمتُ غَيْظي . قال : ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾[6] . قال : قد عفوتُ عنك . قال : ﴿ واللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنينَ ﴾[7] . قال : اذهب فأنت حرٌّ لوجه اللَّه تعالى .

(الأبشيهي : المستطرف ، ١/ ٢٦٠)

* * *

---

(١) سماجة : قبح .
(٢) وثّاب : كثير الوثوب والقفز . يأباه : يرفضه .
(٣) جعفر الصادق (٨٠هـ/٦٩٩م - ١٤٨هـ/٧٦٥م) .
هو جعفر بن محمّد (الباقر) بن علي (زين العابدين) بن الحسين بن عليّ (رض) ، الملقّب بـ « الصادق » . سادس الأئمة الاثني عشر عند الشيعة الإمامية . (الزركلي : أعلام ، ٢ /١٢١) .
(٤) الطست : إناء من نحاس لغسل الأيدي .
(٥) آل عمران / ١٣٤ .
(٦) آل عمران / ١٣٤ .
(٧) آل عمران/١٣٤ .

وأُتي مُصعب بن الزُّبَيْر[1] بأسارى من أصحاب المختار الثقفي[2] ، فأمر بقتلهم بين يديه ، فقام إليه أسيرٌ منهم فقال : أيّها الأمير ، ما أقبحَ بكَ أن أقومَ يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنة ووجهك المليح الذي يُستضاء به ، فأتعلّق بكَ وأقول : يا ربّ ، سَل مُصْعَباً فِيمَ قتلني ؟ فاسْتحيا مصعبٌ وأمر بإطلاقه . فقال : أيها الأمير ، اجعل ما وهبتَ من حياتي في خَفْضٍ وَدَعَةٍ[3] من العيش ، قال : قد أمرتُ لكَ بثلاثين ألف درهم . قال : أُشهدكَ أيّها الأمير أنّ شطر هذا المال لعبيد الله بن قيس الرقيّات[4] . قال : ولِمَ ذلك ؟ قال : لقوله :

إنّمـا مُصْعَبٌ شِهـابٌ مِن الـلَّه   تَـجَلَّت عـن وجـهِـهِ الـظلمـاءُ

فضحك مصعب وقال : اقبض ما أمرنا لكَ به ، ولابن قَيْس عندنا مثله . فما شعر عُبيد اللّه بن قيس إلَّا وقد وافاه المال .

(ابن رشيق : العمدة ، ١/ ٥٥)

* * *

---

(١) مُصْعَبْ بن الزُّبَيْر (٢٦هـ/٦٤٧م - ٧١هـ/ ٦٩٠م) .
هو مصعب بن الزبير بن العوّام بن خويلد الأسدي القرشي ، أحد الولاة الأبطال في صدر الإسلام (الزركلي : أعلام ، ٧/ ٢٤٧) .

(٢) المختار الثقفي (١هـ/٦٢٢م - ٦٧هـ/٦٨٧م) .
هو المختار بن أبي عُبَيْد بن مسعود الثقفي، أحد زعماء الثائرين على بني أُميّة.(الزركلي : أعلام ، ٧/ ١٩٢) .

(٣) في خفضٍ ودعة : في لينٍ وسَعَةٍ من العيش .

(٤) عبيد الله بن قيس الرقيّات (. . . - نحو ٨٥هـ/ ٧٠٤م) .
كان شاعر قريش في العصر الأموي . ولُقّب بابن قيس الرقيّات لأنّه كان يتغزّل بثلاث نسوة ، اسم كلّ واحدة منهن رقيّة (الزركلي : أعلام ، ٤/ ٣٥٢) .

حِلْم المهلّب

قيل : إنّ المُهَلّب بن أبي صُفْرة[1] مرَّ بحيٍّ مِن هَمْدان ، فرآه شابٌّ من أهل الحيّ فقال : هذا المهلّب ؟! فقالوا : نعم . قال : واللّهِ ، ما يساوي خمسمائة درهم . وكان المهلّب رجلاً أعور ، فسمعه المهلّب . فلمّا كان الليل أخذ خمسمائة درهم ، وأتى إلى الحيّ ، فأَرْقَبَ[2] الشاب إلى أن رآه ، فأتى إليه وقال : افتح حِجْرَكَ[3] ، ففتح الشاب حِجْره ، فسكب فيه الخمسمائة درهم وقال : خذ قيمة عمّك المهلّب ، واللّهِ ، يا بن أخي لو قَوّمتني بخمسة آلاف دينار لأتيتك بها . فسمعه شيخٌ من أهل الحيّ فقال : واللّهِ ، ما أخطأ مَن جعلكَ سيّداً !

(العاملي : المخلاة ، ص ٦٩)

* * *

حِلْم معن بن زائدة

تَذاكر جماعةٌ فيما بينهم أخبار مَعْن بن زائدة[4] ، وما هو عليه من وَفْرة الحِلمِ ولِين الجانب ، وأطالوا في ذلك، فقام أعرابيٌّ وآلى[5] على نفسه أن يغضبه ، فقالوا : إن قدرتَ على إغضابه فلك مائة بعير . فانطلق الأعرابي إلى

---

(١) المهلّب بن أبي صفرة (٧هـ/٦٢٨م - ٨٣هـ/٧٠٢) .
هو المهلّب بن أبي صفرة ظالم بن سراق الأزدي . أمير جواد، انتدب لقتال الخوارج الأزارقة ، فقتل كثيرين منهم وشرّد بقيّتهم في البلاد (الزركلي : أعلام ، ٣١٥/٧) .

(٢) أرقب: راقب وبحث .

(٣) الحجر: حضن الإنسان .

(٤) مَعْن بن زائدة (. . . - ١٥١هـ/٧٦٨م) .
هو معن بن زائدة الشيباني ، أبو الوليد. كان من أشهر أجواد العرب وأحد الشجعان الفصحاء (الزركلي : أعلام ، ٢٧٣/٧) .

(٥) آلى على نفسه : أي أقسم .

بيته ، وعمد إلى شاة له فسلخها ثم ارتدى بإهابها[1] ، جاعلاً باطنه ظاهره ، ثم دخل على مَعْنٍ بصورته تلك ، ووقف أمامه طافحَ[2] العينين كالخليع ، تارة ينظر إلى الأرض وتارة ينظر إلى السماء ، ثم قال :

أتذكرُ إذْ لِحافُكَ جلدُ شاةٍ وإذ نعلاكَ مِن جلدِ البعيرِ

قال مَعْن : أذكر ذلك ولا أنساه يا أخا العرب . فقال الأعرابي :

فسبحانَ الذي أعطاكَ مُلكاً وعلّمكَ الجلوسَ على السريرِ

فقال مَعْن : سبحانه وتعالى .

فقال الأعرابي :

فلستُ مُسلّماً ما عِشتُ حَيّاً على مَعْنٍ بتسليمِ الأميرِ

قال مَعْن : إنْ سلَّمتَ رددنا عليك السلام ، وإن تركتَ فلا ضَيْرَ[3] عليك .

فقال الأعرابي :

سأرحلُ عن بلادٍ أنتَ فيها ولو جارَ الزمانُ على الفقيرِ

فقال مَعْن : إن أقمتَ بنا فعلى الرَّحْب والسَّعَة ، وإن رحلتَ عنّا فمصحوباً بالسلامة . فقال الأعرابي وقد أعياه[4] حِلْمُ مَعْن :

فَجُدْ لي يا بن ناقصةٍ بمالٍ فإنّي قد عزمتُ على المَسيرِ

فقال مَعْن : أعطوه ألف دينارٍ . فأخذها وقال :

قليلٌ ما أتيْتَ بهِ وإنّي لأطمعُ منكَ بالمالِ الكثيرِ
فثنِّ فقد أتاكَ المُلْكُ عَفْواً بلا عقلٍ ولا رأيٍ منيرِ

---

(١) الإهاب : الجلد .
(٢) طافح العين : منتفخ العين .
(٣) لا ضير عليك : لا ضرر عليك .
(٤) أعياه : أتعبه .

فقال معن : أعطوهُ ألفاً ثانياً . فتقدّم الأعرابي إليه وقبّل يديه ورجليه وقال :

سألتُ الجُودَ أن يُبقيكَ ذُخْراً فما لَكَ في البريّة مِن نَظيرِ[1]
فمنكَ الجودُ والإفضالُ حقّاً وفَيْضُ[2] يديكَ كالبحر الغزيرِ

فقال مَعْن : أعطيناه على هجوهِ ألفين ، فأعطوه على مدحنا أربعة آلاف . فقال الأعرابي : جُعِلْتُ فداكَ ، ما فعلتُ ذلك إلّا لمائة بعيرٍ جُعِلَتْ على إغضابك . فقال مَعْن : لا خوفَ عليكَ ، ثمّ أمر له بمائتي بعيرٍ ، نصفها للرهان والنصف الآخر له . فانصرفَ الأعرابيّ داعياً شاكراً .

(اليافعي : مرآة الجنان، ١ / ٣١٧)

* * *

أبو العيال على مائدة زياد

رأى زياد[3] على مائدته رجلاً قبيح الوجه كثير الأكل ، فقال له : كم عيالكَ ؟ قال : تِسْع بناتٍ . قال زياد : أين هنّ منكَ ؟ قال الرجل : أنا أجمل منهنّ وهنّ آكَلُ منّي . قال زياد : ما أحسنَ ما تَلَطّفْتَ في السؤال[4] ، وفرض له وأعطاه .

(ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ٣/ ١٢٨)

* * *

(١) البريّة: الخلق . نظير: مثيل.
(٢) فيض: عطاء .
(٣) زياد بن أبيه (١هـ/٦٢٢م - ٥٣هـ/٦٧٣م) .
اخْتُلف في اسم أبيه ، فقيل : عبيد الثقفي ، وقيل : أبو سفيان . ولدته أمّه سميّة (جارية الحارث بن كلدة الثقفي) في الطائف . ألحقه معاوية بنسبه سنة ٤٤هـ ، فصار يُعرف بزياد بن أبي سفيان (الزركلي : أعلام ، ٣/٥٣) .
(٤) السؤال : طلب المساعدة .

كلّ مَنْ عايَب ابتلي!

وقال جعفريّ[1] يتغزّل وهو محبوس في السجن :

ولمّـا بَـدا لي أنّهـا لا تُحبّني وأنّ هَـواهـا ليس عنّي بمُنْجلي
تمنّيتُ أن تَهْـوَى سـوايَ لعلّهـا تذوقُ صباباتِ الهوى فتـرقَّ لِي
فمـا كان إلّا عن قليـلٍ وأُشْغِفَتْ بحبِّ غزالٍ أدعـجَ[2] الطّرْفِ أكحلِ
وعـذّبـهـا حتّى أذابَ فؤادَهـا وذَوَّقهـا طَعْمَ الهـوي والتـذلّـلِ
فقلت لهـا: هـذا بهـذا، فـأطـرقتْ حياءً، وقالت: «كلّ مَن عايبَ ابتلي»!

(ابن رشيق : العمدة ، ٢/ ١١٩)

* * *

غلامٌ يغلبُ ابن شعبة !

قال المغيرة بن شُعبة[3] : ما غلبني أحدٌ قطّ إلّا غلام من بني الحارث بن كَعْب ، وذلك أنّي خطبتُ امرأةً من بني الحارث ، وعندي شابٌ منهم ، فأصغى إليَّ ، فقال : أيّها الأميرُ ، لا خيرَ لكَ فيها . قلت : يا بن أخي ، وما لها ؟ قال : رأيتُ رجلًا يقبّلها . قال : فبرئتُ منها . فبلغني أنّ الفتى تزوّجها . فأرسلتُ إليه فقلت : أَلم تخبرني أنّك رأيتَ رجلاً يقبّلها ؟ قال : نعم ، رأيتُ أباها يقبّلها !

(ابن عبد ربّه : العقد ، ٦/ ١٠٢)

* * *

---

(١) هو عليّ بن عبد الله بن جعفر بن ابراهيم بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب .

(٢) أدعج الطرف: واسع العين على شدّة سواد سوادها .

(٣) المغيرة بن شُعبة (٢٠ق هـ/٦٠٣م - ٥٠هـ/٦٧٠م) .
هو المغيرة بن شُعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي . صحابيّ ، أسلم سنة ٥هـ ، وشهد الحديبية واليمامة وفتوح الشام ، وذهبت عينه باليرموك (الزركلي : أعلام ، ٢٧٧/٧) .

المغيرة يخطب بنت تسعين!

ومن طريف أخبار المغيرة أنّه ، وهو والي الكوفة ـ لمعاوية ـ سار إلى دير هند بنت النعمان بن المنذر[1] ، وهي فيه عَمْياء مترهّبة ـ على دين النصرانية ـ وكانت بنت تسعين سنة ـ فاستأذنَ عليها ، فقيل لها : أمير هذه المَدَرَة[2] بالباب ، فقالت : قولوا له أمِن وَلَدَ جَبَلَة بن الأَيْهَم[3] أنتَ ؟ قال : لا . قالت : أفمِنْ وَلَد المنذر بن ماء السماء[4] ؟ قال : لا . قالت : فمن أنتَ ؟ قال : المغيرة بن شعبة الثقفي . قالت : فما حاجتك ؟ قال : جئتكِ خاطباً . قالت : لو كنتَ جئتني لجمالٍ أو لمالٍ لأَطْلَبْتُكَ[5] . ولكنّك أردتَ أن تتشرّف بي في محافل العرب فتقول : نكحتُ ابنة النعمان بن المنذر ، وإلّا فأيُّ خيرٍ في اجتماع أعورَ وعمياء ! فبعث إليها ، كيف كان أمركم ؟ فقالت : سأختصر لكَ الجواب ، أمسينا مساءً وليس في الأرض عربيٌّ إلّا وهو يرغب إلينا ويَرْهَبُنا ، ثمّ أصبحنا وليس في الأرض عربي إلّا ونحن نرغب فيه ونَرْهَبُهُ ، ثمّ انصرف المغيرة .

(البرقوقي : دولة النساء ، ص ٢٩٩)

* * *

---

(١) النعمان بن المنذر (...ـ / ٥٩٥م) .

هو النعمان بن المنذر الغسّاني ، من ملوك الغساسنة في العصر الجاهلي الذين كانت مملكتهم في بادية الشام (الزركلي : أعلام ، ٣٨/٨) .

(٢) المدرة: المقاطعة، الإقليم .

(٣) جَبَلَة بن الأَيْهَم (... ـ ٢٠هـ/٦٤١م) .

هو جبلة بن الأيهم بن جَبلة الغسّاني ، آخر ملوك الغساسنة في بادية الشام . أسلم وهاجر إلى المدينة ، ثم ارتدّ فيها ، وخرج إلى بلاد الروم (الزركلي : أعلام ، ٢/ ١١٢) .

(٤) المنذر بن ماء السماء (٥١٤ ـ ٥٥٤م) .

أشهر الملوك المناذرة في مملكة الحيرة في العراق (الزركلي : أعلام ، ٢٩٥/٧) .

(٥) أطلبتك : أعطيتك ما تطلب .

النساء أربع والرجال أربعة

وكان المغيرة بن شعبة يقول : « النساء أربع والرجال أربعة : رجلٌ مذكّر وامرأة مؤنّثة ، فهو قوّام عليها . ورجلٌ مؤنّثٌ وامرأة مذكّرة ، فهي قوّامة عليه . ورجلٌ مذكّرٌ وامرأة مذكّرة ، فهما كالْوَعْلَيْن[1] ينتطحان . ورجلٌ مؤنّثٌ وامرأةٌ مؤنّثة ، فهما لا يأتيان بخيرٍ ولا يُفلحان .

(الأصفهاني : الأغاني ، ١٦/ ٨٧)

* * *

الوالي والجاني

روى الجاحظ عن بعضهم أنّ والياً أُتِيَ برجلٍ جَنى جنايةً فأمر بضرب رأسِهِ . فلمّا مُدَّ قال : بحقّ رأس أُمّك إلاّ عفوتَ عنّي . قال الوالي للجلاّد : أَوْجِع . فقال الجاني : بحقّ خَدَّيْها ونَحْرِها[2] . قال الوالي : إضرب . قال الجاني : بحقّ ثَدْيَيْها . قال الوالي : إضرب . قال الجاني : بحقّ سُرّتها[3] . قال الوالي : ويلكم ، دعوهُ لا ينحدر قليلاً !

(الجاحظ : المحاسن والأضداد ، ص ٢٦)

* * *

ابن أبي عتيق وعائشة (رض)

قيل : إنّ ابن أبي عتيق (عبد اللّه بن محمّد بن عبد الرحمن بن أبي بكر

---

(١) الوعل : تَيْس الجبل له قرنان قويّان .

(٢) النحر : أعلى الصدر .

(٣) السرّة : التجويف الصغير المعهود في وسط البطن .

الصدّيق) دخل على عائشة (رض) يعودها[1] في مرضها الذي ماتت فيه ، فقال لها : جُعلِتُ فِداكِ . فقالت : بالموت ؟ فقال : فلا فداكِ ، فإنّي ظننتُ في الأمر مُهْلَة !

(الثعالبي : لطائف ، ص ٣٠)

* * *

أدْهى العرب؟

قيل : إنّ أمّ عمرو بن العاص[2] (النابغة) امرأة من عَنزة ، ضربته وهو صغير عندما درجَ[3] وتكلّم ، فقال لها : ستعلمين ! وانصرف إلى أبيه وهو في نادي قومه فجلس في حِجْره[4] ، فبالَ عليه . وكان أبوه قاذورة متقذّراً ، في خُلُقِهِ عُسْر ، فتأفّف منه وأراد ضربه ، فمنعه قومه وقالوا : هذا طفلٌ لا يعقل . فنهض مُغضباً ودخل على (النابغة) فأوجعها ضرباً ، وأقسم لها لئن بَعَثَتْ به إليه وهو في النادي ليعودَنّ إليها بأشدّ مما بَدَا . ولمّا خرج من عندها قال عمرو لأمّه : ألم أقل لكِ ؟ فصكّت[5] وجهها ونادت بالويل ، فسمعها العاص فرجع وتناول السوط ، فقالت له : مهلاً حتى أحدّثك عن ابنك . فحدّثته ، فعجب وقال : والكعبة إنّه لداهية فاحذريه ، فكانت تَحْذَرُه . ثم نقمت عليه مرّة فضربته ورصدته فلم يجد مَحيصاً[6] عنها سحابة يوم . فلما أصبح أَمْلَسَ[7] منها وذهب إلى أبيه فوجده في الحِجْر[8] مع

(١) يعودها : يزورها .

(٢) عمرو بن العاص (٥٠ ق هـ/٥٧٤م - ٤٣هـ/٦٦٤م) .

هو عمرو بن العاص القرشي . ولاّه عمر (رض) فلسطين، ثمَّ مصر فافتتحها . (الزركلي: ٥/٢٤٨).

(٣) درج : مشى .

(٤) الحجر: الحضن .

(٥) صكّت: لطمت .

(٦) محيصاً : مهرباً . سحابة يومه : طول يومه .

(٧) أملس منها : أفلت منها .

(٨) الحِجْر : مكان قرب الكعبة المشرّفة .

قريش وساداتهم ، فلمّا رآه أبوه انتهره ، فقال له عمرو : إنّ أمّي تدعوك ، فقال : كذبتَ وجهجهَ[1] به فذهب ، ثم عاد وفي يده نُقْبَة[2] خَلَق وصُرَّة كانت أُمّه تمتهن فيها ، أي تقضي أشغالها . ثمّ قصد أباه مِن قِبَلِ ظهره فلم يشعر به حتى قام على القوم ، فنشر النُّقْبَة وقال لأبيه : إنَّ أمي تدعوك وهذه أمارةٌ ، فرمى القوم النُّقبة بأبصارهم ، وعاد العاص يتميّز غيظاً وتناول منه النُّقبة واحتمله ، فأتى به منزله ، فانحنى على المرأة ضرباً ، وجعلت تسترفقه[3] وتستنصته ، وقد أخذ الغضب بسمعه وبصره ، حتى أثخنها[4] وسكنَ غضبه . فلما شفى غيظه جلس وقد خامره[5] الندم لِمَا نال منها . فقالت : واللّه ، مالي من ذنبٍ ولا أحسبني دُهِيتُ إلَّا من قِبل ولدي ، فإنّي ضربته بالأمس . فقال لها : ألم تنفذيه[6] إليَّ بالنُّقبة أمارة إليَّ . فأقسمت أنّها لم تفعل . فقال العاص لعمرو : ألم تقل لي ذلك ؟ فقال : إنّها ضربتني أمس . فقال العاص : أشهد أنّك أدهى العرب .

(الصقلي : أنباء نجباء الأبناء ، ص ٧٧)

* * *

الحجّاج يبكي ويرقّ!

كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجّاج[7] يأمره أن يبعث إليه برأس عبّاد بن أسْلَم البَكْري[8] ، فقال له عبّاد : أيّها الأمير ، أَنْشُدُك اللّه لا تقتلني ، فواللّه إنّي

(١) جهجه : صاح .
(٢) نقبة خلق: ثوب كالإزار يُشدّ كما تشدّ السراويل . الخلق : البالي .
(٣) تسترفقه : تطلب الرفق بها .
(٤) أثخنها : بالغ في ضربها .
(٥) خامره الندم : داخله الندم .
(٦) تنفذيه : تبعثيه .
(٧) الحجّاج الثقفي (٤٠هـ/٦٦٠م ـ ٩٥هـ/٧١٤م) .
هو الحجّاج بن يوسف بن الحكم الثقفي : قائد ، داهية ، خطيب . ولد ونشأ في الطائف (الحجاز) ، وأصبح ـ فيما بعد ـ أبرز القادة الأمويين (الزركلي : أعلام ، ٢/ ١٧٥) .
(٨) عبّاد بن أسلم البكري : أحد الخارجين على حكم بني أميّة في عهد عبد الملك بن مروان .

لأعولُ أربعاً وعشرين امرأةً ما لهنّ كاسِبٌ غيري . فرقّ لهنّ واستحضرهنّ ، وإذا واحدةٌ منهنّ كالبدر . فقال لها الحجّاج : ما أنتِ منه ؟ قالت : أنا بنتُهُ ، فاسمع يا حجّاج منّي ما أقول ، ثمّ قالت :

أحجّاجُ إمّا أنْ تَمُنَّ بتركِهِ ... علينا وإمّا أن تقتلنا مَعا
أحجّاجُ لَا تفجعْ بِهِ إنْ قتلتَهُ ... ثمانٍ وَعَشْراً واثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعَا
أحجّاجُ لا تتركْ عليه بناتِهِ ... وخالاتِهِ يَنْدُبْنَهُ الدهرَ أَجْمَعا

فبكى الحجّاجُ ورقّ له ، وآستوهبه من أمير المؤمنين عبد الملك وأمر له بصلةٍ[١] .

(الأبشيهي : المستطرف ، ١/ ٢٣١)

* * *

هند تُذلّ الحجّاج!

وُصف للحجّاج حُسْنُ هند بنت النعمان[٢] فأنفذ[٣] إليها يخطبها وأجزل[٤] لها مالاً جزيلاً ، وتزوّج بها وشرطَ لها عليه بعد الصَّداق[٥] مائتي ألف درهم . ثمّ دخل عليها في بعض الأيّام وهي تنظر في المرآة وتقول :

وما هندُ إلَّا مُهْرَةٌ عربيّةٌ ... سَليلةُ أفراسٍ تَحلَّلها[٦] بغلُ
فإن وَلَدتْ فحلًا فللّهِ دَرُّها ... وإنْ وَلَدَتْ بغلاً فقد جا بِهِ البغلُ[٧]

---

(١) الصِّلة : العطاء ، الإحسان .
(٢) هي هند بنت النعمان بن بشير الأنصاري (رض). وكان رَوْح بن زِنْباع الجُذامي صاحب عبد الملك بن مروان قد تزوّجها وكانت تكرهه (ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣/٩٥) .
(٣) أنفذ إليها: بعث إليها.
(٤) أجزل العطاء: أكثره.
(٥) بعد الصداق: ما يُعرف بالمهر المؤجّل .
(٦) تحلّلها: تزوّجها.
(٧) الفحل : الذَّكر الكريم . جا : أصلها (جاء) وقد أسقطت الهمزة للوزن .

فانصرف الحجّاج راجعاً ولم يدخل عليها، ولم تكن علمت به، فأراد الحجّاج طلاقها وأنفذ إليها عبد الله بن طاهر[١]، وأنفذ لها معه مائتي ألف درهم، وهي التي كانت عليه وقال: يا بن طاهر طلّقها بكلمتين ولا تزد عليهما. فدخل عبد الله بن طاهر عليها فقال: يقول لك أبو محمد الحجّاج: كُنْتِ فَبِنْتِ[٢]، وهذه المائتا ألف درهم التي كانت لكِ قِبَلَه[٣]. فقالت: اعلم يا بن طاهر، أنّا واللّهِ، كنّا فما حمدنا وبِنّا فما ندمنا، وهذه المائتا ألف درهم التي جئتَ بها بشارة لك بخلاصي من كلب ثقيف[٤].

فبلغ بعد ذلك عبد الملك بن مروان خبرها ووُصف له جمالها، فأرسل إليها يخطبها. فأرسلت إليه كتاباً تقول فيه بعد الثناء، اعلم يا أمير المؤمنين أنَّ الإناء وَلَغَ فيه الكلب. فلمّا قرأ عبد الملك الكتاب ضحك من قولها وكتب إليها يقول: «إذَا وَلَغَ[٥] الكلبُ في إناء أحدكم فليغسله سبعاً إحداهنّ بالتراب»، فاغسلي الإناء يحلّ الاستعمال[٦].

فلمّا قرأت كتاب عبد الملك لم يمكنها المخالفة فكتبت إليه بعد الثناء عليه: يا أمير المؤمنين، واللّه لا أُحِلّ العَقْد إلّا بشرط، فإن قلتَ ما هو الشرط قلت: أن يقودَ الحجّاج مَحْمَلي من المَعرّة[٧] إلى بلدك التي أنت فيها، ويكون ماشياً حافياً بِحِلْيَتِه التي كان فيها أوّلاً. فلمّا قرأ عبد الملك ذلك الكتاب ضحك ضحكاً شديداً وأنفذ إلى الحجّاج وأمره بذلك. فلمّا قرأ الحجّاج رسالة عبد الملك أجاب وامتثل الأمر ولم يخالف، وأنفذ إلى هند يأمرها بالتجهّز، فتجهّزت، وسار الحجّاج في موكبه حتى وصل المعرّة بلد

---

(١) عبد الله بن طاهر: أحد أعوانه.
(٢) كنت فبنتِ: أي كنتِ زوجة فأصبحت طالقاً.
(٣) كانت لك قِبله: أي في ذمّته.
(٤) كلب ثقيف: إشارة إلى الحجّاج.
(٥) ولغ: لعق.
(٦) مقتبسٌ من حديث للرسول ﷺ.
(٧) المعرّة: مدينة في سورية، مركز قضاء معرّة النعمان.

هند . فركبت هند في محمل الزفاف ، وركب حولها جواريها وخَدَمها ، وأخذ الحجّاج بزمام البعير يقوده ويسير بها . فجعلت هند تتواغد[1] عليه وتضحك مع الهيفاء دايتها[2] ثمّ قالت للهيفاء : يا داية ، اكشفي لي سَجْفَ[3] المحمل . فكشفته فوقعَ وجهها في وجه الحجّاج فضحكت عليه . فأنشد يقول :

فإن تضحكي منّي فيا طول ليلةٍ تركتك فيها كالقَباءِ المُفرّجِ[4]

فأجابته هند تقول :

وما نُبالي إذا أرواحنا سَلمتْ بما فقدناهُ مِن مالٍ ومِن نَشَبِ[5]
فالمالُ مُكتسبٌ والعزّ مُرتجعٌ إذا النفوسُ وقاها اللّهُ من عَطَبِ[6]

ولم تزل كذلك تضحك وتلعب إلى أن قربت من بلد عبد الملك فرمت بدينارٍ على الأرض ونادت : يا جمّال ، إنّه قد سقط منّا درهم فارفعه إلينا . فنظر الحجّاج إلى الأرض فلم يجد إلّا ديناراً فقال : إنّما هو دينار . فقالت : بل هو درهم . قال : بل دينار . فقالت : الحمد للّه سقط منّا درهمٌ فعوّضنا اللّه ديناراً . فخجل الحجّاج وسكت ولم يردّ جواباً . ثم دخل بها على عبد الملك بن مروان فتزوّج بها .

(كحّالة : أعلام النساء ، ٥/ ٢٥٦)

***

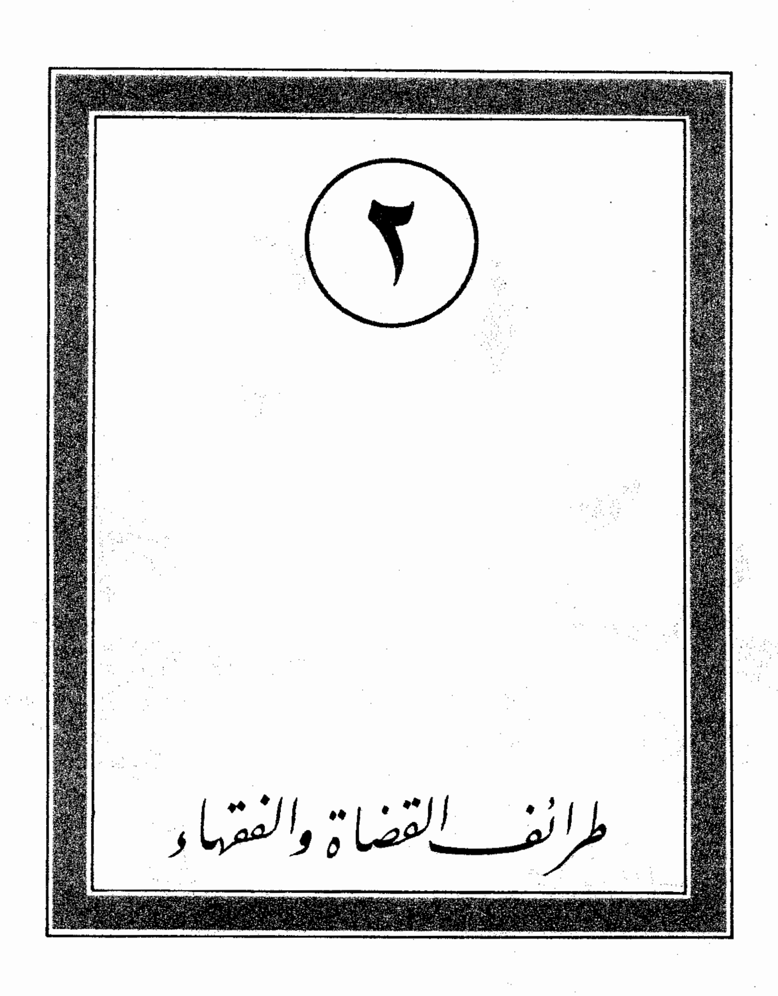
كأنّ أمّه نطحتك !

حضر أعرابي على مائدة بعض الخلفاء . فقُدّم جَدْيٌ مشويّ ، فجعل الأعرابي يسرع على المائدة في أكله منه . فقال له الخليفة : أراك تأكله بحَرَدٍ[7] كأنّ أمّه نطحتكَ ! فقال : أراكَ تُشْفِق عليه كأنّ أمّه أرضعتك !

(الدباغ : أدب المعدمين ، ص ١٧)

---

(١) تتواغد عليه : تتحامق عليه .
(٢) الداية : الخادمة .
(٣) سجف المحمل : ستر المحمل الذي تركبه .
(٤) القباء المفرّج : الثوب المشقّق .
(٥) النشب : العقار ، المال .
(٦) العطب : الهلاك .
(٧) بحَرَد : بغضب .


٢
طرائف القضاة والفقهاء



القضاة والفقهاء هم أكثر الناس جِدّاً ورصانةً ، ومع ذلك لم يتحرّج هؤلاء الصفوة من المسلمين من طُرْفةٍ تأتي عَفْوَ الخاطر أو مُلْحةٍ يستدعيها الموقف أو مزحةٍ يفرّج بها أحدهم عمّا في نفسه . فكان من طرائفهم :

المسح على اللحية

سأل رجلٌ الشعبي[1] عن المسح على اللحية فقال : خلّلها . قال الرجل : أَتخوّفُ أن لا نبلّها . فقال الشعبي : إن تخوّفتَ فانقعها من أوّل الليل !

(الغزّي : المراح ، ص ٤٨)

* * *

(١) الشعبي (ت ١٠٩هـ/٧٢٧م) .
هو أبو عمرو عامر بن شراحيل الكوفي . كان من كبار التابعين وجلّتهم، وكان فقيهاً شاعراً . وهو ثقة روى له أصحاب الكتب الستّة، واستقضاه عمر بن عبد العزيز (ابن خلكان : وفيات، ١٢/١) .

اِمرأة عرجاء

وجاء رجلٌ إلى الشعبي وقال : إنّي تزوّجتُ امرأةً وجدتها عرجاء ، فهل لي أن أردّها ؟ فقال له : إن كنتَ تريد أن تُسابق بها فردَّها !

(العاملي : الكشكول ، ص ٢١٨)

* * *

أيّكما الشعبي ؟

ولقي رجلٌ الشعبي ، وهو واقفٌ مع امرأةٍ يكلّمها ، فقال الرجل : أيّكما الشعبي ؟ فأَومأ[1] الشعبي إلى المرأة وقال : هذه !

(ابن الجوزي : أخبار الظرّاف ، ص ٢٦)

* * *

أيّ الأصابع ؟

وروى الشعبي يوماً أنّ النبيّ (ﷺ) قال : « تسحّروا ولو أن يضع أَحدكم إصبعه على التراب ، ثمّ يضعه في فِيه[2] » . فقال رجلٌ من الحاضرين : أيّ الأصابع ؟ فتناول الشعبي إبهام رِجْله وقال : هذه !

(ابن الجوزي : أخبار الظرّاف ، ص ٢٦)

* * *

أَظنّها مظلومة !

وخاصمت امرأةٌ زوجها إلى الشعبي القاضي فبكت ، فقال الشعبي :

---

(١) أومأ : أشار .
(٢) فِيه : فمه .

أَظنّها مظلومةً . فقال زوجها : إنَّ إخوة يوسف جاؤوا أباهم عِشاءً يبكون ، وكانوا ظالمين[١] .

(الزمخشري : ربيع الأبرار ، ص ٦٩٦)

* * *

مِقدار كَمْ ؟

وسأل رجل الشعبي قال : هل يجوز لِلْمُحْرِمِ[٢] أن يحكَّ بدنه ؟ قال : نعم . فقال الرجل : مِقْدار كَمْ ؟ قال : حتّى يبدوَ العظم !

(الغزّي ، المراح ، ص ٤٨)

* * *

ما عاب هذا مسلمٌ !

قيل للحسن البَصْري[٣] : إنّ فلاناً يأكل الفالوذج[٤] ويعمّر ، فقال : لُبابُ البُرّ[٥] بلُعاب النحل[٦] بخالص السمن . ما عابَ هذا مسلمٌ !

(الثعالبي : لطائف ، ص ٣٠)

* * *

---

(١) إشارة إلى حكاية يوسف عليه السلام مع إخوته التي أوردها القرآن الكريم في سورة يوسف .

(٢) المحرم : مَن دخل في الإحرام .

(٣) الحسن البصري (ت ١١٠هـ/ ٧٢٨ م) .

هو الإمام الحسن بن أبي الحسن يَسار البصري . كان من سادات التابعين وكبرائهم ، وجمع من كلّ فنّ من علم وزهد وورع وعبادة (ابن خلّكان : وفيات، ٢/ ٦٩) .

(٤) الفالوذج: نوع من الحلويّات.

(٥) البرّ: القمح.

(٦) لعاب النحل: العسل .

العالِم الجليل يحبّ إنشاد شعر الغزل

قيل : إنّ أهل الحجاز قد جُبلوا على الظرف ، وشاع بينهم روح التسامح حتّى بين فقهائهم الكبار ، كسعيد بن المسيّب[1] ، مفتي المدينة وسيّد التابعين الذي وصفه الإمام أحمد بن حَنْبل بقوله : سعيد بن المسيَّب أفضل التابعين ، وكان يفتي وأصحاب رسول الله ﷺ أحياء .

لقد كان هذا العالم الجليل يحبّ إنشاد شعر الغزل ، ويحكم بجودته أحياناً ، حتّى قال أحدهم :

سألتُ سعيدَ بن المسيَّبِ مُفتي الـ
مدِينة : هل في حُبّ ظمياءَ مِن وِزْرِ[2]
فقال سعيد بن المسيَّبِ : إنّما
تُلامُ على ما تستطيعُ مِن الأمرِ

فلمّا سمعها ابن المسيّب قال : واللّهِ ، ما سألني أحدٌ عن هذا ، ولو سألني ما كنتُ أُجيبُ إلّا به .

(الزمخشري : ربيع الأبرار ، ٣/ ١٢٩)

* * *

ذاك مثل هذا !

قال رجلٌ لإياس بن معاوية[3] : لو أكلتُ التمرَ تضربني ؟ قال : لا .

---

(١) سعيد بن المسيّب (ت ١٠٥هـ/٧٢٣م) .
هو أبو محمد سعيد بن المسيّب القرشي المدني . أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع (ابن خلكان : وفيات، ٢/٣٧٥) .

(٢) ظمياء : سمراء . وَزر : إثم .

(٣) إياس بن معاوية (ت ١٢٢ هـ/ ٧٣٩ م) .
هو القاضي إياس بن معاوية المزني . كان مثلاً في الذكاء والفطنة، وبه يُضرب المثل في الذكاء والفِراسة، وقد ولّاه عمر بن عبد العزيز قضاء البصرة (ابن خلكان : وفيات، ١/٢٤٧) .

قال : لو شربتُ قِدْراً من الماء تضربني ؟ قال : لا . قال : شراب التمر (النبيذ) أخلاطٌ منها ، فكيف يكون حِراماً ؟ قال إياس : لو رميتكَ بالترابِ أَيُوجِع ؟ قال : لا . قال : لو صببتُ عليكَ قِدْراً من الماء ، أينكسر عضوٌ منك ؟ قال : لا . قال : لو صنعتُ من الماء والتراب طُوباً فجفَّ في الشمس فضربتُ به رأسكَ ، كيف يكون ؟ قال : ينكسر الرأس . قال إياس : ذاكَ مثل هذا !

(. . . . . .)

* * *

فطنة القاضي إياس !

يُحكى من فطنة إياس أنّه كان في موضعٍ فحدث فيه ما أَوْجَب الخوف ، وهناك ثلاث نسوةٍ لا يعرفهنّ ، فقال : هذه ينبغي أن تكون حاملاً ، وهذه مُرْضعاً ، وهذه عذراء . فكُشف عن ذلك فكان كما تفرّس[1] . فقيل له : ومن أين لكَ هذا ؟ فقال : عند الخوف لا يضع الإنسان يده إلّا على أعزّ ما لَهُ ويخاف عليه ، ورأيت الحامل قد وضعت يدها على جوفها[2] ، واستدللتُ بذلك على حملها ، ورأيتُ المرضع قد وضعت يدها على ثَدْيها ، فعلمت أنّها مرضع ، والعذراء وضعت يدها على فرجها[3] ، فقلت إنّها بِكْر .

(ابن خلكان : وفيات ، ١/ ٢٤٨)

* * *

(١) تفرّس : اكتشف بفطنته وذكائه .

(٢) جوفها : بطنها .

(٣) الفرج : لفظة قرآنية ، وردت في قوله تعالى : ﴿ والتي أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنَا فِيها مِن رُوحِنا ﴾ الأنبياء/ ٩١ .

رجلٌ يغلبُ إياس !

ورُوي عن إياس بن معاوية أنّه قال : ما غلبني أحدٌ قطّ سوى رجلٍ واحدٍ ، وذلك أنّي كنت في مجلس القضاء بالبصرة ، فدخل عليَّ رجلٌ شهد عندي أنّ البستان الفلاني ـ وذكر حدوده ـ هو مِلْك فلان . فقلت له : كم عدد شجره ؟ فسكت ثمّ قال : منذ كم يحكم سيّدنا القاضي في هذا المجلس ؟ فقلت : منذ كذا . فقال : كم عدد خشب سقفه ؟ فقلت له : الحقّ معك ، وأجزتُ شهادته .

(ابن خلكان : وفيات ، ١/ ٢٤٩)

* * *

قاضٍ يستشير مجوسياً !

أراد نوح بن مَرْيم[1] أن يزوّج ابنته فاستشار جاراً له مجوسيّاً ، فقال المجوسي : سبحان اللّه ! الناس يستفتونك وأنت تستفتيني . قال : لا بدّ أن تشير عليّ . فقال : إنّ رئيس الفرس كِسْرى كان يختار المال ، ورئيس الروم قَيْصر كان يختار الجمال ، ورئيس العرب كان يختار الحَسَب ، ورئيسكم محمّد كان يختار الدِّين ، فانظر لنفسك بمن تقتدي .

(الأبشيهي : المستطرف ، ١/ ١٠٢)

* * *

---

(١) نوح بن مريم (. . . - ١٧٣هـ/٧٨٩م) .
هو نوح بن يزيد (أبو مريم) القرشي بالولاء ، قاضي مَرْو (خراسان) . يلقّب بالجامع ، لجمعه علوماً كثيرة . وكان مرجئاً ، مطعوناً في روايته الحديث (الزركلي : أعلام ، ٨/ ٥١) .

الثوري يحكم بين المهدي والخيزران

قيل إنَّ المَهْدي قال لِلْخَيْزُران[1] : أُريد أن أتزوّج ، وكانت بكتاب[2] . فقالت له : لا يحلّ لكَ أن تتزوّج عليّ قال : بَلى . قالت له : بيني وبينكَ مَن شئتَ . قال : أترضَيْن سُفيان الثوري[3] ؟ قالت : نعم . فوجّـه إلى سُفيان فقال : إنّ أُمَّ الرشيد تزعم أنّه لا يحلّ لي التزوّج عليها ، وقد قال اللّه عـزَّ وجلَّ : ﴿ فَانْكِحُوا مَا طَـابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وثُـلاثَ وَرُبَاعَ ﴾[4] . ثمَّ سكتَ ، فقال له سُفيان : أَتِمِّ الآية . يريد قوله تعالى : ﴿ فإن خِفْتُمْ ألَّا تَعْدِلُوا فَواحِدةً ﴾ وأنتَ لا تعدل . فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فأبى أن يقبلها .

(ابن خلكان : وفيات ، ٢/ ٣٨٩)

* * *

الأعمش وأبو لَيْلى

جرى بين الإمام الأعمش[5] وبين زوجته كلامٌ ، وكان يأتيه رجلٌ يُقال له أبو لَيْلى ، مكفوفٌ ، فصيحٌ يتكلّم بالإعراب ، يتطلّب الحديث منه ، فقال :

---

(١) الخَيْزُران (. . . ـ ١٧٣هـ/٧٨٩م) .
هي زوجة الخليفة المهدي العبّاسي وأمّ ابنيه : الهادي والرشيد . كانت من جواريه ، فأعتقها وتزوّجها . (الزركلي : أعلام ، ٢/٣٧٥) .

(٢) وكانت بكتاب : أي كانت معه بنكاح شرعي .

(٣) سُفيان الثوري : (٩٧هـ/٧١٥م ـ ١٦١هـ/٧٧٧م) .
هو أبو عبد الله سُفيان بن سعيد بن مسروق ، الثوري الكوفي . كان إماماً في علم الحديث وغيره من العلوم ، وأجمع الناس على دينه وورعه وزهده وثقته . وهو أحد الأئمة المجتهدين (ابن خلّكان ، وفيات، ٢/٣٨٩) .

(٤) النساء/٣ .

(٥) الأعمش (٦٠ هـ / ٦٧٩ م ـ ١٤٨ هـ / ٧٦٥ م).
هو أبو محمد سليمان بن مهران ، المعروف بالأعمش الكوفي، الإمام المشهور . كان ثقةً عالماً فاضلاً (ابن خلكان : وفيات، ٢/٤٠١) .

يا أبا ليلى ، امرأتي نشزت[١] عليّ وأنا أحبّ أن تدخل عليها فتخبرها مكاني من الناس وموضعي عندهم . فدخل عليها أبو ليلى ، وكانت من أجمل أهل الكوفة ، فقال : يا هَنتاه[٢] ، إنّ اللّه قد أحسنَ قِسْمَك[٣] ، هذا شيخنا وسيّدنا وعنه نأخذ أصل ديننا وحلالنا وحرامنا ، فلا يضرّنّك عُموشة عَيْنَيْه ولا حُموشة[٤] ساقَيْه . فغضب الأعمش وقال : يا أعمى ، يا خبيث ، أعمى اللّهُ قلبكَ كما أعمى عَيْنَيْكَ قد أخبرتها بعيوبي كلّها ، أُخرج من بيتي .

(ابن خلكان : وفيات ، ٢/ ٤٠١)

* * *

ظَرْف عُبّاد أهل الحجاز

خرج أبو حازم سلمة بن دينار[٥] يرمي الجِمار[٦] ومعه قومٌ ناسكون[٧] وهو يحدّثهم ، فَبَيْنا هم كذلك إذ نظروا إلى امرأةٍ من أجمل الناس تَتلفّتُ يَمْنةً ويَسْرةً ، وقد شغلت الناس وبُهتوا[٨] ينظرون إليها . وخاضَ بعضهم في بعض ، فقال لها أبو حازم : يا هذهِ ، اتّقي اللّه فإنّك في مَشْعَرٍ[٩] مِن مشاعر

---

(١) نشزت: خرجت عن الطاعة.
(٢) الهَنة : كناية عن المرأة .
(٣) قِسْمك : ما قسمه الله لكِ .
(٤) حموشة ساقيه : دقّتهما .
(٥) سَلَمة بن دينار (. . . . ـ ١٤٠هـ/٧٥٧م) .
هو سَلَمة بن دينار المخزومي . عالم المدينة وقاضيها وشيخها ، كان زاهداً عابداً ، بعث إليه سليمان بن عبد الملك ليأتيه ، فقال لرسوله : إن كانت له حاجة فليأت ، وأمّا أنا فما لي إليه حاجة (الزركلي : أعلام، ٣/١١٣) .
(٦) الجمار : رمي الحصى في مِنى ، وهو من مناسك الحجّ .
(٧) الناسكون : العابدون ، المتزهّدون .
(٨) بُهتوا : دُهشوا .
(٩) مشاعر الله : مشاعر الحج ، أي مناسك الحجّ ، الأعمال التي تتمّ به .

اللّه ، وقد فَتنتِ الناس ، فاضربي على جَيْبكِ بخِمارِكِ[1] ، فإنّ اللّه تعالى يقول : ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ على جُيُوبِهِنَّ ﴾[2] . فأقبلت تضحك من كلامه وقالت : يا هذا ، إنّي ممّن قال فيهم الشاعر الْعَرْجي[3] :

مِن اللّاءِ لم يَحْجُجْنَ يَبْغِينَ حِسْبَةً
ولكنْ لِيَقْتُلْنَ البَرِيءَ المُغَفَّلا[4]

فأقبل أبو حازم على أصحابه وقال : يا هؤلاء ، تَعالَوْا نَدْعُ اللّه أن لا يعذّب هذه الصورة الحسنة بالنار . فجعل يدعو وأصحابُهُ يُؤمّنون[5] . وبلغ ذلك سعيدَ بن المسيَّب (سيّد التابعين وأحد الفقهاء السبعة رضي الله عنهم) فقال : أمَا واللّه ، لو كان بعض بُغَضاء[6] العراق لقال لها : اغْربي قبَّحكِ الله ! ولكنّه ظَرْفُ عُبّاد أهل الحجاز .

(البرقوقي : دولة النساء ، ص ٣٥)

* * *

قاضي القضاة يتغزّل !

قال نجم الدين الطبري[7] :

أَشْبِيهَةَ البدرِ التمامِ إذا بَدا
حُسناً وليس البدرُ مِن أَشْباهِكِ

(١) خِمار : جمعها خُمُر ، وهو ما يُغطّى به الرأس . على جيوبهنّ : يعني على النحر وأعلى الصدر فلا يُرى منه شي .
(٢) النور/٣١ .
(٣) العَرْجي (. . . - نحو ١٢٠هـ/٧٣٨م) .
هو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان الأموي القرشي . شاعر غزل مطبوع ، وكان من الفرسان المعدودين (الزركلي : أعلام ، ٤/٢٤٦) .
(٤) الحسبة : الأجر والثواب . والمراد بالمغفّل الذي لم يجرّب الأمور ولا يعرف الشرّ .
(٥) يؤمّنون : يقولون : آمين .
(٦) بُغضاء : يريد بهم المتغالين في الورع والتقوى .
(٧) الطبري (ت ٧٣١هـ/١٣٣٠م) .

مـأسـورُ حُبّـكِ إنْ يكـنْ متـشـفِّعـاً
فـإليكِ في الحُسْنِ البـديـعِ بجاهِـكِ
أَشْـفـى أسـىً أَعْيَـا الأسـاةَ دَواؤُهُ
وشِفاهُ يحصـلُ بـارتشـافِ شِفَـاهِـكِ[1]
فَـصِلـيـهِ واْغْـتَـنـمـي بـقـاءَ حـيـاتِـه
لا تـقـطعِيـهِ جَـفـاً بـحـقِّ إلاهِـكِ

(الصفدي : الوافي ، ١/ ٢٢٩)

* * *

وجهك إلى ثيابك !

وجاء رجلٌ إلى أبي حنيفة[2] فقال له : إذا نزعتُ ثيابي ودخلتُ النهرَ أغتسل فإلى القِبْلة أتوجّه أم إلى غيرها ؟ فقال له : الأفضل أن يكون وجهكَ إلى جهة ثيابك لئلّا تُسرق .

(الغزّي: المراح، ص ٥٣)

* * *

الشافعي يمازح زوجته

قال الإمام الشافعي[3] (رض) تزوّجتُ امرأةً من قريش بمكّة ، وكنتُ

= هو قاضي القضاة نجم الدين بن جمال الدين بن محبّ الدين الطبري الآملي . كان فقيهاً جيّداً ، فيه كرم وحسن أخلاق وله نظم (الصفدي : الوافي ١/٢٢٨) .

(١) أشفى أسى : قارب الموت حزناً. أعيا الأُساة : أعجز الأطباء . ارتشف : امتصّ .

(٢) أبو حنيفة (٨٠هـ/٦٩٩م - ١٥٠هـ/٧٦٧م) .
هو النعمان بن ثابت ، التيمي بالولاء ، الكوفي . إمام الحنفيّة ، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنّة (الزركلي : أعلام ، ٨/٣٦) .

(٣) الشافعي (١٥٠هـ/٧٦٧م - ٢٠٤هـ/٨١٩م) .
هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس القرشي المطلبي الشافعي . أوّل من تكلّم في أصول الفقه وهو الذي استنبطه (المصدر نفسه) .

أُمازحها فأقول :

ومِـن الـبَـلـيّـة أن تُـحـ ـبَّ فـلا يُحبُّك مَنْ تُحِبُّهْ

فتقول هي :

ويَـصُـدُّ عـنـكَ بـوجـهـهِ وَتَلِـجُّ أنتَ فـلا تَـغِبُّـهْ(1)

(ابن خلكان : وفيات ، ٤/ ١٦٧)

* * *

سُفيان يبكي !

قال أحدهم : كنتُ أمشي مع سُفيان بن عيينة(2) إذ أتاه سائلٌ فلم يكن معه ما يُعطيه ، فبكى . فقلت : يا أبا محمد ، ما الذي أبكاك ؟ قال : أيّ مصيبةٍ أعظم من أن يُؤَمّل فيك رجلٌ خيراً فلا يصيبه ؟

(ابن خلكان : وفيات ، ٢/ ٣٩٣)

* * *

اطلبوا اللصّ بالحدّ !

وهذا القاضي عبد الوهاب المالكي (3) يقول متغزّلاً :

---

(1) تلجّ : تلحّ . تغبّه : تزوره .

(2) سُفيان بن عُيَيْنَة (١٠٧هـ/٧٢٥م - ١٩٨هـ/٨١٣م) .
هو سُفيان بن عُيَيْنة بن أبي عمران ميمون الهلالي ، مَوْلى امرأة من بني هلال بن عامر رَهْط ميمونة زوج النبي ﷺ . كان إماماً عالماً ثَبْتاً زاهداً ورعاً مجمعاً على صحّة حديثه وروايته ، حجّ سبعين حجّة (ابن خلكان : وفيات ، ٢/ ٣٩٣) .

(3) عبد الوهّاب المالكي (ت ٤٢٢هـ/١٠٣٠م) .
هو القاضي أبو محمد عبد الوهّاب بن عليّ التغلبي البغدادي ، الفقيه المالكي ، كان فقيهاً أديباً شاعراً (ابن خلكان : وفيات ، ٣/٢١٩) .

وناـئمـةٍ قـبّلـتُهـا فـتـنـبّهـتْ
فقالتْ : تَعالَوْا وآطلبوا اللصّ بالحدِّ[1]

فقلتُ لهـا : إنّي - فَـدَيْتُـكِ - غـاصِبٌ
وما حَكَمُوا في غاصِبٍ بِسِوى الردِّ

خُـذِيـهـا وكُـفّـي عن أَثـيـمٍ ظُـلامـةً
وإنْ أنتِ لم تَـرْضَيْ فـألفـاً على العَدِّ[2]

فقـالت : قِـصـاصٌ يشـهـدُ العـقـلُ أنّـهُ
على كَبِدِ الجاني أَلَذُّ مِن الشَّهْدِ[3]

(ابن خلكان : وفيات ، ٣/ ٢٢٠)

* * *

الاسم والكنية

ارتفعَ إلى قاضٍ يتشيّع خَصْمان : اسم أحدهما عليّ واسم الآخر معاوية ، فانحنى القاضي على معاوية فضربه مائة سَوْط من غير أن اتّجهت عليه حجّة[4] ، ففطِنَ معاوية من أين أُتِيَ[5] ! فقال للقاضي : أصلحكَ الله ! سَلْ خَصْمي عن كنيته ، فإذا هو أبو عبد الرحمن ـ وكانت كنية معاوية بن أبي سُفيان ـ فبطحه وضربه مائة سوط ، فقال لصاحبه : ما أخذتَهُ منّي بالاسم استرجعتُه منك بالكُنية !

(ابن أبي الحديد : الشرح ، ١٩/ ٣٧)

* * *

---

(١) أطلبوا اللص بالحدّ : أقيموا الحدّ (العقاب) عليه .
(٢) أثيم : مذنب . الظلامة : الذنب .
(٣) الشهد : العسل .
(٤) أي من غير دليلٍ يُوجب عقابه .
(٥) أي من أين جاءَه البلاء .

الحبّ في نظر ابن حزم الأندلسي !

يقول ابن حزم[1] في باب طيّ سرّ المحبّين : من بعض صفات الحبّ الكتمان باللسان ، وجحود المحبّ إن سُئل ، والتصنّع بإظهار الصبر . . . فحسب المرء المسلم أن يعفّ عن محارم اللّه عزَّ وجَلَّ التي يأتيها باختياره ، ويحاسب عليها يوم القيامة . وأمّا استحسانُ الحَسَن وتمكّنُ الحبّ فطبعٌ لا يُؤْمَر به ولا يُنهى عنه ، إذ القلوب بيد مقلّبها . . . وإنّما يملك الإنسان حركات جوارحه[2] المكتسبة ، وفي ذلك أقول :

يلومُ رجالٌ فيكِ لم يَعرفوا الهوى
وسِيّانِ عندي فيكِ لاحٍ وساكتُ[3]
يقولون : جانبتَ التَّصاوُنَ جملةً
وأنتَ عليهم بالشريعة قانِتُ[4]
فقلتُ لهم : هذا الرِّياءُ بعَيْنِهِ
صُراحاً وزِيٌّ لِلْمُرائينَ مَاقِتُ[5]
متى جاءَ تحريمُ الهوى عن محمّدٍ
وهل منعُهُ في مُحْكَمِ الذِّكرِ ثابتُ[6] ؟
إذا لم أواقِعْ مَحْرَماً أتّقي به
مَجيئي يومَ البعثِ والوجهُ باهِتُ[7]

---

(١) ابن حزم (٣٨٤هـ/٩٩٤م - ٤٥٦هـ/١٠٦٤م) .
هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري . عالم الأندلس في عصره ، وأحد أئمّة الإسلام . قيل : إنّه ألّف ٤٠٠ مجلّد ، تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة . وكان يُقال : لسان ابن حزم وسيف الحجّاج شقيقان (الزركلي : أعلام ، ٤/٢٥٤) .

(٢) الجوارح : أعضاء جسم الإنسان .

(٣) سِيّان : متماثلان . لاحٍ : لائم .

(٤) التصاون : المحافظة . القانت : القائم بالطاعة للّه .

(٥) الرياء : إظهار خلاف ما هو واقع . ماقت : ممقوت ، مكروه .

(٦) مُحكم الذكر : آيات القرآن الكريم .

(٧) **باهت** : تظهر عليه علامات الحيرة والاندهاش .

فلستُ أُبالي في الهَوَى قولَ لائمٍ
سَواءٌ لَعَمْري جاهِرٌ أو مُخافِتُ
وهل يُلْزِمُ الإنسانَ إلّا اختيارُهُ
وهل بخَبَايَا اللفظِ يُؤْخَذُ صامِتُ

(ابن حزم : طوق الحمامة ، ص ٥٥).

* * *

بين شاعر وفقيه

حكى بعض مَن كان يحضر مجلس محمّد بن داود الظاهري(١) أنّ رجلاً دخل عليه ورفع إليه رقعةً ، فأخذها وتأمّل فيها طويلاً . فظنَّ مَن في المجلس أنّها مسألةٌ في الفِقْه يسأله الفتوى فيها ، فقلبها وكتب على ظهرها وردّها إلى صاحبها . ونظر في المجلس فإذا الرجل علي بن العبّاس بن جُرَيْج الرومي(٢) ، وإذا هو قد كتب في الرقعة :

يابن داودَ يا فقيهَ العراقِ أَفْتِنا في قَواتلِ الأحْداق(٣)
هل عليهنَّ في الجروحِ قِصاصٌ أم مُباحٌ لها دَمُ العُشّاقِ

وإذا بأبي بكر قد كتب له على ظهر الرقعة :

كيفَ يُفْتِيكمْ قتيلٌ صريعٌ بسهامِ الفِراقِ والاشتياقِ

(١) محمد بن داود الظاهري (. . . . - ٢٩٧هـ/٩٠٩م) .
أبو بكر محمد بن علي بن خلف الأصبهاني ، المعروف بالظاهري . كان فقيهاً أديباً شاعراً ظريفاً (ابن خلكان : وفيات، ٢٥٩/٤) .
(٢) ابن جريج (٢٢١هـ/٨٣٦م - ٢٨٣هـ/٨٩٦م) .
هو علي بن العباس بن جريج الرومي . شاعر كبير من طبقة بشّار والمتنبي ، رومي الأصل ، كان جدّه من موالي بني العباس (الزركلي : أعلام ، ٢٩٧/٤) .
(٣) قواتل الأحداق : النساء اللائي يقتلن العشّاق بعيونهن .

وقتيلُ التلاقِ أحسنُ حالاً عندَ داودَ مِن قتيلِ الفِراقِ

(ابن خلكان : وفيات ، ٤/ ٢٦١)

* * *

في مجلس الوزير ابن الجرّاح(١)

اجتمع يوماً ابن داود الظاهري وأبو العبّاس بن سُرَيْج(٢) في مجلس الوزير ابن الجرّاح ، فتناظرا في الإيلاء(٣) . فقال ابن سُرَيْج : أنتَ بقولكَ : « مَن كَثُرت لحظاتُهُ دامت حسراتُهُ » أبصر منك بالكلام في الإيلاء . فقال أبو بكر (محمد بن داود الظاهري) : لئن قلتَ ذلك فإنّي أقول :

أُنَزِّهُ في رَوْضِ المحاسِنِ مُقلتي
وأمنعُ نفسي أن تنالَ مُحرَّما
وأَحملُ مِن ثِقْلِ الهوى ما لوَ آنّهُ
يُصَبُّ على الصخرِ الأَصمِّ تهدّما
ويَنْطِقُ طَرْفي عن مُتَرْجَمِ خاطِري
فلولا اختلاسي ردَّهُ لتكلَّما
رأيتُ الهوى دعوى مِن الناسِ كلِّهِمْ
فما إنْ أَرى حبّاً صحيحاً مُسَلَّما

(١) ابن الجرّاح (٢٤٣هـ/٨٥٧م - ٢٩٦هـ/٩٠٩م .
هو محمّد بن داود بن الجرّاح . أديبٌ من علماء الكتّاب من أهل بغداد ، كان صديقاً لعبد الله ابن المعتزّ ، ووزر له في خلافته (الزركلي : أعلام ، ٦/ ١٢٠) .

(٢) ابن سُرَيْج (٢٤٩هـ/٨٦٣م - ٣٠٦هـ/٩١٨م) .
هو أحمد بن عمر بن سُرَيْج البغدادي : فقيه الشافعية في عصره ، له نحو ٤٠٠ مصنّف (ابن خلّكان : وفيّات ، ١/ ٦٦) .

(٣) الإيلاء : هو القَسَم الذي يحلفه الرجل على امرأته بالطلاق .

فقال ابن سُرَيْج : وبِمَ تفتخرُ عليَّ ولو شئتُ أنا لقلتُ :

ومُسَـاهِـرٍ بـالغَنْـجِ مِن لـحْـظاتِـه
قـد بِـتُّ أَمنعُـهُ لـذيـذَ سَـنـاتِـهِ[1]
ضـنّـاً بِـحُـسْـنِ حـديـثِـه وعـتـابِـه
وأكـرِّرُ الـلحـظاتِ فـي وجَـنـاتِـهِ

فقال أبو بكر : يحفظ الوزير عليه ذلك حتّى يقيم شاهِدَيْ عَدْلٍ أنه ولّى بخاتم ربّه[2] . فقال ابن سُرَيْج : يلزمني في ذلك ما يلزمك في قولك :

أُنزّه في رَوض . . . .

فضحك الوزير وقال : لقد جمعتما ظَرْفاً ولُطفاً وفهماً وعلماً .

(الصفدي : الوافي ، ٣/ ٦٠ - ٦١)

* * *

مسألة في الفقه

حُكي أن القاضي نجمَ الدين البَادَرائيّ[3] اجتازَ بالمَوْصل رسولاً إلى حَلَب ، في سنة سبع وأربعين وستمائة ، فسأل فقهاءها هذه المسألة :

أيـا فـقهـاءَ الـعـصـرِ هـل مِن مُخَبِّـرٍ
عـن امـرأةٍ حَلَّتْ لـصـاحبـهـا عَـقْـدا
إذا طُـلِّقَتْ بـعـد الـدخـول تَـربَّصَـتْ
ثـلاثـةَ أَقْـراءٍ حُـدود لـهـا حَـدّا[4]
وإن مـاتَ عنهـا زوجُهـا فـاعْتِـدَادُهـا
بـقُـرْءٍ مِـن الأَقْـراءِ تـأتـي بـهِ فَـرْدا[5]

---

(١) سناته : نومه .
(٢) ولّى بخاتم ربّه : أي ذهب سالماً كما خلقه الله .
(٣) البادرائي (٥٩٤ هـ / . . . . . ٦٥٥ هـ / . . . .)
هو عبد الله بن أبي الوفاء محمد بن الحسن ، الإمام نجم الدين أبو محمد البادرائي البغدادي ، درَّس بالنِّظاميَّة في بغداد ، وحدَّث ببغداد ، ومصر ، وحَلَب ، بني بدمشق المدرسة المعروفة به .
(مصدر الطرفة نفسه) .
(٤) تربّصت : انتظرت . القرء : الحيض والطُهر .
(٥) اعتدادها : انتظارها قبل الزواج ثانية مدّة من الزمن حدّدها الشرع الإسلامي .

فأجابه صاحب «التعجيز» .

وكُنَّا عَهِدْنا النَّجْمَ يَهْدي بنُورِه
فما بالُهُ قد أتْهَمَ العَلَم الفَرْدا
سألتَ فخُذْ عنّي فتلكَ لَقِيطةٌ
أَقَرَّتْ بِرِقٍّ بعد أن نُكِحَتْ عَمْدا

(السبكي : طبقات ، ٨/١٩٢)

* * *

عِزّة النفس

دخل عَمارةُ بن حمزة[1] يوماً على المنصور في مجلسه . فقام رجل وقال : مظلومٌ يا أمير المؤمنين .

قال : مَن ظلمك ؟

قال : عمارة بن حمزة ، غَصَبني ضَيْعتي .

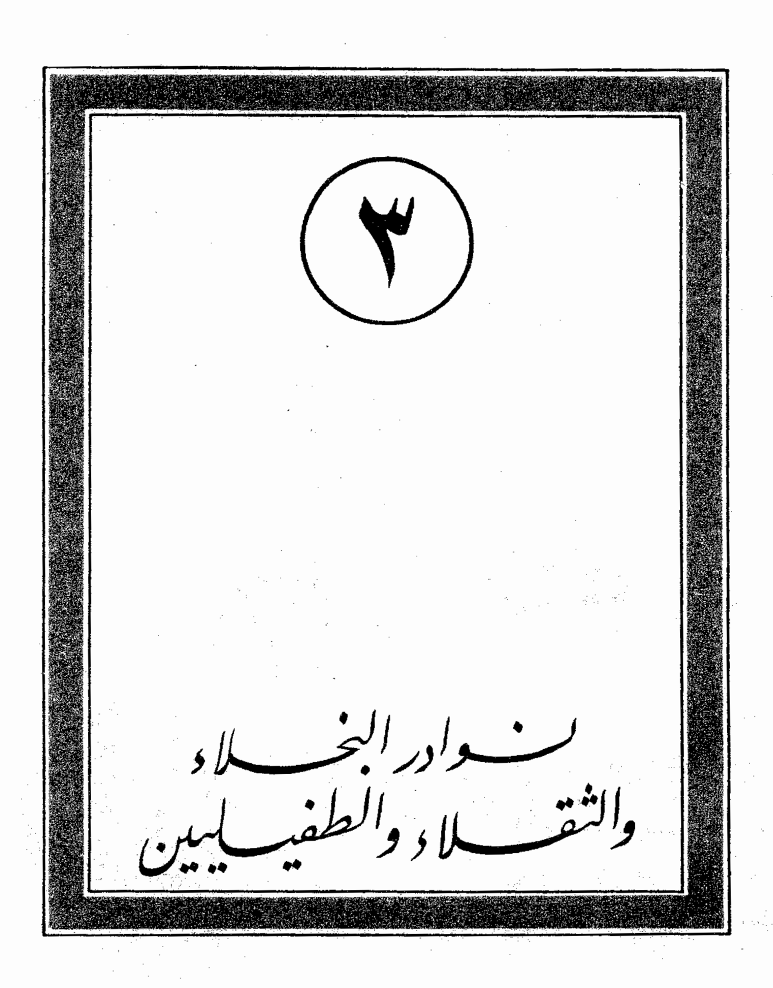
فقال المنصور : يا عمارة ، قم فاقعد مع خصمك .

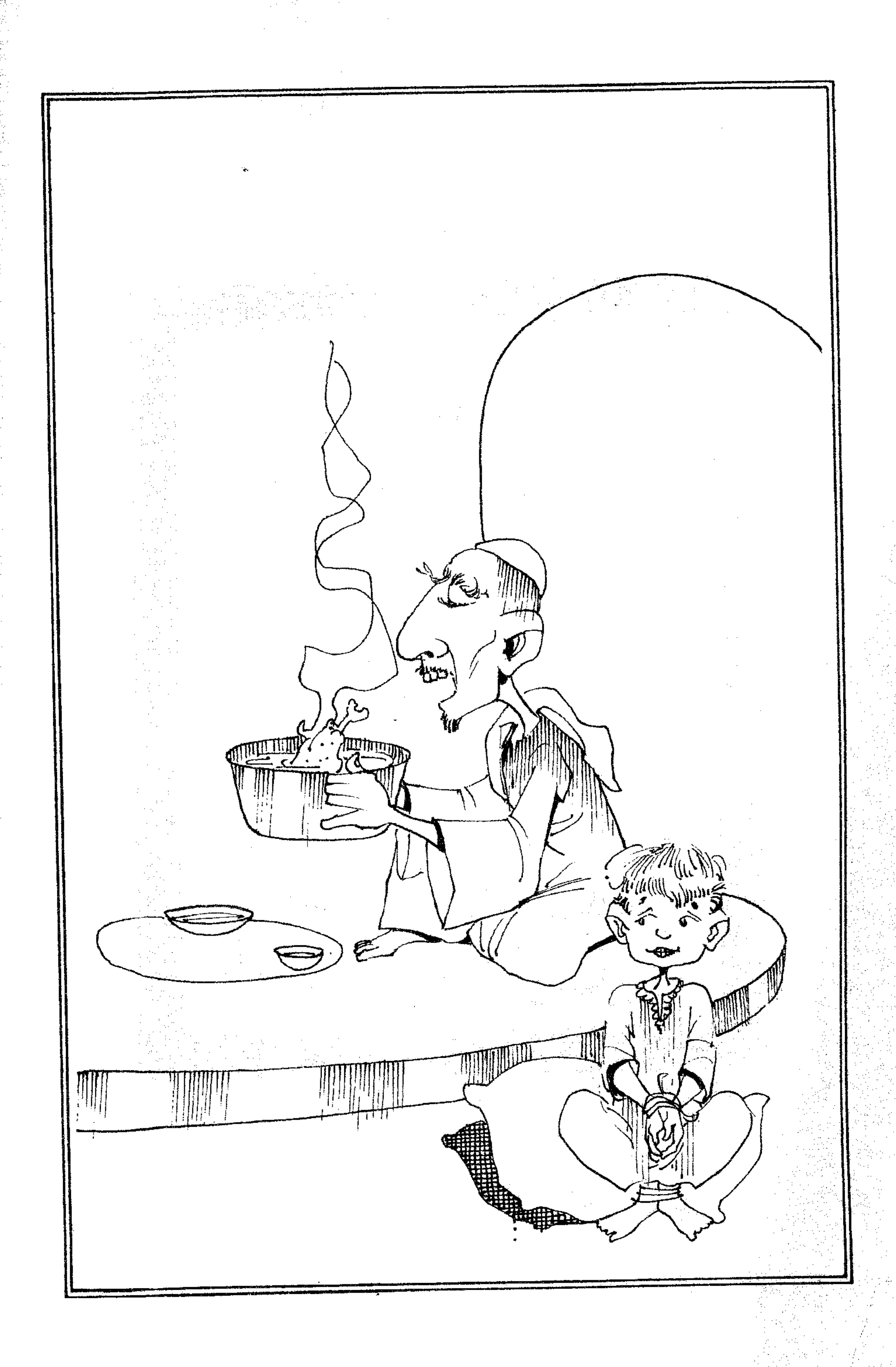
فقال : ما هو لي بخصم . إن كانت الضيعة له فلستُ أنازعه فيها ، وإن كانت لي فقد وهبتها له . ولا أقوم من مقام شرّفني به أمير المؤمنين ، وأقعد في أدنى منه لأجل ضيعة .

(العابدي: أنيس الجليس، ص ٢٨)

* * *

(١) عمارة بن حمزة (.... / ..... ١٩٩ هـ / ٨١٤ م) .
عُمارة بن حمزة بن ميمون ، من ولد عكرمة مولى ابن عبّاس : كاتب ، من الولاة الأجواد الشعراء ، كان المنصور والمهدي العبّاسيان يرفعان قدره . (الزركلي : أعلام ، ٥/١٩٢) .


٣
نوادر البخلاء
والثقلاء والطفيليين



البخل منع الحقوق ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بما آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا به يَوْمَ ٱلْقِيامة ﴾[1] . وقال رسول اللّه ﷺ : « خَصْلتان لا تجتمعانِ في مؤمنٍ : البخلُ وسُوءُ الخُلُق »[2] . وقال الإمام الحسن البصري في البخل : « لم أرَ أشقى بماله من البخيل لأنّه في الدنيا يهتمّ بجمعه وفي الآخرة يُحاسَبُ على مَنْعه ، غيرَ آمِنٍ في الدنيا من همّه ، ولا ناجٍ في الآخرة من إثْمه ، عَيْشُهُ في الدنيا عَيْشُ الفقراء وحِسابُهُ في الآخرة حسابُ الأغنياء »[3] .

ومن مساوىء البخل أنّه قد يفرّق بين الإنسان وصَحْبه ، كما يخبرنا عثمان بن منصور في واحدٍ (كان صاحباً) :

وصاحبٍ كان لي وكنتُ لهُ ... أشفقَ مِن والدٍ على وَلَدِ
كنّا كساقٍ تسعى بها قَدَمٌ ... أو كذراعٍ نِيطَت[4]إلى عَضُدِ
حتّى إذا دانتِ الحوادثُ مِن ... خَطْوي وَحَلَّ الزمانُ مِن عُقَدي[5]
احْوَلَّ[6]عنّي ، وكان ينظرُ مِن ... عيني ويَرْمي بساعدي ويَدي

(١) آل عمران / ١٨٠ .
(٢) رواه الترمذي .
(٣) النويري : نهاية الأرب ، ٧/ ٢٩٦ .
(٤) نيطت: وُصلت، رُبطت.
(٥) أي نزلت بي المصائب.
(٦) أحولَّ عنّي : تحوّل عنّي، ابتعد عنّي.

وكان لي مُؤْنِساً وكنتُ لهُ ليست بنا وَحْشَةٌ إلى أحَدِ[1]
حتّى إذا اسْتَرْفَدَتْ[2] يدي يدهُ كنتُ كمُسْتَرْفِدٍ يَدَ الأسدِ

(السيوطي : الشهاب الثاقب ، ص ٤٦)

* * *

ومن طُرف أهل خراسان في البخل :

البخل في طينتهم!

قال أحدهم : كنتُ عند شيخٍ من أهل مَرْو ، وصبيٌّ له صغيرٌ يلعبُ بين يديه . فقلت له ، إمَّا عابثاً وإمَّا مُمتحناً ، أطعمني من خبزكم . قال : لا تريده هو مرٌّ . فقلتُ : فاسقني من مائكم . قال : لا تريده ، هو مالحٌ . قلت : هاتِ لي من كذا وكذا . قال : لا تريده ، هو كذا وكذا . إلى أن عَدَدْتُ له أصنافاً كثيرة ، كلُّ ذلك يَمْنَعُنِيه ويبغّضُهُ إليَّ . فضحك أبوه وقال : ما ذنبنا ؟ هذا مَن علّمه ما تسمعُ ؟ يعني أنّ البخل فيهم وفي أعراقهم وطينتهم .

(الجاحظ : البخلاء ، ص ٢٤)

* * *

يشكّون اللحم في الخيط!

ويُقال : إنّ من عادة أهل مَرْو إذا ترافقوا في سفرٍ أن يشتري كلّ واحدٍ منهم قطعة لحمٍ ويشكُّها في خَيْط ، ويجمعون اللحم كلّه في قِدْرٍ ، ويُمسك كلُّ واحدٍ منهم طرفَ خَيْطه ، فإذا استوى جرَّ كلٌّ منهم خيطه وأكل لحمه وتقاسموا المَرَق .

(الأبشيهي : المستطرف ، ١/ ٢٣٣)

* * *

(١) أي لا نحتاج لأحدٍ يؤنسنا .
(٢) استرفدت : استعطت .

لو خرجتَ مِن جلدك لم أعرفك !

ومن أعاجيب أهل مَرْو أيضاً : أنّ رجلاً من أهل مَرْو كان لا يزال يحجّ ويتّجر ، وينزل على رجلٍ من أهل العراق ، فيكرمه ويكفيه مؤونته . ثمّ كان كثيراً ما يقول لذلك العراقي : ليت أنّي قد رأيتكَ بمَرْو ، حتى أكافئك لقديم إحسانك ، وما تجدّد لي من البرّ في كل قَدْمة[1] . فأمّا ها هنا فقد أغناك اللّه عنّي .

فعَرضتْ لذلك العراقي بعد دهرٍ طويلٍ حاجة في تلك الناحية ، فكان ممّا هوَّن عليه مكابدة السفر ووحشة الاغتراب ، مكان المَرْوَزي هُنالك . فلمّا قدم مضى نحوه في ثياب سفره وفي عِمامته وقَلَنْسَوَته[2] وكسائه ، ليحطّ رَحْلَه عنده ، كما يصنع الرجل بثقته وموضع أُنْسِهِ . فلمّا وجده قاعداً في أصحابه ، أكبَّ عليه وعانقه ، فلم يره أثبته ، ولا سأل به سؤال مَن رآه قطّ . قال العراقي في نفسه : لعلّ إنكاره إيايّ لمكان القِناع ، فرمى قناعه ، وابتدأ مساءلته ، فكان له أنكر . فقال : لعلّه أن يكون إنّما أُتِيَ[3] من قِبَل العمامة ، فنزعها ثمّ انتسب ، وجدّد مساءلته ، فوجده أشدّ ما كان إنكاراً . قال : فلعلّه إنّما أُتي من قِبل القَلَنْسوة . وعلم المَرْوَزي أنّه لم يبقَ شيءٌ يتعلّق به المتغافل والمتجاهل ، فقال : لو خرجتَ من جلدك لم أعرفك !

(الجاحظ : البخلاء ، ص ١٧)

* * *

بخل أهل الكوفة

قال بعضهم : بِتُّ عند رجلٍ من أهل الكوفة المُوسرين[4] ، وله صِبيان

(١) قدمة : قدوم. (٢) قلنسوة : نوع من ملابس الرأس.

(٣) أُتي من قِبل العمامة : أي أنّه التبس عليه الأمر فلم يعرفه بسبب العمامة.

(٤) الموسرين : الأغنياء .

نيام ، فرأيته في الليل يقومُ فيقلّبهم من جنبٍ إلى جنبٍ . فلمّا أصبحنا سألته عن ذلك . فقال : هؤلاء الصبيان يأكلون وينامون على اليَسار ، فَيَمْرِيهم[1] الطعام ، ويصبحون جياعاً ، فأنا أقلّبهم من اليسار إلى اليمين لئلا يَنْهضم ما أكلوه سريعاً !

(النويري : نهاية الأرب ، ٣/ ٣١٤)

* * *

يمنعه أن يستظلّ بظلّ بيته

ومن بخلاء العرب المشهورين الحُطَيْئة[2] . فقد حُكي عنه أنّه مرّ به ابن الحمامة وهو جالسٌ بِفِناء بيته ، فقال له : السلام عليكم ، فقال : قلتَ ما لا يُنكر . قال : إنّي خرجتُ من أهلي بغير زادٍ . قال : ما ضمنتُ لأهلك قِراك[3] . قال : أفتأذن لي أن آتيَ بظلّ بيتك فأتفيأ به ؟ قال : دونكَ الجبلَ يفيء عليك . قال : أنا ابن الحمامة . قال : انصرف وكن ابن أيّ طائرٍ شئتَ !

(النويري : نهاية الأرب ، ٣/ ٣٠٦)

* * *

واللّهِ لا ذقتَهُ يا أعرابي

ومِن بخلاء العرب المشهورين أيضاً أبو الأسود الدؤلي ، فقد قيل :

---

(١) يمريهم الطعام : يسهل هضم الطعام في مِعَدهم .

(٢) الحطيئة : (. . . ـ نحو ٤٥هـ/ ٦٦٥م) .

جَرْول بن أوس بن مالك العبسي . شاعر مخضرم ، كان هجّاء عنيفاً ، لم يكد يسلم من لسانه أحد ، حتى أنه هجا أمّه وأباه ونفسه (الزركلي : أعلام ، ٢/ ١١٨) .

(٣) قِراك : ضيافتك .

وقف أعرابيّ على أبي الأسود وهو يتغدّى ، فسلَّم ، فردّ عليه ، ثمّ أقبل على الأكل ولم يعزم عليه ، فقال له : إنّي قد مررتُ بأهلك ، قال : كذلك كان طريقك ، قال : وامرأتك حُبْلى ، قال : كذلك كان عهدي بها ، قال : قد ولَدت ، قال : كان لا بدّ لها أن تلد ، قال : ولدتْ غلامين ، قال : كذلك كانت أُمّها ، قال : مات أحدهما ، قال : ما كانت تقوى على إرضاع الاثنين ، قال : مات الآخر ، قال : ما كان ليبقى بعد موت أخيه ، قال : وماتت الأمّ ، قال : حزناً على ولدَيْها ، قال : ما أطيبَ طعامكَ ! قال : لأجل ذلك أكلتُه وحدي ، واللّه لا ذُقْتَهُ يا أعرابي !

(النويري : نهاية الأرب، ٣/ ٣١٠)

* * *

ومن نوادر البخلاء أيضاً :

أنا والقِدْر!

طبخ بعض البخلاء قِدْراً من الطعام ، وجلس يأكل مع زوجته فقال : ما أطيبَ هذا الطعام لولا كثرة الزِّحام ! فقالت امرأته : وأيّ زِحامٍ وما ثَمَّ[1] إلاَّ أنا وأنتَ . قال : كنتُ أُحبُّ أنْ أكون أنا والقِدْر !

(النويري : نهاية الأرب ، ٣/ ٣٣٢)

* * *

بخيل يطرد امرأته!

بشّرت امرأةٌ زوجها بأنّ ابنها اثّغر[2] ، فقال : أتبشّرينني بعدوّ الخبز ، اذهبي إلى أهلك .

(التوحيدي : الإمتاع ، ٣/ ٥٠)

---

(١) ثَمّ : هناك .

(٢) اثّغر : بدأ ظهور أسنانه .

يهربُ من ضيفه

قال الهيثم بن عديّ[1] : نزل على أبي حفصة[2] الشاعر رجلٌ من اليمامة[3] ، فأخلى له المنزل ، ثمّ هرب مخافة أن يلزمه قِراه[4] في هذه الليلة . فخرج الضيف واشترى ما احتاج إليه ثمّ رجع وكتب إليه :

يا أيُّها الخارجُ مِن بيتهِ وهارباً مِن شِدّة الخوفِ
ضيفُكَ قد جاء بزادٍ له فارْجِعْ وكُنْ ضَيْفاً على الضيف

(الأبشيهي : المستطرف ، ١/ ٢٣٤)

* * *

رغيف البخيل

قال عبّاس الخيّاط :

لأبي عيسى رَغيفٌ فيه خمسون عَلامَهْ
فعلى جانبه الوا حدِ ، لُقِّيتَ الكرامَهْ
ثمّ لا ذاقَكَ لي ضيـ ـفٌ، إلى يوم القيامَهْ
وعلى الآخر سَطْرٌ نسألُ اللّه السلامَهْ

(البغدادي : البخلاء ، ص ١٦٩)

* * *

---

(١) الهَيْثم بن عَديّ (١١٤هـ/٧٣٢م - ٢٠٧هـ/٨٢٢م) .
هو الهيثم بن عديّ الطائي الكوفي : مؤرّخ، عالم بالأدب والنسب (الزركلي : أعلام، ١٠٤/٨) .

(٢) أبو حفصة : لعلّه والد الشاعر مروان بن أبي حفصة الذي كان مولى لمروان بن الحكم (الزركلي : أعلام، ٩٥/٨) .

(٣) اليمامة : بينها وبين البحرين مسير عشرة أيام، فتحها خالد بن الوليد (رض) في أيام أبي بكر الصدّيق .

(٤) قراه : ضيافته .

الدرهم للأجير وطنينه للمستأجر

ذكر أحدهم أنّ رجلاً من البخلاء استأجر مُحتطِباً فاستكثر الأجر، فطمع في مشاركته في العمل لينقص من الأجر، فجلس يقول: (هِيه) بكلّ ضربةٍ ضربها المحتطب. فلمّا انتهى أعطاه نصف الأجرة، فتخاصما إلى حاكمٍ، وكان من الظرفاء، فقال: هاتِ الأجرة أُقسم لكما، فشرع يلقي درهماً درهماً على صندوق ويقول: الدرهم للأجير وطنينه للمستأجر!

(الغزّي : المراح ، ص ٣٤ ـ الحاشية)

* * *

ما كنتَ تفعل لو أكلتُ رغيفاً؟

أنشد أبو طالب البريدي الرازي لبعض أهل دمشق :

ودعوتَني فأكلتُ عندكَ لُقمةً ... وشربتُ شُرْبَ مَن اسْتَتَمَّ[1] خَروفا
وسألتني في إثْرِ ذلك حاجةً ... ذَهَبتْ بمالي تالِداً وطَريفا[2]
فجعلتُ أُفكر فيكَ باقي لَيْلتي ... ما كنتَ تفعلُ لو أكلتُ رغيفا؟!

(البغدادي : البخلاء ، ص ١٠٩)

* * *

(١) استتمّ خروفاً : أكل الخروف بتمامه .
(٢) المال الطريف : المستحدث . والتليد: القديم الموروث .

يَعده ويُخْلف

كان لمحمود الورّاق[1] صديقٌ ، وكان يغشاه[2] كثيراً ، فربّى عنده دجاجاً سِماناً فيعده بذبحها ويُخْلِفه . فلمّا طال هذا على محمود كتب إليه :

دَجاجُ أبي عثمانَ أبْعَدُ منْظراً ... وأطولُ أعماراً مِن الشمس والقَمَرْ
فإنْ لم نَمُتْ حتّى نفوزَ بأكلها ... حَيِيتُ - بإذنِ اللّه - ما أوْرَقَ الشَجَرْ

(البغدادي : البخلاء ، ص ١٢٦)

* * *

دعاه وأخّر الطعام !

ومن طُرف نوادر أبي عبد اللّه بن الحجّاج[3] في رجلٍ دعاه وأخّر الطعام إلى المساء ، فقال :

يا ذاهباً في دارِهِ جائياً ... بغيرِ معنىً وَبِلا فائِدَهْ
قد جُنَّ أضيافُكَ مِن جُوعِهِمْ ... فاقْرَأْ عليهم سُورَةَ المائِدَهْ

(الثعالبي : خاص الخاص ، ص ١٦٨)

* * *

---

(١) محمود الورّاق (. . . - نحو ٢٢٥هـ/٨٤٠م) .
هو محمود بن حسن الورّاق ، شاعرٌ أكثر شعره في المواعظ والحكم ، وهو صاحب البيت المشهور :
إذا كان وجه العُذر ليس ببيّنٍ ... فإنّ اطّراحَ العذرِ خيرٌ مِن العُذْرِ
(الزركلي : أعلام ، ٤٢/٨) .

(٢) يغشاه : يتردّد عليه .

(٣) عبد الله بن الحجّاج (. . . - نحو ٩٠هـ/٧٠٨م) .
لعلّه هو عبد الله بن الحجاج المازني : شاعر ، له أخبار كثيرة غريبة (الزركلي : أعلام ، ٧٧/٤) .

لِمَ لا تدعوني إلى طعامك؟

قال رجل لبعض البخلاء : لِمَ لا تدعوني إلى طعامك ؟ قال : لأنّك جيّد المضغ سريع البَلْع ، إذا أكلتَ لقمةً هيّأتَ أُخرى ، فقال : يا أخي ، أتريد إذا أكلتُ عندك أن أُصلّي ركعتين بين كلِّ لقمتين ؟

(النويري : نهاية الأرب ، ٣/ ٣٣١)

* * *

« صُوموا تصحّوا »

قال أبو محمّد عبد المُحسن الصُّوري[١] :

وأخٍ مَسَّهُ نُزولي بِقَرْحٍ ... مثلما مسّني مِن الجوع قَرْحُ[٢]
بتُّ ضيفاً له ، وقد حكمَ الدهـ ... ـرُ وفي حُكمِهِ على الحُرِّ قُبْحُ
فابْتَداني يقولُ وهو من السَّكْـ ... ـرَةِ طافِحٌ فيها ليس يَصْحُو[٣]
لِمْ تَغَرّبْتَ ؟ قلتُ : قالَ رسولُ اللّـ ... ـهِ والقولُ منهُ نُصْحٌ وَنُجْحُ[٤] :
«سافروا تَغْنَمُوا»فقال: وقد قا ... لَ تمام الحديثِ: «صُوموا تَصحّوا»

(البغدادي : البخلاء ، ص ٧٣)

* * *

---

(١) عبد المحسن الصوري (٣٣٩هـ/ ٩٥٠م - ٤١٩هـ/١٠٢٨م) .
شاعر من أهل صور في بلاد الشام، ولد ومات فيها (الزركلي: أعلام، ٤/ ١٥٢) .
(٢) مسّه : أصابه. نزولي : أي نزولي في ضيافته . قرح: جُرح .
(٣) السكرة : الغَيْظ. طافح : ملآن .
(٤) نجح : نجاح .

صَوْمي دائم!

وقال أحدهم في بخيل :

أتيتُ عَمْراً سَحَرًا فقال : إنّي صائمُ
فقلت : إنّي قاعدُ فقال : إنّي قائمُ
فقلت : آتيكَ غداً فقال : صَوْمي دائمُ

(البغدادي : البخلاء ، ص ٧٣)

* * *

البخيل واللحم

قال رجلٌ من البخلاء لأولاده : اشتروا لي لحماً ، فاشتروه ، فأمر بطبخه . فلمّا استوى أكله جميعه حتّى لم يبقَ في يده إلّا عَظْمة ، وعيون أولاده تَرْمُقُهُ[1] ، فقال : ما أُعطي أحداً منكم هذه العظمة حتّى يُحسن وصف أكلها . فقال ولده الأكبر : أُمَشْمِشُها[2] يا أبتِ وأُمَصْمِصُها حتّى لا أدع للذرِّ[3] فيها مَقيلاً[4] ، قال : لستَ بصاحبها . فقال : الأوسط : أُلوكها يا أبتِ وألحسها حتّى لا يدري أحدٌ لعامٍ هي أم لعامين ، قال : لستَ بصاحبها . فقال الأصغر : يا أبتِ ، أمصُّها ، ثمّ أدقُّها وأسفُّها سَفًّا ، قال : أنتَ صاحبها ، وهي لَكَ ، زادكَ اللّه معرفةً وحزماً .

(الأبشيهي : المستطرف ، ١/ ٢٣٧)

* * *

(١) ترمقه : تطيل النظر فيه .
(٢) أمشمشها : أمسحها وألحسها .
(٣) الذرّ : صغار النمل .
(٤) المقيل : الموضع تستظلّ به .

رغيف البخيل

قال أحدهم في ذلك :

يجــوعُ ضيفُ أبي نُــو ح ٍ بُــكْـرةً وَعَــشِــيَّــهْ
أجــاع بــطني حتّــى وجــدتُ طعمَ المنيّـةْ[1]
وجــاءَنــي بــرغِــيــفٍ قــد أدركَ الــجــاهِليّــةْ
فقمتُ بــالفَــأْس كَيْمَــا أدُقّ مــنــهُ شَــظِيّــةْ[2]
فــثلَّمَ الــفــأْسَ وَانْـصَــاعَ مثلَ سَهْمِ الرميَّـةْ[3]
فــشَــجَّ رأسي ثــلاثــاً ودَقَّ مــنّــي ثَــنــيَّــةْ[4]

(البغدادي : البخلاء ، ص ١٦٦)

* * *

ربحتُ ثواب الصوم!

قال أحمد بن كُشاجم فيما جرى له عند أحد الأصدقاء البخلاء :

صديقٌ لنا مِن أَبــرعِ النــاسِ في البخــلِ
وأفــضلِهــم فــيــه ، ولــيس بــذي فَـضْــلِ
دعــاني كمــا يــدعــو الصــديقُ صَــديقَــهُ
فــجئــتُ كــمــا يــأتــي إلـي مثـلهِ مِثْــلي
فــلمّــا جَــلســنــا لــلطعــامِ رأيــتُــهُ
يَــرى أنّــه مِن بعضِ أعــضــائِــهِ أكْــلِي

(١) المنيّة : الموت .
(٢) شظيّة : قطعة .
(٣) ثلّم : أحدث فيه خللاً وكسوراً . الرميّة : الصيد يُرْمى .
(٤) شجّ : جرحَ . ثنيّة : أسنان مقدّم الفم .

ويـغـتـاظُ أحـيـانـاً ويـشـتـمُ عـبـدَهُ
وأعـلـمُ أنّ الـغَـيْظَ والـشـتـمَ مِـن أَجْـلي
فـأقـبـلـتُ أسـتـلُّ الـغـداءَ مَـخَـافـةً
وألـحـاظُ عَـيْنَيْـهِ رقيبٌ عـلى فِـعْـلي
أمُـدُّ يَـدي سِـرًّا لأسـرقَ لُـقـمـةً
فَـيَلْحَـظُني شَـزْراً فـأَعبـثُ بـالـبَـقْـلِ[1]
إلـى أنْ جَنَـتْ كَفِّـي لِحَتْفِي[2] جنـايـةً
وذلـك أنّ الـجُـوعَ أعـدمـنـي عَـقْـلي
فَـجَـرَّتْ يَـدي لِـلْحيـنِ رِجْـلَ دجـاجـةٍ
فَجُرَّتْ ، كما جَـرَّتْ يدي رِجْلَهـا ، رِجْلي
وقَـدَّمَ مِـن بَـعْـدِ الـطعـامِ حَـلاوةً
فـلم أسـتـطِعْ فـيـهـا أَمِـرُّ ولا أُحْـلِي[3]
وقـمـتُ لَـوَ آنّـي كـنـتُ بَـيّـتُّ نِـيّـةً
ربحتُ ثـوابَ الصـومِ مـع عـدمِ الأكـلِ

(النويري : نهاية الأرب ، ٣/ ٣٢٢)

* * *

خبز مكتوب وقِدْر مختوم

وقال أحدهم في بخيل :

يكتبُ بـالحبـرِ على خُبـزهِ والـلّهِ لا يـأكـلُهُ الـجـارُ
ويسـألُ الخـادمَ مِن بُخلهِ أيُّ رغـيـفٍ فـيـهِ آثـارُ

(١) يلحظني شزراً : ينظر إليَّ بجانب عينه مع غضب . البقل : النباتات العشبيّة التي يتغذّى بها الإنسان .

(٢) الحتف : الموت .

(٣) أمرّ : من المرارة . أحلي : من الحلاوة .

ويختتمُ القِـدْرَ عـلى أهلهِ   وَيَشْعَبُ[1] العَـظْمَ بمسمـارِ
والمـاءُ في منزلـهِ طُـرْفـةٌ   يشـربُـه النـاسُ بمقـدارِ

(البيهقي : المحاسن والمساوىء ، ص ٢٥٨)

* * *

ما أكثر الشحاذين!

اشترى أحد البخلاء داراً وانتقل إليها . فوقف ببابه سائلٌ ، فقال له البخيل : يفتحُ اللَّه عليكَ . ثمّ وقف ثانٍ ، فقال له مثل ذلك . ثمّ وقف ثالث ، فقال له مثل ذلك . فالتفتَ إلى ابنته فقال لها : ما أكثر السُّؤآل في هذا المكان !

فقالت : ما دامت الأعطيات على هذا المنوال فلا بأس علينا .

(العمري : من كلّ وادٍ حجر ، ص ٥٠)

* * *

الضيف الثقيل

نزل رجلٌ عند قومٍ وأطال الضيافة ، فكرهوا إقامته . فقال الزوج لزوجته : كيف لنا أن نعلم مقدار إقامته ؟ قالت : نتشاجر غداً ونتحاكم إليه لِلْعلم متى يرحل . فتشاجرا ، وقالت الزوجة للضيف : أستحلفك باللَّه الذي يبارك لك في سفرك غداً ، أيُّنا أظلم ؟ فقال الضيف : واللَّه الذي يبارك لي في إقامتي عندكما شهراً ، ما أعلم أيّكما أظلم !

(الحوفي : الفكاهة ، ٢/ ١٤)

* * *

---

(١) يشعب: يشقّ .

الزائر الثقيل

ومن التندّر بالثقل قول البهاء بن زهير في زائرٍ سَمج :

وعــائــدٍ هــو سُــقْــمٌ لكلِّ جسمٍ صحيحِ
لا بــالإشــارةِ يــدري ولا الكـلامِ الصريـحِ
ولـيس يـخـرجُ حـتّـى تـكـادَ تـخـرجُ رُوحـي

(البهاء : ديوان ، ص ٣٨)

* * *

الصديق الثقيل

قال محمّد بن مزّاح الأزدي[1] :

لــنــا صــديــقٌ زائــدٌ ثِــقْــلُه فَــظِــفْــرُهُ كــالجبــل الــراسي
تحملُ منه الأرضُ أضعافَ ما تــحـمـلُهُ مِن ســائــر الــنــاسِ

وقد ألمَّ في ذلك بقول بعض الأندلسيين :

لــيس بــإنــســانٍ ولــكــنّــه يحسبــهُ النــاسُ مِــن النــاسِ
أثــقــلُ في أَنْــفُسِ إخــوانِــه مِــن جــبــلٍ راسٍ على راس[2]

(الصفدي : الوافي ، ٥/ ١٧)

* * *

في ثقيل

وقال أبو عمارة الصوفي :

(١) محمد بن مزّاح الأزدي (ت ٥٤٠هـ/١١٤٥م) .
راجع : شذرات الذهب ٤/ ١٢٦ .

(٢) جبل راس : ثابت، راسخ .

ثـقـيــلٌ بَــراهُ الــلَّهُ أثــقــلَ مَــن بَــرا[1]
ففي كـلّ قلبٍ بُغْضَـةٌ منـهُ كـامِـنَـهْ
مشى فـدعـا مِـن ثِقْـلهِ الحـوتُ ربَّـهُ
فقـال : إلهي زدتَ في الأرض ثـامِنَـهْ[2]

(الثعالبي : يتيمة ، ٢/ ٤٤٤)

* * *

حـدّ الـشِّبَـع

قيل لجمّالٍ[3] : ما حدُّ الشِّبع ؟

قال : أنا أواصلُ الأكل فما أعرف الحدَّ ، ولو كنتُ انتهي لوصفتُ الحال فيه ، أعني أنّي ساعة ألتُّ[4] الدقيق ، وساعة أشرب لبن اللِّقاح[5] ، فليس لي فراغٌ فأدري أنّي بلغتُ مِن الشّبع ، إلّا أنّني أعلم في الجملة أنّ الجوع عذابٌ وأنّ الأكل رحمةٌ ، وأنّ الرحمة كلّما كانت أكثر ، كان العبد إلى اللّه أقرب ، والله عنه أَرضى .

(التوحيدي : الإمتاع ، ٣/ ٢٣)

* * *

قتيل القطائف !

قال جَحْظة البرمكي[6] : سلّمتُ على بعض الرؤساء ، وكان مبخّلاً ،

(١) برا : برَأ ، أي خلق .
(٢) أي زدت عجيبة ثامنة على عجائب الدنيا السبع .
(٣) جمّال: قائد الجِمال .
(٤) ألتّ : أعجن .
(٥) اللقاح: الناقة .
(٦) جَحْظة البرمكي (٢٢٤هـ/٨٣٨م - ٣٢٤هـ/٩٣٥م) .

فلمّا أردتُ الانصراف ، قال : يا أبا الحسن ، « إيش » تقول في قطايف بائتة ؟ ولم يكن له بذلك عادة ، فقلت : ما آبى[1] ذلك . فأحضر لي جاماً[2] فيه قطايف قد خَمّت ، فأوجفتُ[3] فيها وصادفَتْ منّي سَغْبة[4] ، وهو ينظر إليّ شَزْراً[5] ، فقال لي : إنّ القطايف إذا كانت بجوزٍ أَتْخَمَتْكَ ، وإذا كانت بلَوْزٍ أَبْشَمتكَ[6] ، قلت : هذا إذا كانت قطايف ، وأمّا إذا كانت مصوصاً[7] فلا ، وقلت لوقتي :

دعاني صديقٌ لي لأكلِ قطائفِ ... فأمعنتُ فيها آمناً غير خائفِ
فقال وقد أنضجتُ بالأكل قلبه : ... تَرفّقْ قليلاً فهي إحدى المتالفِ[8]
فقلتُ له : ما إن سمعنا بميّتٍ ... يُناحُ عليه : يا قتيل القطايفِ

(الصفدي : الوافي ، ٦/ ٢٨٩)

* * *

طمع أشعب

قيل لأشعب[9] : ما بلغ طمعكَ ؟ قال : أرى دخان جاري فأفتُّ

= هو أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن بَرْمك . لقّبه ابن المعتزّ ، فقال له : ما حيوانٌ إذا قُلِب صار آلة للبحريّة ؟ فقال : عَلَقٌ ، إذا عُكس صار « قِلْعاً » . فقال : أحسنتَ يا جحظة ، فلزمه هذا اللقب (المصدر ذاته) .

(١) آبى : أرفض .

(٢) الجام : وعاء يوضع فيه الطعام (فارسية) .

(٣) أوجفت : اضطربت لرؤيتها .

(٤) سغبة : جوع .

(٥) ينظر إليّ شزراً : أي بمؤخرة عينه .

(٦) أبشمتك : أشبعتك وأتخمتك .

(٧) المصوص : اللحم الذي يُطبخ وينقع بالخل ، أي فقدت خصائص القطايف .

(٨) المتالف : المهالك .

(٩) أَشْعَب (٩ هـ / ٦٣٠ م - ١٥٤ هـ / ٧٧٠ م) .

هو أشعب بن جبير المدني الذي يُضرب به المثل في الطمع ، صاحب النوادر المشهورة ، وهو خال الأصمعي (ابن شاكر الكتبي : فوات ، ١/ ٣٨) .

خبزي ، وما رأيتُ رجلين يتسارّان[1] في جنازةٍ إلاّ قدّرتُ أنّ الميت أوصى لي بشيءٍ من ماله ، وما زُفّت عروسٌ إلا كنستُ بيتي رجاء أن يغلطوا فيدخلوا بـهـا إلـيَّ .

(التوحيدي : الإمتاع ، ٣/ ٨٣)

* * *

الغلام الجَشِع

قال الأصمعي : كنّا عند الرشيد[2] ، فقدّمت إليه فالوذجة[3] ، فقال : يا أصمعي ، حدّثنا بحديث مُزَرِّد[4] ، فقلت : إنّ مُزَرِّداً أخا الشمّاخ[5] كان غلاماً جَشِعاً[6] ، وكانت أمّه تُؤثِرُ[7] عيالها بالطعام عليه ، وكان ذلك يُحْفظه[8] . فخرجَتْ أمّه ذات يومٍ تزور بعض أهلها ، فدخل مزرّد الخيمة وعمد إلى صاعَيْ دقيقٍ وصاعٍ[9] من تمرٍ وصاعٍ من سَمن ، ثمّ جعل يأكل وهو يقول :

---

(١) يتسارّان : يتحدّثان سِرًّا .

(٢) الرشيد: هارون الرشيد.

(٣) فالوذج: نوع من الحلوى .

(٤) مُزَرِّد (. . . - نحو ١٠هـ/٦٣١م) .

هو مزرّد بن ضرار الذبياني الغطفاني : فارس شاعرٌ جاهلي، أدرك الإسلام في كبره وأسلم، كان خبيث اللسان هجّاءً ، حلف لا ينزل في ضيف إلاّ هجاه ، وهو القائل في وصف أشعاره في الهجاء :

ومَنْ نَـرْمِـهُ منهـا ببيـتٍ يـلحْ بـه   كشَامـةِ وجـهٍ ، ليس للشام غـاسـلُ

(الزركلي : أعلام ، ٨/١٠١) .

(٥) الشمّاخ (. . . - ٢٢هـ/٦٤٣م) .

هو الشمّاخ بن ضرار الذبياني : شاعر مخضرم ، وهو من طبقة لبيد العامري والنابغة الذبياني . وكان من أرجز الناس على البديهة (الزركلي : أعلام ، ١٧٥/٣) .

(٦) جشعاً : طمّاعاً، أكولاً .

(٧) تُؤثر : تُفضّل .

(٨) يحفظه : يغضبه .

(٩) صاع : مكيال صغير .

ولمّا غَـدَتْ أمّي تميـرُ بنـاتِهـا أغَرْتُ على العِكْمِ الذي كان يُمْنَعُ[1]
لَبَكْتُ بصَاعَيْ حِنْطَةٍ صاعَ عَجْوةٍ إلى صاعِ سَمْنٍ فوقـهُ يَتربّـعُ[2]
وَدَبَّلْتُ أمثـالَ الأثـافي كـأنّهـا رُؤوسُ نِقادٍ قُطِّعَتْ يومَ تُجْمعُ[3]
وقلتُ لبـطني : أَبْشِـرِ اليـومَ إنّـهُ حِمَى أُمِّنـا بمـا تحـوزُ وتَـرْقَـعُ
فـإن كنتَ مَصْفُـوراً فهـذا دَواؤُهُ وإن كنتَ غَرْثاناً فَذا يومَ تشبعُ[4]

فضحك الرشيد حتّى استلقى على ظهره ، ثمّ قال : كُلوا باسم اللّه ، هذا يوم تشبع يا أصمعي .

(ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ٤/ ٢٠٤)

* * *

وصيّـة بُـنَان[5]

قال يُوصي بعض أصحابه : إذا قعدتَ على مائدةٍ وكان موضعك ضيّقاً فقل للذي يليكَ : لعلّي ضيّقتُ عليكَ فإنّه يتأخّر إلى خلف ، ويقول : موضعي واسْعٌ ،فيتّسع عليك موضع رَجُلٍ .. وقال له طفيلي أُوصِني ، فقال : لا تصادفنّ من الطعام شيئاً فترفع يدك عنه وتقول : لعلّي أصادفُ ما هو أطيب

(١) تمير : تأخذ الطعام لهنّ . أغرتُ : هجمتُ . العِكْم : ثوب تجعل فيه المرأة ما تدّخره .
(٢) لبكت : خلطت . الحنطة : الدقيق .
(٣) دبلت : أصلحت . الأثافي : الأحجار التي توضع فوقها القِدْر . النقاد : جنس من الغنم قصير الأرجل .
(٤) المصفور : مَن أمرضه الجوع فاصفرّ لونه . غرثان : جائع .
(٥) بُنان الطّفَيْلي : هـو عبد الله بن عثمـان ، ويكنّى أبو الحسن ، ولقبـه بُنان ، وأصله مَرْوَزي (نسبة الى مَرْو خراسان) ، وأقام في بغداد ، وكان نقش على خاتمه : « مَالَكُم لا تأكلون » (المصدر ذاته) .

منه ، فإنّ هذا عجزٌ وَوَهَنٌ[1] . قال : زدني ، قال : إذا وجدتَ خبزاً فيه قِلّة ، فكل الحروف ، فإن كان كثيراً فكل الأوساط . قال : زدني . قال : لا تُكثر شرب الماء وأنت تأكل ، فإنّه يصدّك عن الأكل ويمنعك من أن تستوفي . قال : زدني . قال : إذا وجدتَ الطعام فكل منه أَكْلَ مَن لم يره قطّ ، وتزوّد منه زادَ مَن لا يراه أبداً . قال : زدني . قال : إذا وجدْتَ الطعام ، فاجعله زادك إلى اللّه تعالى ، وقال : إذا دعاكَ صديقٌ لك ، فاقعد يَمْنةَ البيت فإنّك ترى ما تحبّ ، وتسودهم في كلّ شيء ، وتسبقهم إلى كلّ خير ، وأنتَ أوّل مَن يغسل يده والمنديل جافّ ، والماء واسعٌ ، والخِوان[2] بين يديك يُوضع ، والنبيذ أوّل القِنّينة ورأسها تشربه ، والنَّقْلُ[3] مُنتخب ، يُوضع بين يديك وتكون أوّل مَن يتبخّر ، فإذا أردتَ أن تقومَ لحاجةٍ لم تحتج أن تتخطّاهم ، وأنت في كلّ سرورٍ إلى أن تنصرف .

(النويري : نهاية الأرب ، ٣/ ٣٣٢)

* * *

أمــاني طُفَيْلي !

قصد قومٌ من الطُّفيليين إلى وليمةٍ فقال رئيسهم : اللّهمَّ ، لا تجعل البوّاب لكّازاً في الصدور ، دفّاعاً في الظهور ، طرّاحاً للقلانس[4] . اللهمَّ ،

---

(١) الوهن : الضعف .

الطفيلي : هو الرجل الذي يدخل وليمةً ولم يُدع إليها ، وهو منسوب إلى رجلٍ اسمه طُفَيْل .

وأشهر مَن نُسب إليه هذا الاسم وكَثُرت عنه الحكايات بُنان الطُّفَيْلي[5] .

(٢) الخوان : ما يوضع عليه الطعام (فارسية) .

(٣) النقل : ما يُتَنَقّل به على الشراب .

(٤) القلانس : جمع قَلَنْسوة ، وهي نوع من ملابس الرأس .

هَب لنا رأفته ورحمته ويُسْره ، وسهِّل علينا أُنْسَه . فلمّا دخل الطفيليون البيت تلقّاهم البوّاب ، فقال أحدهم : غُرّة[1] مباركة موصولٌ بها الخِصْب ، معدومٌ معها الجَدْب .

فلمّا جلسوا على الخِوان قال آخر : جعلكَ اللّه كعصا موسى ، وخِوان إبراهيم ، ومائدة عيسى في البركة .

ثمّ قال رئيسهم لأصحابه : افتحوا أفواهكم وأقيموا أعناقكم ، وأجيدوا اللفَّ ، وأَتْرِعوا[2] الأكفَّ ، ولا تمضغوا مضغ المتعلّلين الشِّباع المُتْخَمِين ، واذكروا سُوءَ المُنْقَلَب وخيبة المضطرب ، كلوا على اسم اللّه تعالى .

(مجلّة العربي - الكويت ، عدد نيسان ١٩٨٣)

* * *

من أخبار الطفيليين

نظر رجلٌ من الطفيليين إلى قومٍ من الزنادقة يُسار بهم إلى القتل ، فرأى لهم هيئة حسنة ، وثياباً نفيسة ، فظنّهم يُدعون إلى وليمةٍ ، فتلطّف حتّى دخل في لفيفهم وصار واحداً منهم . فلمّا بلغ صاحب الشرطة قال : « أصلحك اللّه ، لستُ واللّه منهم ، وإنّما أنا طُفيلي ظننتهم يُدعون إلى صنيعٍ فدخلتُ في جملتهم ! فقال : ليس هذا مما يُنجيكَ مِنّي ، اضربوا عنقه ! فقال : أصلحك اللّه ، إن كنتَ ولا بدّ فاعلاً ، فَأْمر السيّاف أن يضرب بطني بالسيف ، فإنّه هو الذي ورّطني هذه الورطة ! فضحك صاحب الشرطة ، وكشف عنه ، فأخبروه أنّه طفيلي معروف . فخلّى سبيله .

(العطيري : أدبنا الضاحك ، ص ٢١٦)

* * *

---

(١) غرّة مباركة : طَلْعة مباركة .
(٢) أترعوا : إملأوا .

فهذا مُكْدٍ (شحّاذ) ينصح لابنه بأن يُكْدِي ، فيعرض أمامه المكاسب كلّها ، فما يزال يبيّن مساوئها ويُظهر معايبها ، حتى يُقنع ابنه بأن الكُدْية سيّدة الحِرَف وينبوع الخيرات ، حين يقول :

« يا بنيَّ ، إنّي جرّبتُ حقائق الأمور ، وبَلَوْتُ تَصاريفَ الدهور ، فرأيتُ المرءَ بَنَشَبه[1] لا بنسَبه ، والفحص عن مكسبه لا عن حَسَبه ، وكنت سمعتُ : « أنَّ المعايش إمارة وتجارة وزراعة وصناعة ، فمارستُ هذه الأربع لأنظر أيّها أوْنَق[2] وأنفع ، فما استرغدتُ[3] فيها عيشة . أمّا فُرَص الولايات وخُلَس[4] الإمارات فأضغاث أحلام . . . وأمَّا بضائع التجارات فَعُرْضَةٌ للمخاطرات وطُعْمَةٌ للغارات . وأمّا اتّخاذ الضِّياع فمنهكةٌ للأعراض ، وأمَّا حِرف الصناعات فغير فاضلةٍ عن الأقوات ، ولا نافعة في جميع الأوقات . . . ولم أرَ ما هو بارد المَغْنَم ، لذيذ المَطْعَم ، وافي المَكْسَب ، صافي المَشْرَب إلاَّ الحرفة التي وضع ساسانُ أساسها ونوَّع أجناسها . فشهدتُ وقائعها مُعْلَماً ، واخترتُ سيماها لي مِيْسَماً[5] . إذ كان المَتْجَر الذي لا يَبُور[6] ، والمَنْهَل الذي لا يَغُور[7] ، والمصباح الذي لا يَعْشُو[8] إليه الجمهور ، ويستصبح به العُمْيُ والعُور . ولقد كان أهلها أعَزّ قَبيلٍ[9] ، وأسعد جيلٍ ، لا يُرهقهم مسّ الصيف ، ولا يُقلقهم سَلّ السيف ، ولا يَرهبون ممن برقَ ورعدَ ، ولا يحفِلون[10] بمَن قام وقعدَ . أنديتهم مُنَزَّهَةٌ ، وقلوبهم مُرَفَّهَةٌ ، وطُعَمُهم مُعجّلة . أينما سقطوا لقطُوا ، وحيثما انخرطوا خَرَطُوا ، لا يتّخذون أوطاناً ولا يَرْهَبون سُلطاناً » .

(المنجّد : الظرفاء والشحاذون ، ص ١١٨)

---

(١) النشب: المال والعقار .
(٢) أونق : أحسن .
(٣) استرغدت : استطيبت .
(٤) الخُلَس : الفُرص المناسبة .
(٥) معلماً : علامة فارقة . ميسماً : علامة يُعرف بها .
(٦) يبور : يكسد .
(٧) يغور : يذهب في الأرض .
(٨) أي لا يقصده الجمهور .
(٩) قبيل : جماعة .
(١٠) يحفلون : يهتمون .

أنتَ حــرّ !

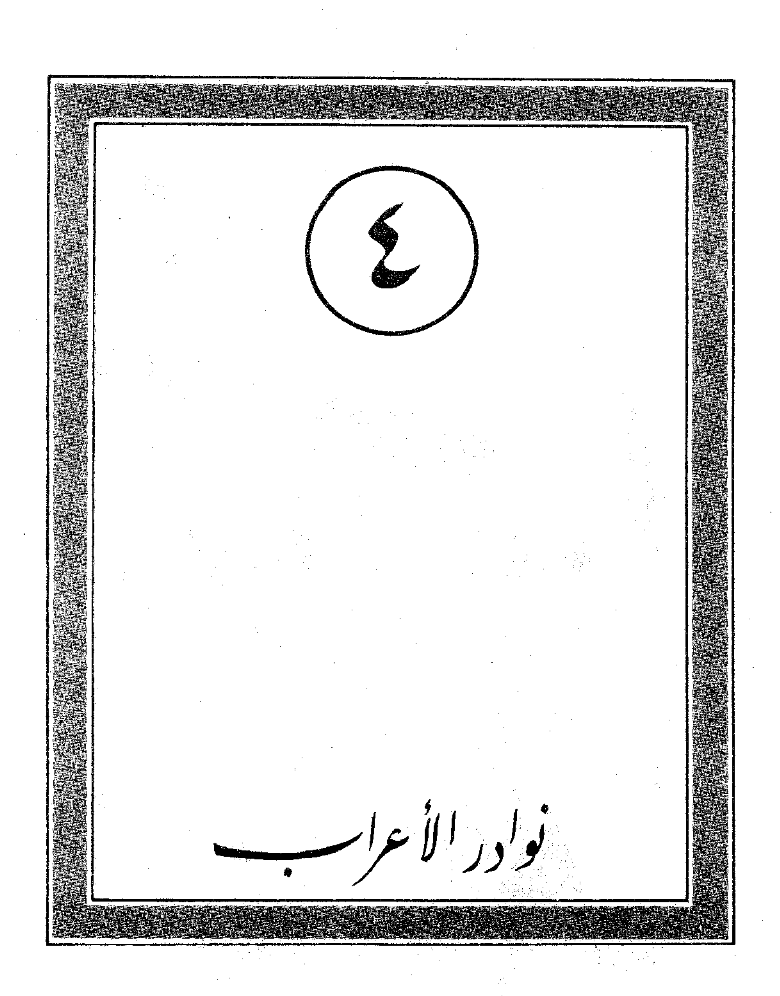
قال أحد البخلاء الأغنياء لخادمه : هاتِ الطعام . . وأَغلق الباب . فقال الخادم : يا سيّدي ، هذا خطأ !

قال : ولماذا ؟

قال الخادم : قل أَغلق الباب . . وهاتِ الطعام .

فقال له السيّد : أنت حرّ لوجه الله . . لمعرفتك بعزم الأمور .

(العربي : تشرين / ٢، ١٩٨٥)


٤
نوادر الأعراب



حضور البديهة

يروي الأصمعي عن ذكاء الأعراب وحضور بديهتهم التي تتجلّى حتّى في صبيانهم فيقول : قلت لغلامٍ حَدَث السنِّ من أولاد العرب : أيسرُّكَ أن يكون لك مائة ألف درهم وأنّك أحمق ؟

فقال : لا ، واللّه . قلتُ : ولِمَ ؟ قال : أخاف أن يجني عليّ حُمقي جنايةً تذهب بمالي ويبقى عليّ حُمقي !

(ابن الجوزي : أخبار الأذكياء ، ص ٢١٣)

* * *

الأعرابي يقسّم الدجاجات !

قدم أعرابيٌّ من أهل البادية على رجلٍ من أهل الحضر[١] ، فأنزله[٢] ، وكان عنده دجاجٌ كثيرٌ وله امرأة وابنان وبنتان . قال : فقلتُ لامرأتي : إشوي

(١) أهل الحضر : سكّان المدن .

(٢) فأنزله : أنزله ضيفاً في بيته .

لنا دجاجةً وقدّميها إلينا نتغذّى بها . وجلسنا جميعاً ودفعنا إليه الدجاجة فقلنا : اقسمها بيننا ، نريد بذلك أن نضحك منه . فقال : لا أُحسِن القِسمة ، فإن رضيتم بقسمتي قسمتُ بينكم . قلنا : نرضى . فأخذ رأس الدجاجة فقطّعه فناولنيه إيّاه وقال : الرأس للرئيس ، ثمّ قطع الجناحين وقال : الجناحان للابنين ، ثمَّ قطع الساقين وقال : الساقان للابنتين ، ثمَّ قطع الزمكّى[1] وقال : العَجُز للعجوز ، ثمّ قال : والزَّوْر[2] للزائر . فلمّا كان من الغد قلت لامرأتي : إشوي لي خمس دجاجات . فلمّا حضر الغداء قلنا : اقسم بيننا . قال : شَفْعاً أو وَتْراً[3] ؟ قلنا : وَتْراً . قال : أنتَ وامرأتك ودجاجة ثلاثة ، ثمّ رمى بدجاجة، وقال: وابناكَ ودجاجة ثلاثة، ورمى إليهما بدجاجة، وقال: وابنتاك ودجاجة ثلاثة ، ثمّ قال : وأنا ودجاجتان ثلاثة ، فأخذ الدجاجتين . فرآنا ننظر إلى دجاجتيه ، فقال : لعلّكم كرهتم قسمتي الوَتْر . قلنا : اقسمها شَفْعاً . فقبضهنّ إليه ، ثمّ قال : أنتَ وابناكَ ودجاجة أربعة ، ورمى إلينا دجاجة ، ثمّ قال : والعجوز وابنتاها ودجاجة أربعة ، ورمى إليهنّ دجاجة ، ثمّ قال : وأنا وثلاث دجاجات أربعة ، وضمّ ثلاث دجاجات، ثمّ رفع رأسه إلى السماء وقال : الحمد للّه ، أنتَ فهّمتنيها !

(ابن الجوزي : أخبار الظرّاف ، ص ٦٧)

* * *

الأعرابي والمهدي

خرج الخليفة العبّاسي المهدي يتصيّد ، فغار به فرسه[4] حتى وقع في خِباء[5] أعرابيٍّ فقال : يا أعرابي ، هل مِن قِرى[6] ؟ فأخرج له قُرْصَ شعيرٍ

(١) الزمكّى : أصل الذنب .
(٢) الزور: أعلى وسط الصدر .
(٣) الشفع: الزوج من العدد. الوتر: المفرد من العدد.
(٤) فغار به فرسه : أي أسرع واندفع .
(٥) خباء : بيت الأعرابي .
(٦) قِرى : ضيافة .

فأكله ، ثمّ أخرج له فَضْلةً من لبنٍ فسقاه ، ثمّ أتاه بنبيذٍ في رَكْوَةٍ[1] فسقاه . فلمّا شرب قال للأعرابي :

أَتدري من أنا ؟ قال : لا .

قال : أنا من خدم أمير المؤمنين الخاصّة .

فقال الأعرابي : باركَ اللّه لك في موضعك ، ثمّ سقاه مرّةً أخرى ، فشرب .

قال المهدي : يا أعرابي ، أتدري مَن أنا ؟

فقال : زعمتَ أنّك من خدم أمير المؤمنين الخاصّة .

قال : لا ، أنا من قوّاد أمير المؤمنين .

فقال الأعرابي : رَحُبَتْ بلادك وطاب مُرادك ، ثمّ سقاه الثالثة .

فلمّا فرغ قال : يا أعرابي ، أتدري من أنا ؟

قال : زعمتَ أنّك من قوّاد أمير المؤمنين .

قال المهدي : لا ، ولكنّني أمير المؤمنين .

فأخذ الأعرابي الركوة فَوَكَأَها[2] وقال :

إليكَ عنّي ، فواللّه لو شربتَ الرابعة لادّعيت أنّك رسول الله .

فضحك المهدي حتى غُشي عليه .

ثمّ أحاطت به الخيل ، ونزل إليه الأمراء والأشراف . فطار قلب الأعرابي . فقال له المهدي : لا بأسَ عليك ولا خوف ، ثمّ أمر له بكُسْوَةٍ ومالٍ جزيل[3] .

(**الأبشيهي : المستطرف** ، ٢/ ٢٣٣)

* * *

(١) الركوة : إناء صغير من جلد .

(٢) وكأها : اقعدها في مكانها.

(٣) جزيل : كثير .

أعرابي لا يريد الولد !

قيل لأعرابي : لِمَ أخّرتَ التزويج إلى الكِبَر ، فقال لأُبادر ولدي باليُتْم قبل أن يسبقني بالعقوق[1] . قال المتنبّي :

وما الولدُ المحبوبُ إلاّ تَعلّةً ... ولا الزوجة الحسناءُ إلاّ أذى البَعْلِ[2]
وما الدهرُ أهلاً أن تُؤمَّلَ عندهُ ... حياةً وأَن يُشتاقَ فيه إلى النسلِ

ويخالفه أبو تمام الطائي في ذلك ، حين يقول :

وإنّما أَولادُنا بَيْننا ... أكبادُنا تمشي على الأرضِ
لو هبّتِ الريحُ على بعضهم ... لامْتَنَعَتْ عيني مِن ٱلْغَمْضِ

(ابن العديم : كتاب الدراري ، ص ٢٥)

* * *

أنتِ طالق !

نحر أَعرابي جَزوراً[3] فقال لامرأته : أطعمي أمّي . فقالت : أَيُّها أُطعمها ؟ قال : الوِرْك[4] . فقالت : التي ظهرت بلحمةٍ وبطنت بِشحمةٍ ، لا لعمري !

قال : الفخذ .

قالت : الكثيرة اللحم الطيّبة المخ ، لا لَعَمْري !

قال : الكتف .

---

(١) العقوق: عصيان الأبوين .

(٢) تعلّة: ما يُتعلّل به . البعل: الزوج .

(٣) الجزور : الفتيّ من الغنم .

(٤) الورك: ما فوق الفخذ، كالكتف فوق العضد .

قالت الحاملةُ اللحم مِن كلّ مكان !

قال : فما تطعمينها ؟

قالت : اللِحَى التي ظهرت بالجلد وبطَنت بالعظم .

فقال : تزوّدي إلى أهلك فأنتِ طالق .

(الأصبهاني : محاضرات ، ٣/ ٢١٤)

* * *

السفر والفراق

أَراد أعرابيّ سفراً فقال لامرأته :

عُدِّي السنينَ لِغَيْبتي وتصبَّري ... وذَري الشُّهورَ فإنّهنَّ قِصارُ

فأجابته :

أذكرْ صَبَابتنا إليكَ وشَوْقَنا ... وآرحمْ بناتِكَ إنّهنَّ صِغارُ

فأقام وترك السفر .

(ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ٢/ ١٤٠)

* * *

الأعرابي والإمام

صلَّى أَعرابيّ خلف إمامٍ ، فقرأ الإمام : ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِين ﴾[1] وكان في الصفّ الأول ، فتأخّر إلى الصف الآخِر ، فقرأ : ﴿ ثُمَّ نُتْبِعُهُم الآخِرين ﴾[2] ، فتأخّر ، فقرأ : ﴿ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمين ﴾[3] وكان اسم البدوي مُجْرِماً ، فترك الصلاة وخرج هارباً وهو يقول : واللّه ما المطلوب

(١) المرسلات/ ١٦ .   (٢) المرسلات/ ١٧ .   (٣) المرسلات/ ١٨ .

غيري . فلقيه بعض الأعراب فقال له : مَا لَكَ يا مُجْرِم ؟ فقال : إنَّ الإمام أهلكَ الأوّلين والآخِرين ، وأراد أن يُهلكني في الجملة ، والله ما رأيتهُ بعد اليوم !

(ابن سديرة : التحفة السنيّة ، ص ٩)

* * *

سارق الصرّة والإمام

وسرق أَعرابي صُرّةً فيها دراهم ، ثمّ دخل المسجد يصلّي ، وكان اسمه موسى . فقرأ الإمام « ومَا تلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسَى »[1] . فقال الأعرابي : والله ، إنّك لساحر ، ثمّ رمى الصرّة وخرج هارباً .

(ابن سديرة : التحفة السنيّة ، ص ٨)

* * *

أين الصديق ؟

قيل لأعرابيّ : كيف أُنْسك بالصديق ؟ فقال : وأينَ الصديق ؟ بل أينَ الشبيه به ؟ بل أين الشبيه بالشبيه بالصديق ؟ والله ، ما يُوقِد نار الضغائن إلّا الذين يدّعون الصداقة ويعانون النصيحة ، وهم أعداءٌ في مُسوك[2] الأصدقاء .

(السيوطي : الشهاب الثاقب ، ص ٣٨)

* * *

(١) طه/ ١٧ .

(٢) مسوك : جلود .

أعرابي يعاتب ربّه !

حُكي أنّ محمد بن عليّ[1] عليه السلام رأى في الطّواف أعرابياً عليه ثياب رثّة[2] ، وهو شاخصٌ نحو البيت لا يصنع شيئاً ، ثمّ دنا من الأستار فتعلّق بها ، ورفع رأسه إلى السماء فأنشأ يقول :

أَمَا تَستحي منّي وقد قمتُ شاخِصاً
أُناجيكَ يا ربّي وأنتَ عليمُ
فإن تَكْسِني يا ربّ ثوباً وفَرْوَةً
أُصلّي صلاتي دائماً وأَصومُ
وإن تكنِ الأُخرى على حالِ ما أَرى
فَمن ذا على تركِ الصلاةِ يَلومُ؟
أَتَرْقُبُ أَولادَ العُلوجِ[3] وقد خَلَوْا
وتَتركُ شيخاً والداهُ تَميمُ

فدعا به محمد بن عليّ فجعل عليه قميصاً وفروة وعمامة وأعطاه عشرة آلاف درهم ، وحمله على فرس . فلمّا كان في العام الثاني ، وافى الحجّ وعليه كُسْوة جميلة وحالته مستقيمة ، فقال له : يا أعرابي رأيتكَ في العام الماضي بسوء حال وأراك الآن ذا ثروةٍ وجمال . فقال : إنّما عاتبتُ كريماً فاغْتَنَيْتُ !

(العاملي : المخلاة ، ص ٥٦)

* * *

(١) ابن الحنفيّة (٢١هـ/٦٤٢م ـ ٨١هـ/٧٠٠م) .
محمد بن عليّ بن أبي طالب . وهو أخو الحسن والحسين ، غير أنّ أمّهما فاطمة الزهراء ، وأمّه خوله بنت جعفر الحنفية (الزركلي : أعلام ، ١٥٢/٧) .

(٢) رثّة : بالية .

(٣) العلوج : كفّار العجَم .

الأعرابي العفيف

قال أعرابي من فَزارة : عشقتُ جاريةً من الحيّ ، فحادثتها سنين كثيرة ، والله ما حدّثتُ نفسي بريبةٍ قطّ ، سوى أن خلوتُ بها ، فرأيتُ بياضَ كفّها في سواد الليل ، فوضعتُ كفّي على كفّها ، فقالت : مَهْ[1]، لا تُفسد ما صَلَحَ . فارْفَضَّ[2] جبيني عرقاً ولم أَعُد .

(الوشّاء : الموشّى ، ص ٧٣)

* * *

دعاء أعرابي

قال الأصمعي : رأيتُ أعرابياً ماسكاً بستار الكعبة وهو يقول : اللهمّ أَمِتْني مِيتة أبي خارجة !

فقلت له : يرحمكَ الله ، وكيف مات أبو خارجة ؟

قال : أَكل حتى امتلأ ، وشربَ ، ونام في الشمس ، فمات شبعان ريّان دفّان[3] .

(التكريتي : طرائف الأطبّاء ، ص ١٣٤)

* * *

الرجل الذي طلّق خَمْس نسوة!

ومن طُرف الأصمعي ما حدّثه ، قال : قلت للرشيد يوماً : بلغني يا أمير المؤمنين أنّ رجلاً من العرب طلّق خمس نِسوةٍ ، قال الرشيد : إنما يجوز مُلْكُ رجلٍ على أربع نسوة فكيف طلّق خمساً ، قلت : كان لرجلٍ أربع نسوة ، فدخل عليهن يوماً فوجدهن مُتلاحيات[4] متنازعات ـ وكان الرجل سيئ

(١) مَهْ : اسم فعل بمعنى انكففْ .
(٢) ارفضّ : سال .
(٣) ريّان : مُرْتوٍ . دفّان : مستدفئ .
(٤) متلاحيات : مختلفات ومتنازعات .

الخُلُق ـ فقال : إلى متى هذا التنازع ؟ ما إخالُ هذا الأمر إلاّ من قِبَلك ـ يقول ذلك لامرأة منهن ـ اذهبي فأنتِ طالق ! فقالت له صاحبتها : عجّلتَ عليها بالطلاق ، ولو أدَّبتها بغير ذلك لكنتَ حقيقاً ، فقال لها : وأنتِ أيضاً طالق ! فقالت له الثالثة : قبّحك الله ! فواللّه لقد كانتا إليكَ مُحْسِنتين ، وعليكَ مُفْضِلَتَيْنِ ! فقال : وأنتِ أيتها المُعَدِّدَةُ أياديهما طالقٌ أيضاً . فقالت له الرابعة وكانت هِلالية وفيها أَناةٌ شديدةٌ ـ ضاق صدرُك عن أن تؤدّبَ نساءَك إلاّ بالطلاق ! فقال لها : وأنتِ طالقٌ أيضاً ! وكان ذلك بمسمع جارة له ، فأشرفت عليه وقد سَمعتْ كلامه ، فقالت : والله ما شهدت العربُ عليك وعلى قومك بالضعف إلاّ لِما بَلَوْهُ منكم ووجدوه منكم ، أَبَيْتَ إلاّ طلاق نسائِكَ في ساعة واحدةٍ ! قال : وأنتِ أيّتها المُؤَنِّبَةُ المُتَكَلِّفَةُ طالقٌ ، إن أَجاز زوجك ! فأجابه من داخل بيته : قد أَجزتُ ! قد أجزتُ !

(البرقوقي : دولة النساء ، ص ٦٤٦)

* * *

الفيل أكبر من البقرة !

وصلّى أعرابيٌّ خلف إمامٍ صلاة الصبح ، فقرأ الإمام سورة البقرة . وكان الأعرابيّ مستعجلاً ، ففاته مقصوده. ولمّا بكّر في اليوم الثاني وابتدأ الإمام بسورة الفيل ولّى هارباً وهو يقول : الفيل أكبر من البقرة .

(العمري : من كلّ وادٍ حجر ، ص ٤٨)

* * *

أقرؤا كتابيهْ !

جِيء بأعرابيّ متّهم ومعه دليل براءته وهو يقول :

هاؤمُ اقرؤا كتابِيَهْ . فقيل له : هذا يُقال يوم القيامة !

فقال : هذا واللهِ شرّ من يوم القيامة . إنّ يوم القيامة يُؤتَى بحسناتي وسيّئاتي وأنتم جئتم بسيّئاتي وتركتم حسناتي .

(العلوي: المستطرف الجديد، ص ٢٠٣)

* * *

طابت جهنّم !!

حدّث الأصمعي : بينما أنا في بعض أسفاري وكأن البرد شديداً ، فالتجأتُ إلى حيٍّ من أحياء العرب ، وإذ بجماعةٍ يصلّون وبقربهم شيخ ملتّف بكساء رقيق وهو يرتعد من البرد ، فجلستُ بجانبه وقلتُ له : أَنْشِدْنا ، فقال :

أيا ربّ إنّ البردَ أصبح كالحاً ... وأنتَ بحالي يا إلهي أعلمُ
فإن كنتَ يوماً في جهنّمَ مُدْخِلي ... ففي مثل هذا اليوم طابَتْ جهنّمُ

فعجبتُ من فصاحته وقلت له : يا شيخ ، أما تستحي تقطع الصلاة وأنت شيخٌ كبيرٌ ، فأنشد :

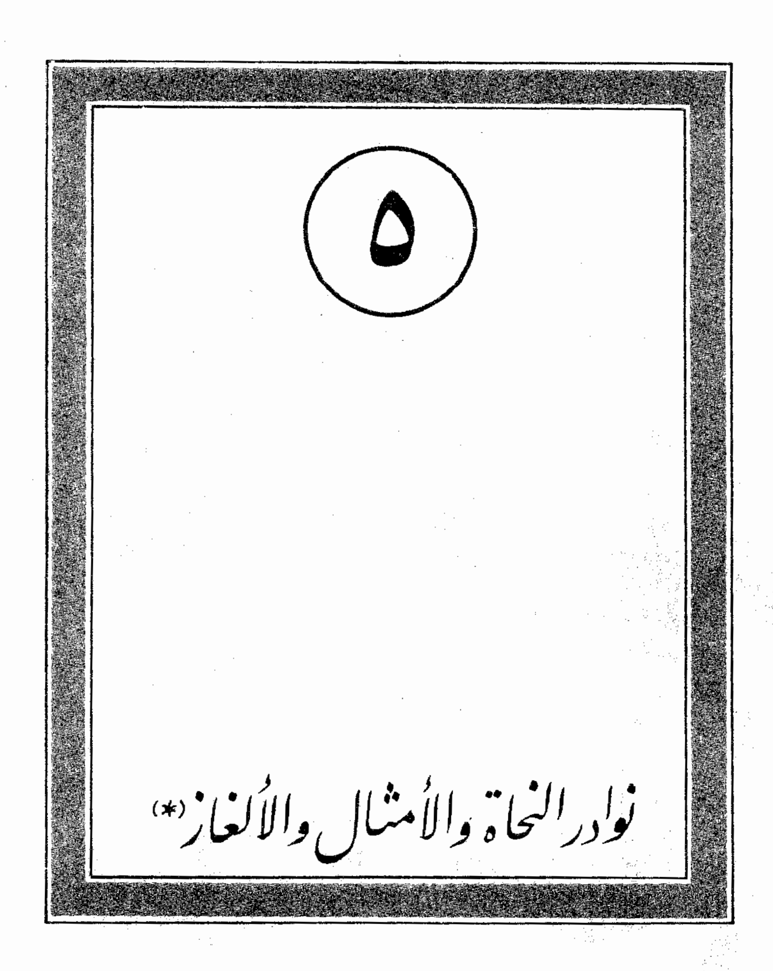
أيطمعُ ربّي أن أصلّيَ عارياً ... ويكسو غيري كِسْوةَ الحرّ والبردِ
إذا الله أعطاني قميصاً وجُبّةً ... أُصلّي له حتى أغيبَ في القبرِ
وإن لم يكن إلّا سِواها عباءة ... مخرّقة ما لي عن البرد من صبرِ
فواللّه ، لا صليّتُ ما عِشتُ عارياً ... عِشاءً ولا وقتَ المغيبِ ولا الوترِ
ولا الصبح إلّا يوم شمسٍ دفيئةٍ ... وإن غيّمت فالويل للظُّهر والعصرِ
ووالله ، لا صليّتُ للّهِ مَغْرباً ... ولا أختَها الأخرى ولا مطلَع الفجرِ

قال الأصمعي : فقلتُ يا أخا العرب ، إن كساكَ الله تصلّي ؟ قال : إي وربِّ الكعبة . قال : فأعطيتهُ فَضْل كساءٍ كان معي . فأخذه ولبسه ثمّ تيمّم والماء بين يديه . فقلتُ له : يا هذا ، لا يجوز التيمّم والماء قريب منك . فقال : أنا أعلم منك بهذا . ثمّ توجّه يصلّي قاعداً . فقلت له : يا هذا ، ولا يجوز لك أيضاً أن تصلّي قاعداً وأنت تُطيق القيام . فقال : بلى ، فإنّي لأجد الاعتذار لربّي . ثمّ كبّر وقال : بسم الله الرحمن الرحيم ، وجعل يقول في صلاته :

إليكَ اعْتذاري في صلاتيَ قاعداً ... على غير طُهْرٍ مُومِياً نحو قِبْلَتي
فمالي ببرد الماءِ يا ربّ طاقةٌ ... ورِجْلي فلا تقوى على حَمْل رُكْبتي
ولكنّني أستغفرُ اللّه شاتِياً ... وأَقضيكها يا ربّ في وجه صَيْفتي
وإنْ أنا لم أفعل فأنتَ محكّمٌ ... بما شئتَ مِن صَفْعي ومِن نَتْف لِحْيَتي

(الدباغ : أدب المعدمين، ص ٦٣)

***



٥

نوادر النحاة والأمثال والألغاز(*)

(*) اللغز : هو أن تذكر شيئاً بصفاتٍ يشاركه فيها غيره ، فيرجع الذهن في ذلك إلى حَيْرة لا يدري مصرفَها إلى أي متّصفٍ منها ، لكونها تصدق من جهة وتكذب من أخرى . واشتقاق اللغز من : ألغز اليربوع ولغزَ ، إذا حفر لنفسه مستقيماً ، ثم أخذ يمنةً ويَسْرة ليواري بذلك ويعمّي على طالبه . واليربوع نوعٌ من القواضم يشبه الفأر ، قصير اليدين طويل الرجلين وله ذنب طويل .



نحويّ وصاحب بطّيخ

قال نحويٌّ لصاحب بطّيخ : بكم تانِك البِطّيختان اللتانِ بجنبهما السفرجلّتان ، ودونهما الرمّانتان ؟

فقال البائع : بضربتان وَصَفْعَتان ولَكْمَتان ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[1] .

(العطيري : أدبنا الضاحك ، ص ٥٣)

* * *

نحويٌّ مريضٌ وأحد عوّاده

عاد[2] بعضهم نحوياً فقال : ما الذي تشكوه ؟ قال : حُمّى جاسِيَة[3] ، نارها حامِيَة ، منها الأعضاءُ واهِيَةٌ[4] والعظامُ بالِيةٌ . فقال له : لا شَفاك اللّه بِعافية ، يا ليتها كانت القاضِيَة !

(الأبشيهي : المستطرف ، ٢/ ٣١٣)

* * *

---

(١) الرحمٰن/ ١٣ .

(٢) عاد: زار المريضَ .

(٣) جاسية : شديدة .

(٤) واهية : ضعيفة .

نحويٌّ وسائل

قيل : إنّ بعض الفقراء وقف على باب نحويٍّ فقرعه ، فقال النحوي : مَن بالباب ؟ فقال : سائل . فقال : ينصرف . فقال : اسمي أحمد ! فقال النحوي لغلامه : أعطِ سيبويه[1] كَسْرَة !

(ابن حجة الحموي : ثمرات الأوراق ، ١/ ٣٩)

* * *

نحوي ورجل يلحن

قال رجلٌ لسعيد بن عبد الملك الكاتب : تأمر بشيئاً ؟

قال : نعم ، بتقوى اللّه ، وبإسقاط ألف شيء !

(العطيري : أدبنا الضاحك ، ص ٨٤)

* * *

من عند « أهلونا»

نقل الأصمعي عن عيسى بن عمر[2] قال :

كان عندنا رجلٌ لحّانة ، فلقي لحّانةً مثله فقال : مِن أين أقبلتَ ؟

---

(١) سيبَوَيْه (١٤٨هـ/٧٦٥م - ١٨٠هـ/٧٩٦م).

أبو بشر عمر بن عثمان الحارثي بالولاء ، الملقّب سيبويه ، إمام النحاة (الزركلي : أعلام، ٢٥٢/٥) .

(٢) عيسى بن عمر (. . . - ١٤٩هـ/٧٦٦م) .

هو عيسى بن عمر الثقفي بالولاء ، من أئمة اللغة . وهو شيخ الخليل وسيبويه (الزركلي : أعلام، ١٠٦/٥) .

فقال : من عند « أهلونا » . فحسده الآخر فقال : أنا واللّه أعلم من أين أَخَذْتَها ـ أخذتَها مِن المُنْزَل ، قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ شَغَلَتْنا أَمْوالُنا وَأَهْلُونا ﴾[1] .

(القالي : ذيل الأمالي ، ص ٢١)

* * *

لَحْنٌ مُسْتَمْلَح

قصد رجلٌ الحجّاج بن يوسف فأنشده :

أَبا هشامٍ بِبابِكْ قد شَمَّ رِيحَ كَبابِكْ

فقال : ويحكَ ! لِمَ نصبتَ : أبا هشام ؟

فقال : الكِنْيَةُ كِنْيَتِي ، إن شئتُ رفعتُها ، وإن شئتُ نصبتُها !

(الأصبهاني : محاضرات ، ١/ ٦٧)

* * *

ظنَّها لَحَنَتْ !

ذُكر أنّ رجلاً دعا المبرّد[2] بالبصرة مع جماعةٍ ، فغنّت جاريةٌ من وراء السِّتار وأنشأت تقول :

وقالوا لها: هذا حبيبكِ مُعْرِضاً فقالت: إلى إعراضِهِ أيسرُ الخَطْبِ[3]

---

(١) الفتح/١١ .

(٢) المبرّد (٢١٠هـ/٨٢٦م ـ ٢٨٦هـ/٨٩٩) .
هو محمد بن يزيد الثمالي الأزدي. إمام العربية ببغداد في زمنه (الزركلي : أعلام، ١٤٤/٧).

(٣) الخطب: الشأن، الأمر.

فـمــا هـي إلاّ نـظرةٌ بـتـبـسُّـمٍ   فتصطكُّ[1] رِجلاهُ ويسقطُ لِلْجنبِ

فطرب كلّ مَن حضر إلاّ المبرّد . فقال له صاحب المَجلس : كنتَ أحقَّ الناس بالطرب . فقالت الجارية : دعهُ يا مولاي ، فإنّه سمعني أقول : هذا حبيبكِ معرضاً ، فظنّني لحنتُ ، ولم يعلم أنّ ابن مسعود قرأ « وهذا بَعْلي شَيْخاً »[2] . قال : فطربَ المبرّد إلى أن شقّ ثوبه !

(العطيري : أدبنا الضاحك ، ص ٨٥)

* * *

وهل فهمتُ منك شيئاً ؟

كان رجل اسمه أبو علقمة من المتقعِّرين في اللغة واستعمال حُوْشي الكلام وغريب اللفظ ، فقد دخل على الطبيب فقال :

إنّي أكلتُ من لحوم هذه الجَوَازِل[3] فَطَسِئْتُ[4] طَسْأَةً ، فأصابني وجعٌ بين الوابلة[5] إلى دَأْيَة[6] العنق ، فلم يزل يَرْبو[7] وَيَنْمَى ، حتّى خالط الخِلْبَ[8] ، فألمتْ له الشراسفُ[9] ، فهل عندك دواء ؟ فقال له الطبيب : خذ خَرْبقاً وَشَلْفَقاً وشَبْرَقاً ، فزهزقهُ وزقزقهُ واغْسلهُ بماء رَوْثٍ واشربه بماء الماء !

فقال أبو علقمة : أعد عليَّ ويحكَ ، فإنّي لم أفهم منكَ ! فقال له

(١) تصطكّ رجلاه : تضرب إحداهما الأخرى .
(٢) هود/٧٢ .
(٣) الجوازل : مفردها جَوْزَل، وهو فرخ الحمام.
(٤) طَسأ : اتّخم .
(٥) الوابلة : طرف العضد في الكتف .
(٦) الدأْي: ملتقى ضلوع الصدر ، ودايات العنق : فقارها .
(٧) يربو: يزيد .
(٨) الخلب: حجاب الكبد .
(٩) الشراسف : مفردها شُرْسوف ، وهو طرف الضلع المشرف على البطن .

الطبيب : لعَن اللّه أقلّنا إفهاماً لصاحبه ، وهل فهمتُ منكَ شيئاً مما قلت ؟ !

(العطيري : أدبنا الضاحك ، ص ٥٣)

* * *

في سوق النخّاسين

حكى ابن الجوزي قال :

دخل أحدهم سوق النخّاسين[١] بالكوفة ، فقعد إلى نخّاسٍ فقال : يا نخّاس ، أطلب لي حماراً ، لا بالصغير المُحْتَقَر ولا بالكبير المُشْتَهر ، إن أقللتُ علفهُ صبرَ ، وإن أكثرتُ علفه شكر ، لا يدخلُ تحت البواري[٢] ولا يزاحم السّواري[٣] . إذا خَلاَ في الطريق تدفّق[٤] ، وإذا كثر الزحامُ تَرَفّق[٥] . فقال له النخّاس ، بعد أن نظر إليه ساعةً ، دعني ، إذا مسخَ الله القاضي حماراً اشتريته لك !

(ابن الجوزي : الحمقى والمغفّلين ، ص ١٢٦)

* * *

اطلبها في تَزْلَخ !

خرج رجلٌ مولعٌ بالكلمات الغريبة إلى مزرعة له وكان راكباً فرسه ووراءَها مُهْرُها ، فأفلتت منه ومعها مهرها . فخرج يسأل عنها ، فمرّ بخيّاط

(١) سوق النَّخاسين : السوق التي تباع فيها الدواب .
(٢) البوري : الحصير المعمول من القصب .
(٣) السواري : الخيول الأصيلة .
(٤) تدفّق : جرى بسرعة .
(٥) ترفّق : مشى بهدوء ورفق .

فقال : يا ذا النِّصاح[١] وذات السُّمِّ[٢] الطاعن بها في غير وَغىً[٣] ، لغير عِدىً ، هل رأيتَ الخَيْفَانة القَبَّاءَ[٤] ، يتبعها الحاسِن[٥] المُرْهَفُ[٦] كأنّ غُرّته[٧] القمر الأزهر . . .

فقال الخيّاط : أطلبها في تَزْلَخ[٨] ، فقال : ويلكَ ، وما تقول قبّحكَ اللّه ، فما أفهمُ رَطَانَتَكَ[٩] . فقال الخيّاط : لعنَ اللّه أبغضنا لفظاً وأخطأنا منطقاً .

(العسكري : الصناعتين ، ص ٢٧)

* * *

الرجل وكلبه

قال ابن أبي عتيق[١٠] لرجلٍ : ما اسمك ؟ قال : وثّاب . قال : وما اسم كلبك ؟ قال : عمرو . فقال :

فلو كان من التوفيق قد أُعْطِي أسبابا
لسمَّى نفسَهُ عَمْراً وسمَّى الكلبَ وثّابا

(الحوفي : الفكاهة ، ٢/ ٢١)

* * *

(١) النصاح : الخيط .
(٢) ذات السمّ : الإبرة .
(٣) الوغى : الحرب .
(٤) الخيفانة : الفرس الطويلة . والقبّاء : الضامرة البطن ، الدقيقة الخصر .
(٥) الحاسن : الحسن الجميل .
(٦) المرهف : المُنعَّم الضامر .
(٧) الغرّة : بياض في جبهة الفرس .
(٨) قوله : في تزلخ ، أراد التهكّم ، والزلَخ : المزلّة تزلّ منها الأقدام لنداوتها .
(٩) الرطانة : الكلام غير المفهوم .
(١٠) ابن أبي عتيق : هو عبد الله بن محمد بن أبي بكر الصدّيق .

اسمه بحر !

سأل بعض الأعراب آخر عن اسمه ، فقال : بحر . قال : ابن مَن ؟ قال : ابن فيّاض . قال : ما كنيتكَ ؟ فقال : أبو الندى . فقال : لا ينبغي لأحدٍ لقاؤكَ إلاّ في زَوْرَق !

(العاملي : الكشكول ، ص ١٦٧)

* * *

خالد وعبد المسيح

حُكي أنّ خالد بن الوليد لمّا قدم إلى اليمامة نزل عسكره على قصرٍ من قصور الحيرة ، يُقال له قصر بني بَقِيلة ، فسألهم أن يبعثوا له رجلاً من عقلائهم وذوي أنسابهم . فبعثوا إليه عبد المسيح بن بَقِيلة ، فأقبل يدبُّ في مَشْيه . فقال له خالد : أين أقصى أثرِكَ ؟ قال : ظهر أبي . فقال : من أين خرجتَ . قال : من بطن أمّي . فقال : علامَ أنتَ ؟ قال : على الأرض ! فقال : فِيمَ أنت ؟ قال : في ثيابي . فقال له : تعقل ؟ قال : نعم ، وأقيّد[1] . فقال : ابن كم أنتَ ؟ قال : ابن رجل وامرأة ! فقال : كم أتى عليك ؟ قال : لو أتى عليّ شيءٌ لقتلني . فقال : كم سنّك ؟ قال : ستٌّ وثلاثون . فقال خالد : ما رأيتُ كاليوم ، حتّامَ أسألكَ عن شيءٍ وتجيبني عن غيره ! قال : ما أجبتكَ إلاّ عمّا سألتَ .

(. . . . .)

* * *

(١) أقيّد : أكتب .

يا ستّي

وعلى ذكر « الستّ » وإطلاقها على السيّدة ، فإنّ بهاء الدين زهير[1] الشاعر كان يميل إلى إحدى السيّدات ويناديها : « يا ستّي » . فأنكر عليه هذه التسمية العاميّة بعضُ رجال اللغة ، فقال :

بِـرُوحـي مَن أُسَـمِّـيـهـا بِـسِتِّي ... فتنـظرني النُّحـاةُ بعين مَـقْتِ[2]
يَـرَوْنَ بـأنّني قـد قلتُ لَحْـنـاً ... وكيف وإنّـني لـزهـيـرُ[3] وَقْتي
ولكن غـادةٌ[4] مـلكَتْ جـهـاتي ... فـلا لَحْنٌ إذا مـا قلتُ «ستّـي»

(البهاء زهير : ديوان ، ص ٤٩)

* * *

ومن نوادر الأمثال

جزاء سِنِمّار

قال بعض العرب في قتل بعض الملوك لِسِنِمّار الرومي[5] ، فإنّه لمّا عَلاَ « الخَوَرْنَق »[6] ورأى بُنياناً لم يُرَ مثله ، وخاف إن هو استبقاه أن يموت فيبني مثل ذلك البنيان لرجلٍ آخر من الملوك ، فرمى به من فوق القصر . فقال في

(١) البهاء زهير (٥٨١ هـ/١١٨٦م - ٦٥٦هـ/١٢٥٨م) .
هو الشاعر زهير بن محمد العتكي ، كان من خواصّ كتّاب الملك الصالح أيّوب بمصر (الزركلي : أعلام ، ٥٢/٣).
(٢) المقت : عدم الرضا .
(٣) زهير وقتي : أي أنه مثل زهير بن أبي سلمى الشاعر بالنسبة إلى وقته .
(٤) غادة : امرأة جميلة .
(٥) قال الهيثم بن عديّ : إنّه النعمان بن امرىء القيس بن عمرو بن عديّ . وقال ابن الكلبي : هو بَهْرام جور بن يَزْد جرد (المصدر ذاته) .
(٦) الخورنق : هو القصر الذي بناه سنمّـار الرومي بظهر الكوفة للنعمان .

ذلك شراحيل الكلبي[1] في شيءٍ كان بينه وبين بعض الملوك :

جَزَاني جَزَاهُ اللّهُ شَرَّ جَزَائِهِ ... جَزَاءَ سِنمّارٍ وما كان ذا ذَنْبِ
سِوى رَصِّهِ البُنْيَانَ سبعينَ حِجّةً ... يُعَلّى عليهِ بالقَراميدِ والسكْبِ[2]
فلمّا رأى البُنيانَ تَمَّ سَحُوقُهُ ... وآضَ كمثلِ الطَّوْدِ والشامخِ الصّعْبِ[3]
وظنَّ سِنمّارٌ به كلَّ حَبْوَةٍ ... وفازَ لَدَيْهِ بالمودَّةِ والقُرْبِ[4]
فقال: اقْذِفُوا بالعِلْجِ مِن رأسِ شاهِقٍ ... فذاكَ، لَعَمْرُ اللّهِ، مِن أعظمِ الخَطْبِ[5]

(الجاحظ : الحيوان ، ١/ ٢٣)

* * *

إنّك خيرٌ من تفاريق العصا

قالوا : هذا من قول غنيّة الأعرابيّة[6] لابنها ، وكان عارماً[7] كثير التلفُّت[8] إلى الناس مع ضعفِ أَسْرٍ[9] ودقّةِ عَظْمٍ . فواثبَ[10] يوماً فقطعَ الفتى أنفه ، فأخذت غنيّة ديَّة أنفه ، فحَسُنَتْ حالها بعد فقرٍ مُدْقِعٍ[11]. ثمّ واثبَ آخر فقطع أُذنه ، فأخذت ديّتها ، فزادت حُسْنَ حالٍ . ثمّ واثبَ آخر

---

(١) شراحيل الكلبي : أحد رواة الأخبار .
(٢) حجّة : سنة . القراميد : مفرده قِرْمِد ، وهو الطين المشوي . السكب : النحاس أو الرصاص .
(٣) سحوقه : بناؤه . آض : أصبح ، صار . الطود : الجبل العظيم .
(٤) الحبوة : العطاء . المودّة : المحبّة .
(٥) العلج : الرجل الضخم الغليظ ، كما تطلق على كفّار العجم . الخطب : الشأن الخطير .
(٦) غنيّة الأعرابية : من ربّات الفصاحة والبلاغة وضرب الأمثال (كحّالة : أعلام النساء ، ٤/ ١١) .
(٧) عارماً : مؤذياً .
(٨) التلفّت إلى الناس : التحرّش بهم .
(٩) الأسر : البنية .
(١٠) واثب : نازع .
(١١) مدقع : شديد .

فقطع شفته ، فأخذت الديّة . فلمّا رأت ما صار عندها من الإبل والغنم والمتاع ، وذلك من كَسْب جوارح[1] ابنها ، حَسُنَ رأيها فيه وذكرته في أرجوزتها ، فقالت :

أحلفُ بالمَرْوَةِ حقّاً والصّفَا[2] أنّكَ خيرٌ من تَفَاريقِ العصا

و « تفاريق العصا » مَثَلٌ يُضرب فيمن نَفْعُهُ أعمّ من نَفْعِ غيره .

(الميداني : مجمع الأمثال ، ١/ ٤٧)

* * *

إيَّاكِ أعني واسمعي يا جارة

أَوَّل مَن قال ذلك سَهْل بن مالك الفَزَاري ، وذلك أنّه خرج يريد النعمان ، فمرَّ ببعض أحياء طيء ، فسأل عن سيّد الحيّ ، فقيل له : حارثة بن لأم ، فأَمَّ رَحْلَهُ فلم يُصبه شاهداً[3] ، فقالت له أخته : انزل في الرَّحْبِ والسَّعة . فنزل فأكرمته ولاطفته ، ثمّ خرجت من خِبائها[4] ، فرأى أجمل أهل دهرها وأكملهم ، وكانت عَقيلة[5] قومها وسيّدة نسائها ، فوقع في نفسه منها شيء[6] ، فجعل لا يدري كيف يُرسل إليها ولا ما يوافقها من ذلك . فجلس بفناء الخِباء يوماً وهي تسمع كلامه ، فجعل ينشد ويقول :

يا أُخْتَ خيرِ البدوِ والحَضَارَهْ كيف تَرَيْنَ في فَتَى فَزَارَه؟
أصبحَ يَهْوَى حُرَّةً مِعْطَارَهْ إيّاكِ أعني وآسْمَعِي يا جارَه

(١) جوارح : أعضاء .
(٢) الصفا والمروة : موقعان بالقرب من مكّة المكرّمة . والسعي بينهما من مناسك الحجّ .
(٣) أي قصد منزله فلم يجده .
(٤) الخباء : بيت يُعمل من وبرٍ أو صوفٍ أو شعر للسكن .
(٥) عقيلة : العقيلة من النساء : الكريمة المخدّرة في بيتها .
(٦) أي مال إليها ورغب فيها .

فلمّا سمعت قوله عرفت أنّه إيّاها يعني فقالت : ما ذا بقول ذي عقلٍ أريبٍ[1] ولا رأي مُصيب ولا أنف نجيب[2]! فأقم ما أقمتَ مكرّماً ، ثمّ ارتحل متى شئتَ مُسلَّماً . ويقال أجابته نَظْماً فقالت :

إنّي أقولُ يا فَتى فَزَارَه ... لا ابْتَغي الزوجَ ولا الدَّعارَه[3]
ولا فِرَاقَ أهْلِ هذي الجارَه ... فارْحَلْ إلى أهلكَ باسْتِخَارَه

فاستحيا الفتى وقال : ما أردتُ مُنكراً ، واسوأتاه ! قالت : صدقتَ . فكأنّها استحيت من تسرّعها إلى تهمته . فارتحل فأتى النعمان فحيّاه ، وأكرمه . فلمّا رجع نزل على أخيها . فبينما هو مقيمٌ عندهم تطلّعت إليه نَفْسها ، وكان جميلاً ، فأرسلت إليه أن اخطبني إن كان لكَ إليَّ حاجة يوماً من الدهر ، فإنّي سريعةٌ إلى ما تريد . فخطبها وتزوّجها وسار بها إلى قومه .

(الميداني : مجمع الأمثال ، ١/ ٣٢)

* * *

مواعيد عُرقوب

قيل : هو رجلٌ من العماليق[4] أتاه أخٌ له ، فقال له عُرقوب : إذا طلعت هذه النخلة فلكَ طَلْعُها[5] . فلمّا أطلعت أتاه لِلْعِدة[6] ، فقال : دعها حتّى تصير بلحاً . فلمّا أبلحت قال : دعها حتى تصير زَهْوَاً[7] . فلمّا زَهَتْ قَالَ :

---

(١) عقل أريب : عقل ذكيّ راجح .
(٢) ذو أنف نجيب : كريم في نسبه ، فاضل في خُلقه .
(٣) الدعارة : الفجور والفساد .
(٤) العماليق : هم الأقوام الذين كانوا يسكنون يثرب في الأزمنة الغابرة .
(٥) الطلع من النخل : ما يبدو من ثمرته أوّل ظهورها .
(٦) العِدة : الموعد الذي ضربه له .
(٧) الزهو من النخل : ما يبدو من ثمرته قبل أن يصير رُطَبا .

دَعها حتى تصير رُطَباً[1] . فلمّا أرطبت قال : دعها حتى تصير تَمْراً . فلمّا أتمرت عمد إليها عرقوب من الليل ، فجذّها[2] ولم يُعطِ أخاه شيئاً . فصار مثلاً في الخُلْف[3] . وفيه يقول الأشجعي[4] :

وَعَدْتَ وكان الخُلْفُ منكَ سَجِيَّةً   مواعيدَ عُرْقُوبٍ أخاه بيَثْرِبِ[5]

(الميداني : مجمع الأمثال ، ٢/ ١٧٧)

* * *

وافق شَنٌّ طَبَقَة

كان رجلٌ من دُهاة العرب وعقلائهم يُقال له : شَنّ ، فقال : واللّه ، لأطوّفنّ[6] حتّى أجد امرأةً مثلي أتزوّجها . فبينما هو في بعض مسيره إذ رافقه رجلٌ في الطريق ، فسأله شَنّ : أين تريد ؟ فقال : موضع كذا ، يريد القرية التي يقصدها ، فرافقه حتّى أخذا في مسيرهما ، قال له شَنّ : أتحملني أم أحملكَ ؟ فقال له الرجل : يا جاهل ، أنا راكبٌ وأنتَ راكبٌ ، فكيف أحملك أو تحملني ؟ فسكتَ عنه شَنّ .

وسَارَا حتّى إذا قَرُبا من القرية ، إذا بزرعٍ قد استحصد[7] ، فقال شَنّ : أترى هذا الزرع أُكِل أم لا ؟ فقال له الرجل : يا جاهل ، ترى نَبْتاً مُسْتَحصداً فتقول : أُكِل أم لا ؟ فسكت عنه شنّ حتّى إذا دَخَلاَ القرية ، لقيتهما جنازة ،

---

(١) الرطب من النخل : ما يبدو من ثمرته قبل أن يصير تمراً .
(٢) جذّها : قطعها وقطف ثمرها .
(٣) الخلف : عدم الوفاء بالوعد .
(٤) الأشجعي : جاء في الأغاني ١٧/ ٤٥ ، وذلك قول الشمّاخ .
(٥) سجيّة : طبيعة ، عادة متأصّلة . يثرب : الاسم الجاهلي للمدينة المنوّرة .
(٦) أطوّفنّ : أطوف في البلاد والبوادي .
(٧) استحصد : آنَ وقت حصاده .

فقال شنّ : أترى صاحب هذا النعش حيّاً أو ميتاً ؟ فقال له الرجل : ما رأيتُ أجهل منك ، ترى جنازةً تسأل عنها أميتٌ صاحبها أم حيّ ؟ فسكت عنه شَنّ ، فأراد مفارقته ، فأبى الرجل أن يتركه حتّى يصير به إلى منزله ، فمضى معه . وكان للرجل بنتٌ يُقال لها : طَبَقَة . فلمّا دخل عليها أبوها سألته عن ضيفه ، فأخبرها بمرافقته إيّاه وشكا إليها جهله ، وحدّثها بحديثه . فقالت : يا أبتِ ، ما هذا بجاهلٍ ، أمّا قوله : أتحملني أم أحملك ، فأراد أتحدّثني أم أحدّثك حتى نقطع طريقنا . وأمّا قوله : أترى هذا الزرع أُكل أم لا ، فأراد هل باعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا ؟ . وأمّا قوله في الجنازة ، فأراد هل ترك عَقِباً[1] يحيا به ذكره أم لا . فخرج الرجل فقعد مع شَنّ ، فحادثه ساعةً ثمّ قال : أتحبّ أن أفسّر لك ما سألتني عنه . قال : نعم . ففسّره . قال شنّ : ما هذا من كلامك ، فأخبرني مَن صَاحِبُه ؟ قال : ابنة لي . فخطبها إليه فزوّجه إيّاها ، وحملها إلى أهله . فلمّا عرفوا عقلها ودهاءَها قالوا : « وافقَ شَنٌّ طَبَقَة » .

(الميداني : مجمع الأمثال ، ٢/ ٢١١)

(ابن الجوزي : الأذكياء ، ص ٢٢٠)

* * *

ومن نوادر الأحاجي والألغاز

علي

قال أحدهم في اسم (علي) :

اسمُ الذي أعشقُهُ أوّلُهُ في ناظِرهْ
إنْ فاتني أوّلُهُ فإنّ «لي» في آخرهْ

(الأبشيهي : المستطرف ، ٢/ ٢٧٦)

* * *

(١) العقب : الولد .

النوم

وقال آخر في (النَّوْم) :

وحــامــلٍ يَـحمـلُـنـي وَمَا لَهُ شَخْصٌ يُرَى!
إذا جـصلتُ فـوقَـهُ وهو لذيذُ المُمْتَطَى[1] !
سَرَيْتُ[2] لا أدري أَفِي أرضٍ سَرَيْتُ أم سَمَا!

(النويري : نهاية الأرب ، ٣/ ١٦٢)

* * *

الثّدي

وقال آخر في (الثّدي) :

ومــا أَخَـوَانِ مُشْتَبِهَــانِ جــدّاً كما اشْتَبَهَ الغَرابَةُ والغُـرابُ[3]
يَضُمُّهمــا على مــرِّ الليــالي ،وما اجْتَمَعا ولا افْتَرَقا، إهابُ[4]
لِـذَاكَ وَذَا دُمـوعُ هـامِـلاتٌ[5] ولكن كــلُّ دَمْعِهِمَــا شَــرَابُ
يَصُــونُهُمـا عن الأبصــارِ دِينٌ ويُضْـرَبُ دونَ نَيْلِهما حِجَابُ؟

(النويري : نهاية الأرب ، ٣/ ١٦٨)

* * *

---

(١) الممتطى : الركوب .
(٢) سريتُ : مشيتُ في الليل .
(٣) الغَرابة والغراب : موضعان .
(٤) إهاب : جلد .
(٥) هاملات : فائضات .

العَيْن

وقال آخر في (العَيْن) :

وباسِطةٍ بلا عَصَبٍ جَنَاحاً وَتَسبقُ ما يَطِيرُ ولا تَطيرُ
إذا أَلْقَمتَها الحَجَر اطْمَأَنّتْ وَتَجْزَعُ أَنْ يَبَاشِرَهَا الحَرِيرُ(١)

(الأبشيهي : المستطرف ، ٢/ ٢٧٧)

* * *

بجع

وقال صلاح الصفدي في (بَجَع) :

ما طائرٌ في قلبِهِ يلوحُ للنّاسِ عَجَبْ
منقارُهُ كبطنِهِ والعَيْنُ منهُ في الذَّنَبْ؟

(الأبشيهي : المستطرف ، ٢/ ٢٧٦)

* * *

بلبل

وقال الشيخ مجد الدين في (بلبل) :

وما اسمٌ ثُنائيٌّ رُباعيٌّ بِلاَمَيْن
كِلا شَطْرَيْهِ إن ضُوعِفَ فِعْلاَنِ بِلاَمَيْنِ
وإنْ خاطَبْتَ مَأموراً بهِ عادَ كَلاَمَيْن
وإنْ حَرّفْتَ حَرْفَيْنِ غَدَا فِعْلاً وَحَرْفَيْنِ؟

(الصفدي : الوافي ، ٢/ ٢٠٥)

* * *

(١) ألقمتها : أصبتها . اطمأنّت : انطفأت . تجزع: تخاف. يباشرها: يمسّها .

غــزال

وقال آخر في (غزال) :

اسْمُ مَنْ قَـد هـوِيتُـهُ ظَـاهِـرٌ في حُـرُوفِـهِ
فَـإِذَا زالَ رُبْـعُـهُ زالَ بَـاقي حُرُوفِـهِ

(الأبشيهي : المستطرف ، ٢/ ٢٧٣)

* * *

فِـيـل

وقال آخر في (فِيل) :

أيُّ اسْـمٍ تَـرْكِيبُـهُ مِن ثـلاثٍ وهـو ذُو أَرْبَـعٍ تَـعَـالَى الإِلَـهُ
حيـوانٌ والقلبُ منـه نبـاتٌ[1] لم يكُنْ عنـدَ جُـوعِـهِ يَـرْعَـاهُ
فيـكَ تَصْحِيفُـهُ[2] ولكن إذا مـا رُمْتَ عَكسـاً يكـون «لي» ثُلُثَاهُ؟

(الابشيهي : المستطرف ، ٢/ ٢٧٦)

* * *

الـنـخـل

وقال آخر في (النخل) :

ما اسْمٌ سَمَا والنجمُ مِن تـحـتِ عُـلاهُ يُـزْهِـرُ
مُـرْتَـفِـعٌ مُـنْـتَـصِبٌ مُـؤَنَّـثٌ مُـذَكَّـرُ

---

(١) يقصد بالنبات : أي أنَّك إذا قلبت كلمة (فيل) صارت : ليف ، وهو نبات .
(٢) صحّف الكلمة : أخطأ في قراءتها في الصحيفة أو حرّفها عن وضعها .

وجـاءَ فـي إكـرامِـهِ عـن الـنـبـيّ الـخَـبَـرُ؟

(الصفدي : نصرة الثائر ، ص ٣٠٢)

* * *

المَـوْز

وقال آخر في (المَوْز) :

مـا اسمُ لشيءٍ حَسَنٍ شَكْـلُهُ تلقـاهُ عنـد النـاس مَـوْزُونـا
تَـرَاهُ مَـعْـدوداً فـإنْ زِدْتَـهُ واواً ونُـونـاً صـارَ مَوْزُونـا؟

(الأبشيهي : المستطرف ، ٢/ ٢٧٥)

* * *

السفينـة

وقال صلاح الصفدي في (السفينة) :

وجَارِيَةٍ حَـلَّ لي وَطْؤُهـا[1] ولم يَـكُ في ذاكَ مـا يمنـعُ
ويـا عجبـاً مـا أتَتْ رِيبـةً وألـزمـهـا أنّـهـا تُـقْـلِعُ

(الصفدي : نصرة الثائر ، ص ٣٣٨)

* * *

البَيْضـة

وقال آخر في (البَيْضة) :

(١) وطؤها : ركوبها .

ألا قُلْ لأهلِ الرأيِ والعلمِ والأدَبْ
وكُلِّ بصيرٍ بالأمورِ أخي أَرَبْ[1]
ألا خَبِّروني أيَّ شيءٍ رأيْتُمُ
مِن الطير في أرضِ الأعاجمِ والعَرَبْ
قديمٌ حديثٌ وهو بادٍ[2] وحاضِرٌ
يُصاد بلا صَيْدٍ وإن جُدَّ في الطَّلَبْ
ويُؤْكَلُ أحياناً طَبيخاً وتارةً
قَلِيّاً وَمَشْوِيّاً إذا دُسَّ في اللَّهَبْ
وليس له لَحْمٌ وليس له دَمٌ
وليس له عَظْمٌ وليس له عَصَبْ
وليس له رِجْلٌ وليس له يَدٌ
وليس لهُ رَأْسٌ وليس لهُ ذَنَبْ
ولا هو حَيٌّ، لا، ولا هو مَيِّتٌ
ألا خبّروني إنّ هذا هو العَجَبْ

(ابن عبد ربّه : العقد ، ٦/ ٤٧٣)

* * *

القلم

وقال آخر في (القلم) :

وَأَهْيَفَ مَذبوحٍ على صدرِ غيرِهِ ... يُتَرْجِمُ عن ذِي منطقٍ وهو أَبْكَمُ
تراهُ قصيراً كلّما طالَ عمرُهُ ... ويُضْحي بليغاً وهو لا يتكلّمُ

(الأبشيهي : المستطرف ، ٢/ ٢٧٤)

* * *

(١) أرب : حاجة .
(٢) وهو باد وحاضر : أي موجود في البادية والحضر .

الكتاب

وقال آخر في (كتاب) :

وذي أَوْجُهٍ لكنّهُ غيرُ بائِحٍ بسِرٍّ ، وذو الوَجْهَيْنِ للسرِّ يُظْهِرُ
تُنَاجِيكَ بالأسرارِ أسرارُ وجهِهِ فتسمعها بالعين ما دُمْتَ تُبْصِرُ

(الأبشيهي : المستطرف ، ٢/ ٢٧٤)

* * *

الشطرنج

قال محمد بن فارس المغربي[١] في (الشطرنج) :

وما اسمٌ ثلاثةُ أخماسِهِ هي النِّصْفُ منهُ ومِن غيرِهِ
وباقيهِ إن رُمْتَ مَعْكوسَهُ قطعتَ رجاءَكَ من خَيرِهِ ؟

(الصفدي : الوافي ، ٤/ ٣١٣)

* * *

الزّر والعُرْوة

قال محمد بن جعفر الجَهْرَمي[٢] في (الزرّ والعُرْوة) :

وناكحةٍ بِلا مَهْرٍ حَليلاً[٣] بهِ يُغْدَى إليها أو يُراحُ

---

(١) ابن فارس (. . . ـ ٦١٠هـ/١٢١٣م) .
هو محمد بن فارس بن حمزة المغربي (المصدر نفسه) .
(٢) هو محمد بن جعفر ابو الحسن الجَهْرَمي الشاعر (ت ٤٣٣هـ/١٠٤١م) .
(٣) حليلاً : زوجاً .

أَحَلَّ المسلمونَ لها أَخاها بعَقْدٍ حلُّه طَلْقٌ مُباحُ
فإن سَمَّوْه بينهم نِكاحاً ففي أعناقهم ذاكَ النّكاحُ

(الصفدي : الوافي ، ٢/ ٣٠٦)

* * *

مُذ ومُنذ

قال محمد بن مُصْعَب أبو عبد الله المُقْرِىء في (مُذْ ومُنْذُ) :

أَيّها العالِمُ الذي ليس في الأر ض له مُشْبِهٌ يُضاهِيهِ[1] عِلْمَا
أيّ شيءٍ من الكلام تَرَاهُ عاملاً في الأسماءِ لَفْظاً وَحُكْمَا
خافِضاً ثمّ رافِعاً إن تَفَهّمْـ تَ يَزِدْ فَهْمَكَ التفهّمُ فَهْمَا
يُشبهُ الحرفَ تارةً فإذا ما ضارَعَ[2] الحرفَ نفسهُ صار إسْمَا
هو مرفوعُ رافعٍ وهو أيضاً رافعٌ غَيْرَهُ وليس مُعَمّى
وهو من بعد ذاكَ للجرِّ حرفُ فأَجِبْنَا إن كنتَ في النحوِ شَهْمَا؟

(الصفدي : الوافي ، ٥/ ٣٢)

* * *

حَلاّل الألغاز

قيل : كان أبو عبد الله الحسَين بن عليّ الطيبي[3] مِقداماً في حلّ الألغاز ، ولا يكاد يتوقّف عمّا يُسأل عنه . فعمل له أبو منصور محمد بن

---

(١) يضاهيه : يشابهه .
(٢) ضارع : شابه .
(٣) هو الحسين بن عليّ بن احمد بن عبد الواحد بن بكر بن شبيب ، الطيبي ، أبو عبد الله ، الكاتب . كان من الأعيان الفضلاء المشهورين بالأدب وكمال الظرف ، اختصّ بالإمام المستنجد ومنادمته (المصدر ذاته ، ١/ ٢٧٦) .

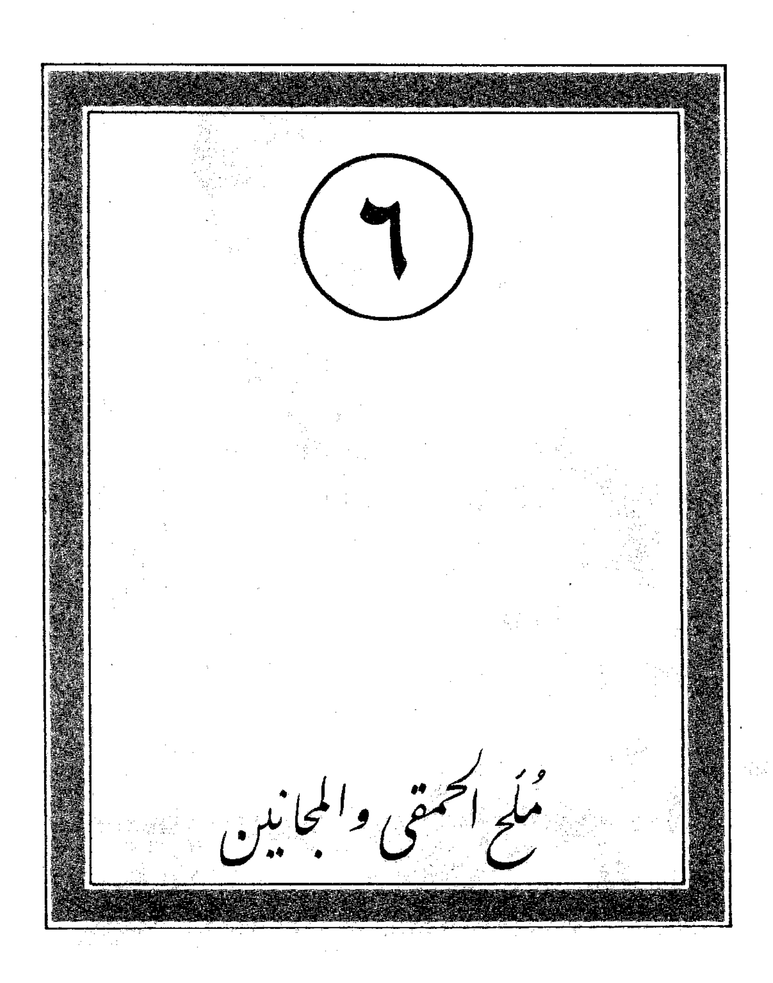
سليمان مَلْغَزاً مُحالاً ، نظمه في بيتين من الشعر ، فقال له :

وما شيءٌ لـه في الـرأس رِجْـلٌ ومـوضِـعُ وجـهـهِ منـه قـفـاهُ
إذا غَـمّضْـتَ عَـيْـنَـكَ أَبْـصَـرْتَـهُ وإنْ فَـتّـحْـتَ عَـيْـنَـكَ لا تَـرَاهْ؟

فقال الطيبي على الفور : هو طَيْف الخيال .

(ابن شاكر الكتبي : فوات، ١/ ٢٧٧)

* * *


٦
مُلح الحمقى والمجانين



كما أنّ للعقلاء لطائف وطرائف ، فإن للحمقى والمجانين مثل ذلك من المُلَح والنوادر ، منها :

يتمنّى أن يُمسخ حُورية !

قيل : إن الحسن بن عبد الله بن الجصّاص الجوهري كان يُنسب إلى الحمق والبَلَه ، فقال يوماً : اللهمّ ، امسخني حُوريةً[1] وزوّجني بعمر بن الخطّاب . فقالت له زوجته : سَل اللّه أن يزوّجك من النبيّ ﷺ إن كان لا بدّ لك أن تبقى حُوريةً . فقال : ما أُحبّ أن أكون ضرّةً لعائشة رضي الله عنها !

(ابن شاكر الكتبي : فوات ، ١/ ٢٧٤)

* * *

الولد الأحمق

قال رجلٌ لامرأته : الحمد للّه الذي رزقنا ولداً طيّباً . قالت : الحمد للّه ، فلم يُرزق أحدٌ مثل ما رُزقنا به . فدَعَوا ولدهما ، فجاء ، فقال له أبوه :

(١) حورية: إحدى نساء الجنّة .

يا بنيّ ، مَن حفر البحر ؟ قال : موسى بن عِمران . قال : ومَن بلّطه ؟ قال : محمد بن الحجّاج . فشقّت المرأة قميصها ، ونشرت شعرها ، وجعلت تبكي . فقال زوجها : ما بكِ ؟ قالت : لا يعيش ابني مع هذا الذكاء !

(الحوفي : الفكاهة ، ١/ ١٣)

* * *

أنا أنتَ ، فمن أنا ؟ !

ومن الحمقى المشهورين هَبَنّقة[1] . ومن حُمقه أنّه جعل في عنقه قِلادة من وَدَعٍ وعظامٍ وخزفٍ ، وقال : أخشى أن أُضلّ نفسي ، ففعلت ذلك لأعرفها به . فَحُوِّلت القِلادةُ ذاتَ ليلةٍ من عنقه لعنق أخيه . فلمّا أصبح قال : يا أخي ، أنا أنتَ ، فمن أنا ؟ !

(ابن الجوزي : أخبار الحمقى والمغفّلين ، ص ٢٤)

* * *

حُكْمُ هَبَنّقة !

وبلغ من حُمْق هبنّقة أنّه ضلَّ له بعيرٌ ، فجعل ينادي : مَن وجد بعيري فهو له . فقيل له : ولِمَ تنشدهُ[2] . قال : وأين حلاوة الظفر والوجدان ؟ واخْتَصَمَتْ إليه الطّفاوة وبنو راسب في رجلٍ ادّعى هؤلاء وهؤلاء فيه . فقالوا : قد رضينا بحكم أوّل طالعٍ يطلعُ علينا ، فطلع عليهم هبنّقة . فلمّا رأوه قالوا : انظروا بالله مَن طلعَ علينا . فلمّا دَنا قصُّوا عليه القصّة . فقال هبنّقة : الحكمُ في هذا بيِّنٌ ، اذهبوا به إلى نهر البصرة فألقوه فيه ، فإن كان

---

(١) هَبَنّقَة : هو يزيد بن ثروان ويكنّى بأبي الودعات . أحد بني قيس بن ثعلبة . وقد ضُرب المثل بحمقه حتى قيل : هو أحمق من هبنقة (المصدر ذاته) .

(٢) تنشده : تطلبه .

راسبياً رسبَ ، وإن كان طَفاوياً طَفا . فقال الرجل : لا أريد أن أكون من أحد هذين الحيّين، ولا حاجة لي في هذا الديوان[1] .

(الجاحظ : المحاسن والأضداد ، ص ٦٧)

* * *

باقل الأحمق

اشترى باقل[2] عَنْزاً بأحد عشر درهماً ، وجرّها بحبلٍ في يده . فسئل : بكم اشتريتَ العنزَ؟ ففتح كفّيه وفرّق أصابعه ، وأخرج لسانه ، يريد أنّه اشتراها بأحد عشر درهماً . فشردت العنز وضاعت ، وفيه يقول الشاعر :

يلومـونَ في حُمْقـهِ بـاقـلاً ... كـأنّ الـحمـاقـةَ لـم تُخْـلَق
فـلا تُكثـروا العَـذْلَ في عَيّـه ... فَللصّمتُ أجملُ بـالأَمْـوَق[3]
خُـروجُ اللسانِ وفتـحُ الْبَنانِ[4] ... أَحـبُّ إليـنـا مِن الـمنـطقِ !

(العطيري : أدبنا الضاحك ، ص ٢٣٥)

* * *

الغِلاظ الشِّداد

مرّ صباح المُوَسْوَس[5] بقومٍ ، فظنّ بهم خيراً فردّوه ، وكانوا سبعة .

---

(١) الديوان : المكان الذي يُجتمع فيه لفصل الدعاوى بين الناس (فارسية) .
(٢) باقل : من حمقى العرب المشهورين في الجاهلية ، يضرب بعيّه المثل (الزركلي : أعلام ، ٤٢/٢) .
(٣) العذل : اللوم . العيّ : العجز عن الكلام . الأموق : الأحمق .
(٤) البنان : الأصابع .
(٥) المُوَسْوَس : هو جُعيفران بن علي بن أصفر بن السرِّي الأنباري . من ساكني سُرّ مَن رأى ، ومنشؤه بغداد (الصفدي : الوافي ١١/١٦٨) .

فسأل أحدهم فقال : ما اسمك ؟ قال : غليظ . وقال للثاني : ما اسمك ؟ فقال الخشِن . فقال للثالث : وأنتَ ؟ فقال : وَعِر . فقال للرابع : وأنت ؟ فقال : شدّاد . فقال للخامس : وأنتَ ؟ فقال : رَدّاد . فقال للسادس : وأنت ؟ فقال : ظالم . فقال للسابع : وأنت ؟ فقال : لاطِم . قال صباح : وأين مالك ؟ قالوا : ومَن مالك ؟ يا مجنون ! قال : ألستم خَزَنة النار ؟

(ابن حبيب : عقلاء المجانين ، ص ١٠٩)

* * *

مِن حمقى قريش

ومن حمقى قريش معاوية بن مروان بن الحكم ، بينا هو واقفٌ بباب دمشق ينتظر أخاه عبد الملك على باب طحّان ، وحمار الطحّان يدور بالرَّحى[١] وفي عنقه جُلْجُل[٢] ، فقال للطحّان : لِمَ جعلتَ في عنق هذا الحمار جُلْجُلاً ؟ فقال : ربّما أدركتني نَفْسَةٌ[٣] أو سآمة[٤] ، فإذا لم أسمع صوت الجُلجل علمتُ أنه قد نام ، فصحتُ به . فقال : أرأيتَهُ إن قام وحرّك رأسه ، ما عِلْمُك به أنه قائم ؟ فقال : ومَن لِحماري بمثل عقل الأمير !

(ابن أبي الحديد : الشرح ، ١٨/ ١٦٢)

* * *

سَمْنُون المجنون وبعض الخلفاء

قال بعض الخلفاء : يا سَمْنون[٥] ، كيف وصلتَ إليه[٦] ؟ قال : ما

(١) الرحى : حجر الطاحون .

(٢) جلجل : جرس صغير . (٣) نفسة : نُعاس . (٤) سآمة : تعب ومَلل .

(٥) سمنون : هو ابن حمزة الخواص ، أبو الحسين . وسمّى نفسه الكذّاب بسبب أبياته التي قال فيها :

فليس لي في سواكَ حظّ فكيف ما شئتَ فامْتَحِنّي

(المصدر نفسه)

(٦) وصلت إليه : أي وصلت لمعرفة الله تعالى .

وصلتُ حتى عملتُ ستة أشياء : أَمَتُّ ما كان حيًّا وهو النفس ، وأحييتُ ما كان مَيْتاً وهو القلب ، وشاهدتُ ما كان غائباً وهو الآخرة ، وغيّبتُ ما كان شاهداً وهي الدنيا ، وأبقيتُ ما كان فانياً وهو المُراد ، وأفنيتُ ما كان باقياً وهو الهَوى ، واستوحشتُ مما تستأنسون ، وأَنستُ مما تستوحشون ، ثمّ أنشد :

رُوحِي إليكَ بكلِّها قد أَجْمَعْتُ ... لو أنّ فيكَ هَلاكَها ما أقلعتْ
تبكي عليكَ بكُلِّها في كُلِّها ... حتى يقالَ مِن البكاءِ تقطّعتْ
أنظرُ إليها نظرةً بمودَّةٍ ... فلربّما منَّعْتُها فتمنّعتْ

(ابن حبيب : عقلاء المجانين ، ص ١٠٥

* * *

فتى مجنون

قال سَهْلان القاضي[١] : بينما أنا سائرٌ في بعض الطرقات إذ مررتُ بفتًى مجنون وبين يديه خُلْقان[٢] ، فقال لي : أين رأيتَ القافلة ؟ قلت : في موضع كذا . قال : آهٍ مِن البَيْن[٣] ، آهٍ من دواعي الحَيْن[٤] . فقلت : وما دهاك[٥] ؟ فقال :

شَيَّعْتُهُم[٦] مِن حيثُ لم يعلموا ... ورحتُ والقلبُ بهم مُغْرَمُ
سألتُهُم تسليمةً منهم ... عليّ إذ بانوا[٧] فَما سَلّموا

---

(١) سَهْلان القاضي : لعلّه ابن سَهْلان القاضي (. . . ـ نحو ٤٥٠هـ/١٠٥٨م) .
وهو عمر بن سهلان الساوي ، زين الدين . يعرف بالقاضي الساوي (الزركلي : أعلام ، ٤٧/٥) .
(٢) الخلقان : الثياب البالية .
(٣) البين : الفراق .
(٤) الحين : الهلاك .
(٥) دهاك : أصابك .
(٦) شيعتهم : ودّعتهم .
(٧) بانوا : فارقوا .

سـاروا ولم يَـرْنـوا لمُسْتَـهتَـرٍ ولم يُبـالـوا قلبَ مَن تيَّمـوا[1]
واسْتَحْسَنُـوا ظُلمي فمِن أجـلِهم أَحـبَّ قـلبـي كـلَّ مَـن يَـظْلِمُ

(ابن حبيب : عقلاء المجانين ، ص ١٤٤)

* * *

عُلَيَّان المجنون وأبو يوسف القاضي

قال الإمام أبو يوسف[2] القاضي رحمهُ الله : كنت مارًّا في طرقات الكوفة وإذا أنا بعُليّان المجنون . فلما أبصرني سلَّم عليَّ وقال لي : أيُّها القاضي ، مَسْأَلَة . قلتُ : هاتِ . قال : أَليس قال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ في الأرْضِ ولا طَـائِرٍ يَـطِيرُ بِجَنَـاحَيْهِ إلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾[3] . قلت : بلى . قال : أليس قال الله عزَّ وجلّ : ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إلَّا خَلا فِيها نَذِيرٌ ﴾[4] . قلت : بلى . قال : فما نذير الكلاب ؟ . قلت : لا أدري فأَخْبِرني . قال : لا واللَّه ، لا أقول إلَّا بمَنٍّ رُقاقٍ مِن شِواء[5] ونصف مَنٍّ فالُوذَج[6] ، فأمرت من جاء بها ، ودخلت معه مسجداً فأكلها حتى أتى على آخرها . فقلت : هاتِ الجواب : فأخرج مِن كُمّه حجراً وقال : هذا نذير الكلاب ! .

(ابن حبيب : عقلاء المجانين ، ص ٧٩)

* * *

---

(١) لم يرنوا : لم ينظروا . تيّموا : أصابوا بالحب الشديد .
(٢) الإمام أبو يوسف (١١٣هـ/٧٣١م - ١٨٢هـ/٧٩٨م) .
هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري، أبو يوسف. صاحب الإمام أبي حنيفة وتلميذه، وأوّل من نشر مذهبه (الزركلي : أعلام، ١٩٣/٨) .
(٣) الأنعام/ ٣٨ .
(٤) فاطر / ٢٤ .
(٥) منّ رقاق : المَنّ : كَيْل كان يُكال به . الرقاق : خبز الرقاق . الشواء : اللحم .
(٦) الفالوذج : نوع من الحلوى .

عُليّان والهادي

قيل : إنّ الخليفة العبّاسي موسى الهادي أمر بإحضار بهلول وعُليّان ، فأُحضرا . فلمّا دخلا عليه قال لعليّان : إيش معنى عليّان ؟ قال عليّان : وإيش معنى موسى أَطْبق[1] ؟ فغضب الهادي وقال : خذوا بِرجْل ابن الفاعلة . فالتفتَ عليّان إلى بهلول وقال : خذها إليك ، كنّا اثنين فصرنا ثلاثة .

(ابن حبيب : عقلاء المجانين ، ص ٩١)

* * *

أعطتني آكلهُ لها !

قال الأصمعي : رأيت بُهلولاً[2] قائماً ومعه خَبيص[3]، فقلت له : «إيش معك ؟ » قال : « خبيص » . قلت : أطعمني . قال : ليس هو لي . قلت : لمن هو؟ قال : لحمدونة بنت الرشيد ، أعطتني آكله لها !

(الصفدي : الوافي ، ١٠/ ٣٠٩)

* * *

بُهلول والقاضي

قيل : لمّا مات أبو بهلول خلّف ستمائة درهم ، فأخذها القاضي وحجز

---

(١) كان موسى الهادي يسمى موسى أَطْبق ، لأن شفته العليا كانت تقلص ، وكان أبوه وكّل به في صغره خادماً كلّما رآه مفتوح الفم قال : موسى أطبق .

(٢) هو بُهلول بن عمرو ، أبو وهيب الصيرفي المجنون ، من أهل الكوفة . له نوادر وأشعار . توفي في حدود ١٩٠ هـ / ٨٠٥ م (المصدر ذاته : أي مصدر الطرفة نفسه) .

(٣) خبيص : نوع من الحلوى .

عليها . فأتاه بهلول فقال : أصلح اللّه القاضي ، تزعم أنّي مصابٌ في عقلي فأنا جائعٌ فادعُ لي بمائتي درهم حتى أقعد في أصحاب الحلقات أبيع وأشتري ، فإن رأيتَ منّي رُشْداً[1] ضممتَ إليها الباقي ، وإن تَلِفَتْ فالذي أتلفتُ أقلّ مما بقي . فدعا القاضي بالكيس ووزن له مائتي درهم ، فأخذها بهلول ولزم الحيرة حتى أنفذها ، ثمّ جاء إلى القاضي ، وهو في مجلس الحكم ، فقال القاضي : ما صنعتَ يا بهلول ؟ فقال : أعزَّ اللّه القاضي ، أنفقتها ، فإن رأى القاضي أن يزن من ماله مائتي درهم ويردّها إلى الكيس حتى يرجع الكيس إلى ما كان . قال القاضي : فتجحد[2] لي ما أخذتَ ؟ قال : كلّا ، ولكنّي ما أقمتُ عندك شاهدين بأنّي موضع لها[3] . قال القاضي : صدقتَ ، ودعا بمائتي درهم وردّها إلى الكيس .

(ابن حبيب : عقلاء المجانين ، ص ٧٩)

* * *

حماقة الأب وابنه

قال أحمق لابنه ، وكان أحمق أيضاً : أيّ يوم صلّينا الجمعة في مسجد الرُّصافة[4] ، فقال : لقد نسيت ، ولكني أَظنّه يوم الثلاثاء ، قال : صدقتَ كذا كان .

(ابن العديم : كتاب الدراري : ص ٣٣)

* * *

(١) الرشد: الهدى والعقل .
(٢) تجحد: تنكر .
(٣) أنّي موضع لها: أي أهل لحملها والتصرّف بها .
(٤) الرُّصافة : اسم موقع في الجانب الشرقي من بغداد، بناها الخليفة العباسي المهدي .

الأعرابي الأحمق

سُرق من أعرابيّ حمار ، فقيل له : أَسُرِق حمارك ؟ قال : نعم ، وأحمد الله ! فقيل له : على ماذا تحمده ؟ قال : كيف لم أكن عليه !

(ابن العديم : كتاب الدراري ، ص ٣٣)

* * *

الأحمقان

اصطحبَ أحمقان في طريق ، فقال أحدهما : تعالَ نتمنَّ ، فإنّ الطريق يُقطع بالحديث . فقال أحدهما : أنا أتمنّى قطائع غنمٍ أنتفع بِرِسْلها(١) ولحمها وصوفها ، ويخصبُ معها رَحْلي(٢) ، ويشبعُ معها أهلي ، قال الآخر : وأنا أتمنّى قطائعَ ذئابٍ أُرسلها على غنمك حتى تأتيَ عليها . فقال : وَيْحكَ ! أهذا من حقّ الصحبة وحُرمة العِشْرة ؟ وتلاحما ، واشتدّت الملحمة بينهما ، فرضيا بأوّل مَن يطلعُ عليهما حَكَماً . فطلع عليهما شيخٌ على حمار بين زِقّيْن(٣) من عسل ، فحدّثاه . فنزل عن الحمار ، وفتح الزقّين حتى سال العسل في التراب ، ثم قال : صَبَّ الله دمي مثل هذا العسل إنْ لم تكونا أحمقين !

(ابن العديم : كتاب الدراري ، ص ٣٣)

* * *

---

(١) رِسْلها : لبنها .

(٢) الرحل : ما يُجعل على ظهر البعير ، الأثاث ، المنزل .

(٣) الزقّ : جلد يستعمل لحمل الماء وغيره من السوائل .

شاب مجنون

قال عبد الله بن عبد العزيز[1] السامري : مررتُ بدَيْر هزقل[2] أنا وصديق لي . فقال لي : ادخلْ بنا لنرى مِن مُلَح ، فقلت : ذلك إليك . فدخلنا وإذا بشابٍ مليح الوجه ، حسنِ الزيّ قد أرْجَل[3] شعره وكحل عَينيه ، طَراوة يعلوها حلاوة ، مشدودٌ إلى سلسلة بجانب حائط . فلما بَصِر بنا قال : مرحباً بالوفد قرَّب اللهُ ما نأى[4] منكما ، بأبي أنتما . قلنا : وأنتَ فأمتعَ اللّه الخاصّة والعامّة بقربك وآنَس جماعة ذوي المروءة بشخصك ، وجعلنا وسائر مَن يحبّك فداءَك ، فقال : أحسن الله عن جميل القول جزاءكما ، وتولَّى عنّي مكافأتكما . قلنا : فما تصنع في هذا المكان الذي أنتَ لغيره أهلٌ ؟ فقال :

اللهُ يعلمُ أنّني كَمِدُ — لا أستطيعُ أَبُثُّ ما أَجِدُ[5]
نفسانِ لي : نفسٌ تَضَمَّنها — بَلَدٌ وأُخرى حَازَها بَلَدُ[6]
أمّا المُقيمةُ فليسَ ينفعُها — صبرٌ وليسَ يقرُّها جَلَدُ[7]
وأظنُّ غائِبتي كشاهِدتي — وكأنّها تَجِدُ الذي أَجِدُ

ثم التفت إلينا فقال : هل أَحسنتُ ؟ قلنا له : نعم ما قصّرتَ وولّينا . فقال : بأبي أنتما ما أسرع ذَهابكما ، بالله أَعِيراني أفهامكما وأَذهانكما ، قلنا : هاتِ ، فقال :

---

(١) عبد الله بن عبد العزيز السامري ، راوية من رواة النوادر والأخبار.

(٢) دَيْر هِزْقِلَ : دير مشهورٌ بين البصرة وعسكر مُكرَم . وقال بعض المفسِّرين : وعندها أحيا الله حمار عُزَيْر عليه السلام (ياقوت : معجم البلدان ، ٢/٥٤٠) .

(٣) أرجل شعره : سرّحه .

(٤) نأى : بَعُد.

(٥) كمد: مريض القلب من الغمّ والحزن . أبثّ : انشر ، أذيع .

(٦) حازها : ضمّها .

(٧) لا يقرّها جلد : لا يهدّىء حالها الصبر .

لمّـا أنـاخُـوا قُبَيْـلَ الصُّبـحِ عِيـرهُم[1]
ورحَّـلوهـا فـسـارتْ بـالـهَـوى الإبـلُ

وقَلَبتْ مِـن خِـلال السَّـجْفِ نـاظِـرَهـا
تَـرْنـو إلـيَّ ودمـعُ العـينِ مُنْهَـمِـلُ[2]

وودَّعـتْ بـبـنـانٍ عَـقْـدُهُ عَـنَـمُ
نـاديتُ لا حَمَلَتْ رِجـلاكَ يـا جَمَـلُ[3]

وَيْلي مِن البَيْـن مـاذا حَـلَّ بي وبـهـا
يـا نـازحَ الـدارِ حَـلَّ البَيْنُ وَارْتَحلوا[4]

يـا راحـلَ العِيسِ عَـرِّج كي أُوَدِّعَهـم
يا راحلَ العِيس في تَـرْحَالِـكَ الأَجَلُ[5]

إنّـي على الـعهـدِ لـم أنْقُضْ مَـودَّتـهم
يـا لَيْتَ شِعـري بـطُولِ العهـدِ مـا فَعَلُوا

فقلنا : مجـوناً منّا ـ ولم نعلم بحقيقة ما وصف ـ ماتوا .

قال : أقسمتُ عليكم ماتوا ؟ ثمّ قال : إنّي واللّهِ ميّت في إثْرِهم[6] . ثم جَذَبَ نفسه في السلسلة جَذْبَةً دَلَعَ منها لسانُه ، وبرزت عيناهُ ، وانبعثَتْ شفتاهُ بالدماء[7] ، فتلبَّطَ ساعةً ثم ماتَ . فلا ننسى نَدامتنا على ما صنعنا به .

(ابن حبيب : عقلاء المجانين ، ص ١٤٢)

* * *

(١) العِير : الجِمال .
(٢) السجف : الستر ، الحجاب . ترنو : تنظر . منهمل : نازل على الخدّيْن .
(٣) البنان : الأصابع . العنم : شجرة لها ثمرة حمراء ، يشبّه بها البنان المخضوب .
(٤) البين : الفراق .
(٥) العيس : الإبل البيض يخالط بياضها سواد خفيف .
(٦) في إثرهم : بعدهم ، في الحال .
(٧) وانبعثت شفتاه بالدماء : أي انفجرتا به .

سعدون المجنون يستسقي

قال عطاء[١] السُّلمي احتبس عنّا القَطْرُ بالبصرة ، فخرجنا نستسقي فإذا بسعدون[٢] المجنون . فلمّا أبصرني قال : يا عطاء إلى أين ؟ قلت : خرجنا نستسقي . فقال : بقلوبٍ سماويةٍ أم بقلوبٍ خاوية ؟[٣] قلت : بقلوبٍ سماوية ، فقال : لا تُبهرج فإنّ الناقد[٤] بصير .

قلت : ما هو إلّا ما حكيتُ لكَ فاسْتَقِ لنا . فرفع رأسه إلى السماء ، وقال : أقسمتُ عليكَ إلّا سقيتنا الغيثَ ، ثم أنشأ يقول :

أَيـا مَن كُلّمـا نُـودِي أَجـابَـا ... ومَن بِجَـلالـهِ يُنْشِي السَّحـابـا
ويـا مَن كَلَّم الصـدِّيقَ مُـوسى[٥] ... كَـلامـاً ثـمّ أَلْهَـمـهُ الصَّـوابـا
ويـا مَن رَدَّ يوسفَ[٦] بعـد ضَـرٍّ ... على مَن كـان ينتحبُ انْتِحـابَـا
ويـا مَن خَصَّ أحمدَ بـاصْطفـاءٍ ... وأعـطاهُ الـرسـالـةَ والكتـابـا[٧]

اسقنا !

قال : فأَرْخَتْ السماءُ شآبيب[٨] كأفواه القِرَب[٩] . فقلت : زدني .

---

(١) عطاء السُّلمي : راوية من رواة النوادر والأخبار .
(٢) سعدون المجنون : ذكر ابن الجوزي أنّه كان من عقلاء المجانين وحكمائهم، وله أخبارٌ مِلاح وكلام سديد ونظم ونثر . طوّف في البلاد ، وكانت وفاته في حدود ١٩٠هـ/٨٠٥م .
(٣) قلوب سماوية : أي قلوب يعمرها الإيمان . قلوب خاوية ، أي خالية من الإيمان .
(٤) الناقد بصير : يعني الله تعالى المطّلع على القلوب .
(٥) الصدّيق موسى : موسى عليه السلام .
(٦) ردّ يوسف : أي ردّ يوسف لأبيه يعقوب بعد أن ألقاه إخوته في البئر .
(٧) أي خصّ النبي محمد (ص) بالنبوّة والرسالة .
(٨) شآبيب : مفردها شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر .
(٩) القرب : مفردها قِربة ، وهي وعاء من جلد يجعل فيه اللبن أو الماء .

قال : ليس ذا الكيل من ذلك البَيْدَر[1] .

(ابن حبيب : عقلاء المجانين ، ص ٣٤)

* * *

تحامق وهو صحيح العقل

قال مالك بن دِينار : رأيتُ بالمَصِّيصة[2] شيخاً في عنقه غُلّ[3] وسِلْسلة والصبيان يرمونه وهو يقول :

إنَّ مَن قد أرى على صُوَرِ النا ... س وإنْ قُتِّشوا فَلَيْسوا بناسِ

قال : فتقدّمتُ إليه فقلت : أَمجنونٌ أنتَ ؟

قال : أنا مجنونُ الجوارحِ لا مجنونُ القلبِ ، ثمّ مرَّ وأنشأ يقول :

وارَيْتُ أَمري بالجنون عن الوَرى ... كَيْمَا أكونَ بواحِدي مشغولُ !
يا مَنْ تَعجَّبَ في الأَنامِ لمنطقي ... ماذا أقولُ ومنطقي مجهول ؟

(ابن حبيب : عقلاء المجانين ، ص ٣٢)

* * *

تحامق لينال غنىً

مرَّ بعض الأدباء بمجنون يتكلّم ، فتأمّل كلامه ، فإذا هو رصين يدور على الأصول ، فقال له : ما حملكَ على التحامُق ؟ فقال :

جَنّنتُ نفسي لكي أنالَ غِنىً ... فالعقلُ في ذا الزمانِ حِرمانُ

---

(١) البيدر : الموضع الذي يُدرس فيه القمح .
(٢) المصّيصة : من ثغور الشام تقارب طرطوس .
(٣) الغلّ : طوق من حديد أو جلد يُجعل في اليد أو العنق .

يـا عـاذلي[1] لا تَلُمْ أَخـا حُمْقٍ تضحـكُ منـهُ فـالحمقُ أَلـوانُ

(ابن حبيب : عقلاء المجانين ، ص ٣٤)

* * *

الولد القِرْقَة

ضاع لرجل ولدٌ ، فجاؤوا بالنوائح ولطموا عليه ، وبقوا على ذلك أَياماً . فصعد أبوه يوماً الغرفة ، فرآه جالساً في زاوية من زواياها . فقال : يا بنيّ أنتَ بالحياة ، أَما ترى ما نحن فيه ؟

قال : قد علمتُ ولكن ها هنا بَيْضٌ قد قعدتُ مثل القِرْقة[2] عليه ، لا يمكنني أبرحُ[3] ، أُريد فُرَيْخاتٍ أنا أُحبّهم . فاطَّلَع أبوه إلى أهله فقال : قد وجدتُ ابني حيّاً ، ولكن لا تقطعوا اللطمَ عليه ، الطموا كما أنتم !

(ابن الجوزي : أخبار الحمقى والمغفلين ، ص ١٦٠)

* * *

الابن الأحمق

كان لبعض الأدباء ابنٌ أحمق ، وكان مع ذلك كثير الكلام ، فقال له أبوه ذاتَ يومٍ : يا بنيّ لو اختصرتَ كلامك ، إذا كنتَ لا تأتي بالصواب .

قال نعم .

فأتاه يوماً فقال : مِن أين أقبلتَ يا بني ؟

قال : من سوق .

(١) عاذلي : لائمي .
(٢) القِرقة : الدجاجة التي تقعد على بيضها .
(٣) أبرح : أترك المكان .

قال : لا تختصرها ها هنا ، زِد الألف واللام .

قال : في سوقال !

قال : قدّم الألف واللام . قال : أَلف لام سوق ! قال : ما عليكَ لو قلتَ : مِن السوق ، فواللّه ما أردتَ في اختصارك إلّا تطويلاً !

وقال هذا الولد يوماً لأبيه : يا أبةِ ، اقطع لي جبّاعة .

قال : وما جبّاعَة في الثياب . قال : أَلَستَ قلت لي اختصر كلامك ، يعني جُبّة ودُرّاعة[1] .

(ابن الجوزي : أخبار الحمقي والمغفلين ، ص ١٦٧)

* * *

الأحمق والحمير

كان أحدُ الحمقاءِ يسوقُ عشرةَ حميرٍ . فركبَ واحداً منها وعدّها ، فإذا هي تسعةُ حميرٍ ، فنزل وعدّها فإذا هي عشرة . فقال : أمشي وأربح حماراً خيرٌ من أن أركبَ وأخسرَ حماراً . فمشى حتى كاد أن يتلفَ إلى أن بلغَ قريته .

(العمري : من كلّ وادٍ حجر ، ص ١٤٦)

* * *

التحذير من صحبة الأحمق !

قال أحدهم :

إتّــقِ الأحــمــقَ أن تَــصْــحَــبَــهُ   إنّمـا الأحمقُ كـالثـوب الخَلَقْ[2]
كـلّمـا رقـعـتَ مـنـه جـانـبـاً   خَـرَقَتْهُ الـريحُ وَهْناً فـانْخَـرقْ[3]

---

(١) الدّراعة : جبّة مشقوقة المُقدّم .
(٢) الثوب الخلق : الثوب البالي .
(٣) وهناً : ضعفاً .

أو كَصَدْعٍ في زجاجٍ فاحشٍ   هل ترى صَدْعَ زُجاجٍ يَرْتَتِقْ
كحمارِ السُّوقِ إن أَقْضَمْتَهُ   رَمَحَ الناسَ ، وإن جاعَ نَهَقْ
أو غلامِ السُّوءِ إن أَسْغَبْتَهُ   سرقَ الناسَ ، وإن يَشْبَعْ فَسَقْ

وإذا عاتَبْتَهُ كي يَرْعَوي   أفسدَ المجلسَ منهُ بالْخَرَقْ

(ابن الجوزي : أخبار الحمقى والمغفّلين ، ص ٢٤)

* * *

نعوذ بالله !

كان الشيخ نصر الدين المعروف عند العامّة بجُحا ، رجلاً فاضلاً فيه دُعابة وفيه عقل . وكان يحلو له دائماً أن يخلط بين المزاح والجِدّ ، ويصارح محدّثه برأيه فيه في فكاهةٍ مُستملحة . وذات يوم التقى بالطاغية تَيْمورلنك فقال له : يا نصر الدين ، إنّي شديد الإعجاب بأسماء الخلفاء السابقين التي تختتم باسم «الله»، كالواثق بالله ، والمظفّر بالله ، والمستنصر بالله . . . وأريد أن تختار لي اسماً من هذا النوع . فالتفت إليه جُحا وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة وقال : « أختار لك . . . نعوذ بالله » . فضحك الطاغية ولم يستطع الكلام . . . !

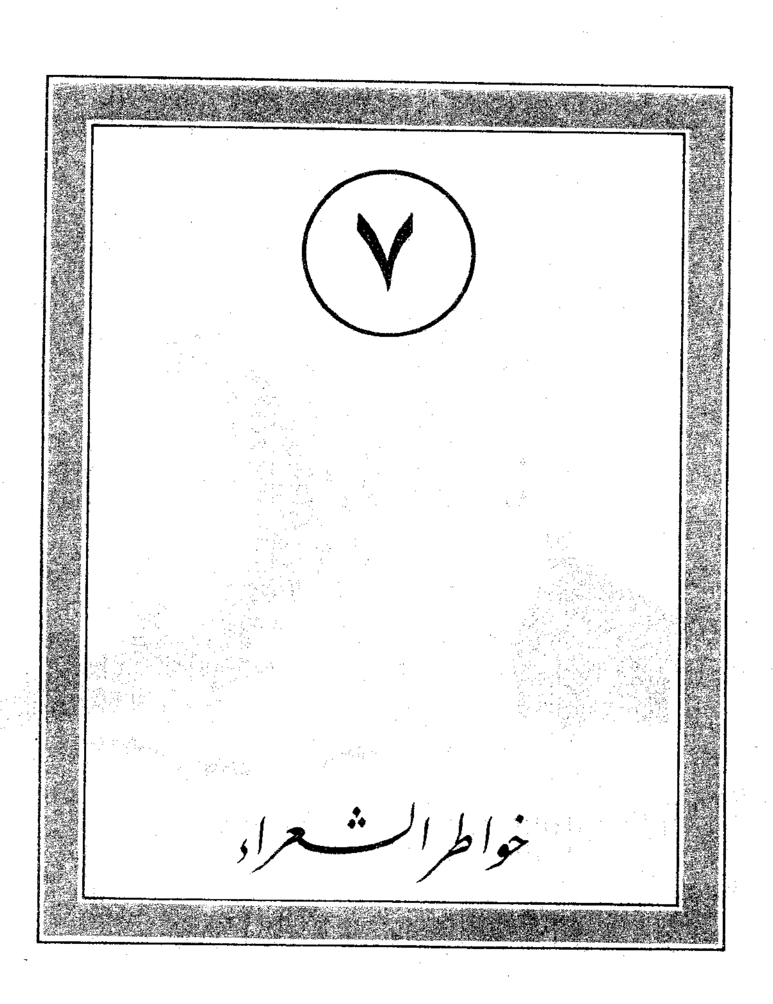
(العربي : كانون/٢، ١٩٨٦)

* * *

آكُلُ مالَ الله !

قال الأصمعي : ولّى أحد الأمراء أعرابياً على عمل من أعمال الرعيّة . فأصاب عليه خيانة ، فعزله واستدعاه . فلّما قدم عليه ، قال له : يا عدوّ الله أكلتَ مالَ الله ! فقال الأعرابي : ومال مَن آكُلُ إذا لم آكُل مال الله ؟! إنّي والله راودتُ إبليس ألف مرّة أن يعطيني فَلْساً واحداً فما فعل .

(الدبّاغ : أدب المعدمين، ص ١٣)


٧
خواطر الشعراء



قالوا في الصداقة :

معاملة الصديق

أنشد بعضهم :

نَصِلُ الصديقَ إذا أَرادَ وِصالنا
ونصدُّ عند صُدودهِ أَحيانا
إنْ صدَّ عنّي كنتُ أكرمَ مُعْرِضٍ
ووجدتُ عنهُ مَذْهَباً ومكانا
لا مُفْشِياً بعد القَطيعةِ سِرّهُ
بل كاتِماً مِن ذاكَ ما آسْتَرْعَانا
إنّ الكريم إذا تقَطَّعَ وُدُّهُ
كَتَمَ القَبيحَ وأظهرَ الإحسانا

(النيسابوري : آداب الصحبة ، ص ٦٥)

* * *

ماتَ شبابي!

قال الإرْبَلي[1] :

سـألتُ شيخـاً عن صبـغ لحيتـهِ ... ولـبسـه لـلسـواد فـي الـبـلدِ
فـقـال لـي والـدمـوعُ جـاريـةٌ ... مِـن مقـلتيـهِ تـسيـلُ كـالـمَـددِ
مـاتَ شبـابي فقـد حـزنتُ وقـد ... ألبستُ شَعْري السوادَ مع جسدي

(الصقاعي : تالي الوفيات، ص ١٢٧)

* * *

هجر الصديق

قال الناشىء الأصغر[2] :

إنّي لَيَهْجُرُني الصـديقُ تَجَنّياً ... فـأُريـهِ أَنّ لِهَجْـرِهِ أَسبـابـا
وأَخـافُ إنْ عـاتبتُـهُ أَغْـرَيْتُـهُ ... فـأَرى لهُ تـركَ العِتاب عِتـابـا
وإذا بُليتُ بجـاهـلٍ مُتغـافـلٍ ... يدعو المُحَالَ[3] مِن الأُمورِ صَوابا
أَوْلَيْتُـهُ منّي السكـوتَ وربّمـا ... كان السكوتُ عن الجوابِ جَوَابا

(ابن خلّكان : وفيات ، ٣/ ٣٧٠)

* * *

---

(١) هو غَرْسُ الدين غازي الإربلي الأديب الشاعر المشهور . له شعر جيّد (المصدر نفسه) .

(٢) الناشيء الأصغر (٢٧١هـ/ ٨٨٤م - ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م) .
هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن وصيف ، المعروف بالناشيء الأصغر . كان من الشعراء المحسنين . (المصدر نفسه) .

(٣) المحال : غير الممكن .

صديقٌ جافٍ

قال الخوارزمي في صديقٍ جافٍ :

وما أصبحتَ إلّا مثلَ ضِرْسٍ   تـأَكَّـلَ فَهْـوَ مَـوْجـودٌ فَقيـدُ
ففي تَـرْكي لــهُ داءٌ دَوِيٌّ   وفي قَلْعي لـه أَلَمٌ شـديـدُ

(الخوارزمي : بدائع المُلح ، ص ٧١)

* * *

أين الوفاء ؟

قال الشاعر :

أمّا الوفـاءُ فشيءٌ قد سمعتُ به   فمـا وجدتُ لـهُ رَسماً ولا أثـرا
فـلا أُطـالبُ مخلوقـاً بـهِ أَبـداً   ولا ألـومُ على غَـدْرٍ أخـاً غـدَرا
ومَن تَـوهَّمَ في الدنيـا أخـا ثقـةٍ   فـإنّـه بَشَـرٌ لا يعـرفُ البَشـرا

(السيوطي : الشهاب الثاقب ، ص ٤٠)

* * *

شرار الإخوان

قال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر[1] :

---

(١) عبد الله بن معاوية (. . . ـ ١٢٩هـ/ ٧٤٦م) .
هو عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب . من أجواد الطالبيين وشعرائهم (الزركلي : أعلام ، ٤/ ١٣٩) .

رأيتُ فُضَيْلاً كان شيئاً مُلَفَّفاً
فكَشَّفَهُ التمحيصُ حتّى بَدا لِيَا
فأنتَ أخي ما لم تَكُنْ لي حاجةٌ
فإن عَرَضَتْ أيقنتُ أنْ لا أخَا لِيَا
فلا زادَ ما بَيْني وبَيْنكَ بعدما
بَلَوْتُكَ[1] في الحاجاتِ إلّا تَمادِيَا
فلستُ براءٍ عَيْبَ ذِي الوُدِّ كلَّهُ
ولا بُغْضَ ما فيهِ إذا كنتُ راضِيَا
فعينُ الرِّضا عن كلِّ عَيْبٍ كليلةٌ[2]
ولكنَّ عينَ السُّخْطِ تُبْدِي المَساوِيا
كِلانا غَنِيٌّ عن أخيهِ حياتَهُ
ونحنُ إذا مِتْنا أشَدُّ تَغانِيَا[3]

(ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ٣/ ٧٥)

* * *

وقالوا في العقل والبديهة :

عقل العاقل

قال عامر بن عبد قيس : إذا عَقَلَكَ عَقْلُكَ عمّا لا يعنيكَ فأنت عاقل ، ويقال : لا شرفَ إلّا شرف العقل ، ولا غِنىً إلّا غِنى النفس . وقال الشاعر :

---

(١) بلوتك : اختبرتك .
(٢) عين كليلة : عينٌ ضعيفة الرؤية .
(٣) أي عند الموت لا يحتاج أحدنا للآخر .

إذا لم يَكُنْ للمرءِ عقلٌ فإنّهُ
وإن كان ذا بيتٍ على الناسِ هَيِّنُ
ومَن كان ذا عقلٍ أَجَلَّ لعقلهِ
وأفضلُ عقلٍ عقلُ مَن يتَدَيَّنُ

(الأبشيهي : المستطرف ، ١/ ١٩)

* * *

العقل هو الفضل

أنشد مدنية الشاعر :

إذا جُمع الآفات فالبخلُ شرُّها
وشرٌّ مِن البخلِ المواعيدُ والمَطْلُ[١]
فإن كنتَ ذا مالٍ ولم تكُ عاقلاً
فأنتَ كذي نَعْلٍ وليس لها رِجْلُ
وإن كنتَ ذا عقلٍ ولم تكُ ذا غِنىً
فأنتَ كذي رِجْلٍ وليس لها نَعْلُ
أَلا إنّما الإنسانُ غِمْدٌ لنفسهِ
ولا خيرَ في غِمْدٍ إذا لم يكنْ نَصْلُ
فإن كان للإنسان عقلٌ ، فعقلُهُ
هو الفضلُ ، والإنسانُ مِن بعدِه فَضْلُ[٢]

(البغدادي : البخلاء ، ص ١١٩)

* * *

(١) المطل : التسويف بالوفاء بالوعود مرّة بعد أخرى .
(٢) الفضل : هنا البقيّة الزائدة .

سرعة الخاطر

رُوي عن أبي الخطّاب عمر بن عامر السعدي ، وقد أنشد موسى الهادي شعراً مدحه به ، يقول فيه :

يا خيرَ مَنْ عَقَدَتْ كفّاهُ حُجزتَهُ[1]   وخيرَ مَن قَلَّدَتْهُ أَمْرَها مُضَرُ

فقال له موسى : إلّا مَن يا بائس ؟ فقال : واصلاً كلامه ولم يقطعه :

إلّا النبيَّ رسولَ اللّهِ إنّ لهُ   فخراً وأنتَ بذاك الفخرِ تفتخرُ

ففطن موسى ومَن بحضرته أنّ البيت مُستدركٌ ، ونظروا في الصحيفة فلم يجدوه ، فضاعف صلته .

(ابن رشيق : العمدة ، ١/ ١٦٥)

* * *

ما صنعتَ شيئاً !

ومن عجيب ما روي في البديهة حكاية أبي تمّام[2] حين أنشد أحمد بن المعتصم[3] بحضرة أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي[4] :

---

(١) حجزته : عشيرته .

(٢) أبو تمّام : (١٨٨هـ/ ٨٠٤م -٢٣١ هـ/ ٨٤٦م) الشاعر حبيب بن أوس الطائي (الزركلي : أعلام ، ٢/ ١٧) .

(٣) احمد بن المعتصم : ابن الخليفة العباسي المعتصم بالله .

(٤) الكِنْدي (. . . - نحو ٢٦٠هـ/ ٨٧٣هـ) .
هو يعقوب بن إسحاق الكندي : فيلسوف العرب في عصره (الزركلي : أعلام ، ٨/ ١٩٥) .

إقـدامُ عمروٍ في سمـاحةِ حـاتِمٍ   في حِلْم أَحْنَفَ في ذكاءِ إياسِ[1]

فقال له الكندي : ما صنعتَ شيئاً ، شبّهتَ ابن أمير المؤمنين ووليّ عهد المسلمين بصعاليك العرب ! ومَن هؤلاء الذين ذكرتَ ؟ وما قدرهم ؟

فأطرق أبو تمّام يسيراً وقال :

لا تُنكِـروا ضَـرْبي لـهُ مَنْ دونَـهُ   مثَلاً شَروداً في النَّدى وٱلْباسِ[2]
فـاللّهُ قـد ضـربَ الأقـلَّ لنـورهِ   مثـلاً مِن ٱلْمِشْكـاةِ والنبـراسِ[3]

(ابن رشيق : العمدة ، ١/ ٢٧٩)

* * *

شعرٌ لا قافية لـه

وقد جاء أبو نُواس[4] بإشاراتٍ لم تجرِ العادة بمثلها ، وذلك أنّ الأَمين ابن زُبَيْدَة[5] قال له مرّةً : هل تصنعُ شعراً لا قافية له ؟ قال : نعم ، وصنع من فوره ارْتِجَالاً :

---

(١) عمرو : هو عمرو بن ودّ العامري الذي شهر بشجاعته وإقدامه . حاتم : هو حاتم الطائي الذي شهر بجوده وكرمه . الأحنف : هو الأحنف بن قيس الذي شهر بعقله وحلمه . إياس : هو القاضي إياس بن معاوية الذي شهر بفطنته وذكائه .

(٢) الندى : الجود والكرم . الباس : البأس والشدّة .

(٣) إشارة لقوله تعالى : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فيها مِصْبَاحٌ . . . ﴾ النور/ ٣٥ .

(٤) أبو نواس (١٤٦هـ/ ٧٦٣م - ١٩٨هـ/ ٨١٤م) .
الحسن بن هانىء ، الحكمي بالولاء . شاعر العراق في عصره (الزركلي : أعلام ، ٢/ ٢٤٠) .

(٥) زُبيدة : زوجة الخليفة العبّاسي هارون الرشيد .

ولقد قلتُ لِلْمَليحةِ قُولي
مِن بعيدٍ لِمَنْ يحبُّكِ (إشارة : قُبْلة)
فأشارَتْ بِمعْصَمٍ ثمّ قالتْ
مِن بعيدٍ خِلافَ قَوْلي (إشارة : لا لا)
فَتَنَفَّسْتُ ساعةً ثمّ إنّي
قلت لِلْبَغْلِ عند ذلك : (إشارة : امشِ)

فتعجّب جميع مَن حضر المجلس من اهتدائه وحُسْن تأتّيهِ[1] ، وأعطاه الأمين صلةً شريفة .

(ابن رشيق : العمدة ، ١/ ٢٧٩)

* * *

أيّهم أشعر ؟

اجتمع جَرير[2] والفرزدق[3] والأخطل[4] في مجلس عبد الملك[5] ،

---

(١) حسن تأتّيه : حُسن اهتدائه للمطلوب .
(٢) جرير (٢٨هـ/ ٦٤٠م - ١١٠هـ/ ٧٢٨م) .
جرير بن عطيّة التميمي . أشعر أهل عصره ، وهو من أغزل الناس شعراً (الزركلي : أعلام ، ٢/ ١١١) .
(٣) الفرزدق (. . . - ١١٠هـ/ ٧٢٨م) .
همّام بن غالب التميمي . شاعر من أهل البصرة ، عظيم الأثر في اللغة العربية (الزركلي : أعلام ، ٩/ ٩٦) .
(٤) الأخطل (١٩هـ/ ٦٤٠م - ٩٠هـ/ ٧٠٨م) .
غياث بن غوث التغلبي . اشتهر في عهد بني أميّة بالشام ، وأكثر من مدح خلفائهم (الزركلي : أعلام ، ٥/ ١٢٣) .
(٥) هو الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان .

فأحضر بين يديه كيساً فيه خمسمائة دينار وقال لهم : ليقل كلٌّ منكم بيتاً في مدح نفسه ، فأيّكم غلب فله الكيس .

فبدأ الفرزدق فقال :

أنـا القَطِرانُ والشعـراءُ جَـرْبَى   وفي القَـطِرانِ لِلْجَـرْبَى شِـفَـاءُ

فقال الأخطل :

فـإن تَـكُ زِقَّ[1] زاملةٍ فـإنّي   أنـا الـطاعـونُ لـيس لـه دَواءُ

فقال جرير :

أنـا المـوتُ الـذي آتِي عليكمْ   فـليس لـهـاربٍ منّي نَجـاءُ

(الأزدي : بدائع ، ص ٢٠)

* * *

وقالوا في المشيب

الشيب وقار

قال أحدهم :

أَهْـلاً وسَهْـلاً بـالمَشيب ومَـرْحَبـا   أهــلاً بـهِ مِن وافـدٍ ونـزيـلِ !
أَهْدَى الوَقـارَ وذَادَ[2] كلَّ جَهـالةٍ   كـانت ، وسـاقَ إليَّ كـلَّ جميـلِ
فصَحِبْتُ في أهل التُّقَى أهلِ النُّهَى   ولُقيتُ بـالتعـظيمِ والـتبجيـلِ

---

(١) الزقّ : وعاء من جلد يُحمل فيه السائل كالماء ونحوه . الزاملة : الدابّة يُحمل عليها .
(٢) ذاد : دفع وطرد .

ورأى لي الشبّانُ فضلَ جَلالةٍ لمّا اكْتَهَلْتُ ، وكنتُ غيرَ جليلِ[1]
فإذا رأَوْني مُقبلاً ، نَهضُوا معاً فِعْلَ المُقِرِّ لِهَيْبةِ التفضيلِ
إنْ قلتُ ، كنتُ مُصَدَّقاً في منطقي ماضي المقَالةِ حاضرَ التعديلِ

(النويري : نهاية الأرب ، ٢/ ٢٢)

* * *

الشيب شُعاع

وقال التنوخي الحنفي[2] :

فإن تُنكروا شيئاً برأسي كأنّهُ شُعاعٌ تَبدَّى في مُتونِ يَمانِ[3]
فإنَّ شبابَ الرمحِ ليس بكاملٍ إذا لم يُلَمَّع فيهِ شَيْبُ سِنانِ[4]

(الصفدي : الوافي ، ٦/ ٤٦)

* * *

يطلب المشيب

وقال ابن العلاّف[5] متبرّماً بشبابه ، بعد أن بلغ التسعين ولم تبيضّ له شعرة :

---

(١) اكتهلت : أصبحت كهلاً . جليل : مُسِنّ .

(٢) التنوخي الحنفي (ت ٥٠٣هـ/ ١١٠٩م) .
هو إبراهيم بن عبد الرحمن التنوخي . الفقيه الحنفي من أهل معرّة النعمان ، كان شاعراً أديباً فاضلاً (المصدر نفسه) .

(٣) يمان : السيف اليماني . متون : جمع متن ، ومتن السيف : وسطه .

(٤) السنان : نصل الرمح .

(٥) ابن العلاّف (٢١٨هـ/ ٨٣٣م - ٣١٨هـ/ ٩٣٠م) .
هو الحسن بن علي النهرواني . شاعرٌ عاش في بغداد ، ونادم بعض الخلفاء (الزركلي : أعلام ، ٢/ ٢٠١) .

إلامَ وفِيمَ يَظلمني شبابي ويُلبسُ لِمَّتي حُلَلَ الغُرابِ[1]
وآمُلُ شعرةً بيضاءَ تبدو بُدُوَّ البدرِ مِن خَلَلِ السحابِ
وأدْعَى الشيخَ مُمتلئاً شباباً كذا ظَمأً يُعَلَّلُ بالسَّرابِ[2]
فيا هُلْكي هنالكَ مِن مَشيبي ويا خَجَلي هُنالكَ واكْتِئابي[3]
ألا مَن يشتري منّي شباباً بشَيْبٍ واسْوِداداً بِاشْهِبابِ[4]

(الثعالبي : يتيمة الدهر ، ٣/ ٤١٧)

* * *

الشيب يصدّ الغواني

وقال خالد الكاتب[5] :

لمَّا رأَتْ شَيْباً أَلَمَّ بمَفْرَقي[6] صَدَّتْ صُدودَ مُفارِقٍ مُتَجَمِّلِ
وجعلتُ أطلبُ وَصْلَها بتذلُّلٍ والشيبُ يَغْمِزُها بأَن لا تَفعلي

(النويري : نهاية الأرب ، ٢/ ٣٠)

* * *

(١) اللمّة : الشعر المجاوز شحمة الأذن .
(٢) السراب : ما يُشاهد نصف النهار من اشتداد الحرّ كأنّه ماء ، ويضرب به المثل في الكذب والخداع .
(٣) اكتئابي : حزني .
(٤) اشهباب : من الشَهَب ، وهو بياض يتخلّله سواد .
(٥) خالد الكاتب (... - ٢٦٢هـ/ ٨٧٦م) .
هو خالد بن يزيد البغدادي ، المعروف بالكاتب . شاعر غزل ، من الكتّاب (الزركلي : أعلام ، ٢/ ٣٠١) .
(٦) المفرق : موضع افتراق الشعر في الرأس .

كَيْد المشيب

وقال ثعلبة بن موسى :

مـا زلتُ أصنـعُ لِلْمشيب أكيـدُهُ عنّي وأرْدَعُ لـونَـهُ بِخِضـابِ[1]
فيعـودُ ثُمَّ أعـودُ ثمّ يـعـودُ لي فـأعـودُ ثمّ مَلِلْتُ مِن أتعـابـي

(الثعالبي : يتيمة ، ٣/ ٤١٧)

* * *

خضب الشيب

وقال محمود بن الحسين كشاجم الكاتب[2] :

يا خاضِبَ الشيبِ والأيـامُ تُظهِـرهُ هـذا شبـابٌ لعمـرُ اللَّهِ مصنـوعُ
أذْكَـرْتَني قـولَ ذِي لُبٍّ وتجـربـةٍ في مثلِهِ لـكَ تـأديبٌ وتقـريـعُ[3]
إنّ الجـديدَ إذا مـا زِيدَ في خَلَقٍ تَبيَّنَ النـاسُ أنَّ الثـوبَ مَـرقـوعُ

(ابن رشيق : العمدة ، ٢/ ٨٠)

* * *

---

(١) الخضاب : التلوين .

(٢) كُشاجِم (. . . - ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م) .
هو محمود بن الحسين ، المعروف بكشاجم . شاعر ، أديب من الكتّاب ، من أهل الرملة في فلسطين (الزركلي : أعلام ، ٨/ ٤٣) .

(٣) ذي لبّ : صاحب عقلٍ سليم . التقريع : التعنيف والتوبيخ .

الخَضْب غِشّ

قال ابن طباطبا الحسني الرسي[1] :

قـالَتْ : أراكَ خَضَبْتَ الشيبَ ، قلتُ لهـا :
سَتَـرْتُـهُ عنـكِ يـا سَمْعي ويـا بَصَـرِي
فـآسْتَضْحَكَتْ ثمّ قـالـت مِن تَـعَجُّـبِهـا :
تَـكـاثَـرَ الغِشُّ حتّى صـارَ فـي الشَّـعْـرِ !

(الثعالبي : يتيمة ، ١/ ٤١٣)

* * *

في الاعتذار من الشيب

قيل : مِن أحسن وأظرف ما سُمع في الاعتذار من الخِضاب قول عبدان الأصفهاني[2] :

في مَشـيبـي شَمـاتَـةٌ لِعِـداتي　　وهـو نـاعٍ مُنَغِّصٌ لحـيَـاتـي
ويَعيـبُ الخِـضـابَ قـومٌ وفيـهِ　　لـي أُنْسٌ إلى حُـضـورِ وَفَـاتـي
لا ، وَمَـن يعـلمُ السـرائـرَ منّـي　　مـا بـهِ رُمْتُ خُلَّةَ الغَـانيـاتِ[3]
إنّـمـا رُمْتُ أن أُغَـيِّـبَ عـنّـي　　ما تُـرينِيـهِ كـلَّ يـومٍ مِـراتي[4]

(١) ابن طباطبا (٢٨١هـ/ ٨٩٤م - ٣٤٥هـ/ ٩٥٦ م).
هو أحمد بن محمد بن إسماعيل الحسني الرسّي الطالبي ، أحد شعراء الغزل والزهد (الزركلي : أعلام ، ١/ ٢٠٠) .

(٢) عبدان الأصفهاني : المعروف بالخوزي . هو على سياقة المولّدين ، كثير الملح والظرف (المصدر نفسه) .

(٣) خلّة الغانيات : صداقة النساء .

(٤) مراتي : مِرْآتي .

فهـو نـاعٍ إليَّ نـفسي ومَن ذا   سَـرّهُ أن يَـرى وُجـوهَ النُّعـاةِ

(الثعالبي : يتيمة ، ٣/ ٢٩٦)

* * *

حديثُ بشّار مع امرأةٍ في الشيب

قيل : إنَّ امرأةً قالت لبشّار(١) : أيّ رجلٍ أنتَ لو كنتَ أسود اللِحية والرأس ! فقال بشّار : أما علمتِ أنّ بيضَ البُزاةِ(٢) أثمن من سُودِ الغِربان ؟ فقالت له : أمَّا قولكَ فَحَسَنٌ في السمع ، ومَن لكَ بأن يَحْسُنَ شَيْبُكَ في العين كما حَسُنَ قولكَ في السمع ! فكان بشّار يقول : ما أفحمني قطّ غير هذه المرأة .

(الأصفهاني : الأغاني ، ٣/ ٢٠١)

* * *

صِرتُ عَمّاً !

وقال عبد اللّه بن المعتزّ في الشيب :

قـالَـتْ وقـد راعَهـا مَـشيـبـي   كـنـتَ ابـنَ عَـمّ فـصِـرْتَ عـمَّـا
واسْتَهْـزَأَتْ بـي فـقـلـتُ أيْـضـاً   قـد كنتِ بِـنْتـاً فـصِـرْتِ أمَّـا
كُـفّي ولا تُـكْـثِـري مَـلامِـي   ولا تَـزيـدِي الـعَليـلَ سُـقْـمَـا
مَن شـابَ أبْصَـرْنَـهُ الـغَـواني   بـعَيْـنِ مَن قـد عَـمِيْ وَصَـمَّـا
لَـوْ قِيـلَ لي اخْتَـرْ عَمَىً وشَيْباً   أيَّـهُـمَـا شِـئْـتَ قـلتُ : أعْـمَـى

(البيهقي : المحاسن والمساوىء ، ص ٣٥٠)

* * *

(١) هو بشّار بن بُرد ، الشاعر العبّاسي المشهور .
(٢) البزاة : جمع باز ، وهو من الطيور الجوارح يُصاد به .

شَيْبُ الرجالِ عِزٌّ

قال أحدهم :

إنَّ الـمَـشِـيـبَ رِداءُ الـحِـلْمِ والأَدَبِ
كـمـا الشبـابُ رِداءُ الجـهـلِ واللعبِ
تَـعَـجَّـبَـتْ إذ رأَتْ شَيْبي فـقـلـتُ لـهـا
لا تَـعْجَبي مَن يَـطُلْ عـمـرٌ بـهِ يَشِبِ
فِـيـنـا لَـكُـنَّ وإن شَـيْـبٌ بَـدا أَرَبٌ
ولـيس فـيـكُـنَّ بـعـدَ الشَّـيْـبِ مِـن أَرَبِ
شَـيْـبُ الـرجـالِ لَـهُـمْ عِـزٌّ ومَـكْـرُمَـةٌ
وشَـيْـبُـكُـنَّ لَـكُـنَّ الـذلُّ فـآكْـتَـئِـبـي

(البيهقي : المحاسن والمساوىء ، ص ٣٥٢)

* * *

الشيبُ والخالُ

قال أحدهم :

الشيبُ في رأسِ الفتى حِلْمٌ بِـهِ   والشيبُ في رأس الفتـاةِ قـبيـحُ
والخالُ في خَدِّ الفتى عَيْبٌ بـهِ   والخـالُ في خـدِّ الفتـاةِ مَليـحُ

(البيهقي : المحاسن والمساوىء ، ص ٣٥٢)

* * *

وقالوا في أخلاق الناس وسلوكهم.

الهدايا

قال بعض الشعراء :

إنّ الهديّةَ حُلْوَةٌ … كالسِّحْرِ تجتلبُ القلوبا
تُدْني البغيضَ مِن الهَوى … حتّى تُصيِّرَهُ قَريبا
وَيُعيدُ مُضْطَغِنَ العَدا … وَةِ بعدَ نُفْرَتِه حَبيبا

(ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ٣/ ٣٥)

* * *

الأقارب عقارب

قال ابن العميد[1] :

آخِ الرجالَ مِن الأبا … عِدِ ، والأقاربَ لا تُقارِبْ
إنّ الأقاربَ كالعقا … ربِ بل أضَرُّ من العقارِبْ

(الثعالبي : خاص الخاص ، ص ١٥٨)

* * *

النمّام

أنشد بعضهم :

مَن نَمَّ في الناسِ لم تُؤْمَنْ عَقارِبُهُ
على الصديقِ ولم تُؤْمَنْ أفاعِيهِ

(١) ابن العميد (. . . ـ ٣٦٠هـ/ ٩٧٠ م) .
هو محمد بن الحسين العميد بن محمد . وزير ، من أئمّة الكتّاب (الزركلي : أعلام ، ٦/ ٣٢٨) .

كـالسَّيْـلِ بـالليـلِ لا يَـدري بـهِ أَحَـدٌ
مِـن أيـن جـاءَ ولا مِـن أيـن يـأْتيـهِ
الـويـلُ لِلْعهـدِ منـهُ كيـفَ يَنْقُضُـهُ
والـويـلُ لِلْوُدِّ منـهُ كيف يُفنيـهِ !

(الأبشيهي : المستطرف ، ١/ ١١٨)

* * *

الجار

وقال شاعرٌ في الجار :

نـارِي ونـارُ الجـارِ واحـدةٌ ... وإليـهِ قَبْلي تنـزلُ القِـدْرُ
مـا ضَـرَّ لي جـاراً أُجاوِرُهُ ... أن لا يكـونَ لبابـهِ سِتْـرُ
أعمى إذا مـا جارَتي بَـرَزَتْ ... حتّى يـوارِيَ جـارتي الخِـدْرُ

(النيسابوري : آداب الصحبة ، ص ٥٦)

* * *

حفظ اللسان

قال أحدهم :

إحفظْ لسانَكَ أيُّها الإنسانُ ... لا يَلْدَغَنَّكَ إنّـهُ ثُـعْبـانُ
كم في المقابرِ من قتيلِ لسانِهِ ... كـانت تهابُ لقاءَهُ الشجعـانُ

(الأبشيهي : المستطرف ، ١/ ١١٣)

* * *

ذُو الوَجْهَيْنِ

قال صالح بن عبد القدّوس[1] :

قُـل لِـلّذي لسـتُ أدري مِن تَـلَوُّنـهِ
أنـاصِـحٌ أَمْ عَـلَى غِشٍّ يُنـاجـيـنـي
تَـغتـابُـني عـنـدَ أقـوامٍ وتـمـدحُـني
فـي آخَـرِيـنَ وكـلٌّ عـنـكَ يـأْتِـيـني
هَـذانِ شَـيْئَـانِ قـد نـافَيْـتَ بيـنهـمـا
فـاكْفُفْ لِسـانَـكَ عن شَتْمي وتَـزْيِيني

(الأبشيهي : المستطرف ، ١/ ١١٧)

* * *

ماتَ مَرْحَبُ

وقال الشاعر في الغِنى وحبّ المال :

وكـلُّ مُقِـلٍّ حينَ يَغْـدو لحـاجـةٍ إلى كلِّ ما يَلْقَى مِن الناسِ مذنبُ
وكـانت بنو عمّي يقـولونَ مَـرْحَباً فلمّا رَأَوْني مُعْدِمـا[2] مَاتَ مَـرْحَبُ

(الأبشيهي : المستطرف ، ٢/ ٥٧)

* * *

---

(١) ابن عبد القدّوس (. . . ـ نحو ١٦٠هـ/ نحو ٧٧٧ م) .
هو صالح بن عبد القدّوس الأزدي ، شاعرٌ حكيم ، كان متكلّماً (الزركلي : أعلام ، ٣/ ١٩٢) .
(٢) معدم : فقير .

الدراهم مَراهِم

وقال آخر:

إنّ الدراهِمَ في المواطِنِ كُلِّها ... تكسو الرجالَ مَهابةً وجَمالا
فهي اللسانُ لمن أرادَ فصاحةً ... وهي السلاح لمن أرادَ قِتالا

(الأبشيهي: المستطرف، ٢/ ٥٧)

* * *

الوَيْلُ لِمَنْ قَلَّت دراهمه

وقال ابن كثير[1]:

النـاسُ أتباعُ مَنْ دامَتْ لهم نِعَمٌ
والويلُ للمرءِ إنْ زَلَّتْ بِهِ القَدَمُ
المالُ زَيْنٌ وَمَنْ قَلَّتْ دَراهِمُهُ
حَيٌّ كَمَنْ ماتَ إلّا أنَّهُ صَنَمُ
لمّا رأيتُ أخِلّائي وخَالِصَتِي[2]
والكلُّ مُسْتَتِرٌ عنّي ومُحْتَشِمُ
أَبْدَوْا جَفاءً وإعْراضاً فقلتُ لهم:
أذنبتُ ذَنْباً! فقالوا: ذَنْبُكَ العَدَمُ

(الأبشيهي: المستطرف، ٢/ ٦٠)

* * *

(١) ابن كثير (٧٠١هـ/ ١٣٠٢م - ٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م).
هو إسماعيل بن عمر. صاحب تفسير القرآن الكريم المشهور باسمه (الزركلي: أعلام، ١/ ٣١٨).

(٢) خالصتي: المخلصين لي.

الدُّنيا لا تتّسعُ لِبَغِيضَيْن

أنشد أبو محمد غانم بن الوليد المخزومي(١):

صَيِّـرْ فُؤادَكَ لِلْمَحبـوبِ مَنْـزِلَـةً　　سُمُّ(٢) الخِيـاطِ مَجـالٌ لِلْحَبِيبَيْنِ
ولا تُسـامِحْ بَغِيضـاً في مُعَـاشَـرَةٍ　　فَقَـلَّ مَـا تَسَـعُ الـدُّنيـا بَغِيضَيْنِ

(السمعاني : أدب الإملاء ، ص ١٣١)

* * *

إعارة الكتب

قال أبو الكَرَم خَميس بن عليّ بن أحمد الحَوْزيّ(٣) :

كُتْبِي لأَهْـلِ العـلمِ مَبـذولـةٌ　　أَيْـدِيـهُـمُ مِـثْـلُ يَـدِي فـيـهـا
مَـتـى أرادوهـا بِـلا مِـنَّـةٍ　　عـارِيَّـةً فَـلْيَـسْـتَـعـيـروهـا(٤)
حـاشَـايَ أن أَكْتُمَـهـا عنـهـمُ　　بُخْـلاً كـمـا غَـيْـري يُخَـفِّـيـهـا
أَعَـارَنـا أَشْـيـاخُـنـا كُتْـبَـهُـمْ　　وسُـنَّـةُ الأَشْـيـاخِ نُـمْـضِـيـهـا

(السمعاني : أدب الإملاء ، ص ١٧٥)

* * *

---

(١) غانم بن وليد (. . . - ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م) .
هو أبو محمد غانم بن وليد القرشي المخزومي . له شعر وعلم بالفقه والحديث (الزركلي : أعلام ، ٥/ ١١٦) .

(٢) سمّ الخياط : ثَقْب إبرة الخياطة .

(٣) خميس الحَوْزي (٤٤٧هـ / ١٠٥٥م - ٥١٠هـ/ ١١١٦م) .
هو خميس بن علي ، أبو الكرم الواسطي الحوزي : من حفّاظ الحديث ، له شعر وعلم وأدب (الزركلي : أعلام ، ٢/ ٣٢٤) .

(٤) المِنّة : الإحسان . عاريّة : إعارة .

الإعارة والاستعارة

وقال آخر في إعارة الكتب :

أيُّها المُستعيرُ منّي كتاباً ... إرْضَ لي منهُ ما لنفسكَ تَرْضَى
لا تَرى رَدَّ ما أَعَرْتُكَ نَفْلاً[1] ... وتَرى رَدَّ ما اسْتَعَرْتُكَ فَرْضا

(السمعاني : أدب الإملاء ، ص ١٧٦)

* * *

نصيحة في الزواج

قال الشاعر :

أنذرتُ مَن كان بعيدَ الهَمِّ ... تَزويجَ أولادِ بناتِ العَمِّ
ليس بناجٍ مِن ضَوىً أو سُقْمٍ ... وأنتَ إن أطعمتَهُ لا يَنْمِي[2]

(التوحيدي : الإمتاع ، ١/ ٩٤)

* * *

وُجوب الطلب والعمل

قال الشاعر :

تَوَكَّلْ على الرحمٰنِ في الأمرِ كلِّهِ
ولا تَرْغَبَنْ في العجزِ يوماً عن الطلب

(١) النفل : ما تفعلهُ ممّا لم يُفرض ولم يجب عليك فعله .
(٢) الضوى : ضآلة الجسم وصغر حجمه . والعرب تقول : ليس أَضْوَى من القرائب ، ولا أنجب من الغرائب .

أَلَـمْ تَـرَ أنَّ الـلَّهَ قـالَ لـمـريـمٍ :
وَهُـزِّي إليكِ الجِـذْعَ يَسّـاقطِ الـرُّطَبْ[1]
ولـو شـاءَ أن تَـجـنـيـهِ مِـن غـيـرِ هـزِّهِ
جَـنَـتْـهُ ولـكـن كـلُّ رزقٍ لـه سَـبَـبْ

(الأبشيهي : المستطرف ، ٢/ ٧٦)

* * *

الصبر على الأذى

قال مجاهد الدين الزيني[2] :

إذا أَدْمَـتْ قَـوارِصُكُـم[3] فؤادي ... صبـرتُ على أذاكُـم وآنْـطَوَيْتُ
وجئـتُ إليـكمُ طَـلْقَ الْمُـحَيَّـا[4] ... كـأنِّـي مـا سَمِـعْـتُ ولا رَأَيْتُ

(ابن خلكان : وفيات ، ٤/ ٨٢)

* * *

إقلال الزيارة

قال مكّي بن أبي طالب[5] :

عليـكَ بـإقـلالِ الـزيـارةِ إنّهـا ... إذا كَثُرَتْ كانت إلى الهجرِ مَسْلَكا

---

(١) الرطب : البلح قبل أن يصير تمراً . إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً ﴾ سورة مريم/ آية ٢٤ .
(٢) مجاهد الدين الزيني (. . . ـ ٥٩٥هـ/ ١١٩٩م) .
هو قايماز بن عبد الله الزيني ، أمير من المماليك (الزركلي : أعلام ، ٥/ ١٨٨) .
(٣) الكلمة القارصة : الكلمة التي تنغّص وتؤلم .
(٤) طلق المحيّا : تبدو على وجهه علامات السرور .
(٥) مكي بن أبي طالب (٣٥٥هـ/ ٩٦٥م ـ ٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م) .
هو أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي المقرىء ، أصله من القيروان (المصدر نفسه) .

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ الغَـيْـثَ يُـسْـأَمُ دائـمـاً ... ويُطْلَبُ بالأيدي إذا هو أَمْسَكَـا[1]

(ابن خلكان : وفيات ، ٥/ ٢٧٧)

* * *

القُبْح

قال أحدهم في القبح :

فلمَّـا تَبـدَّى لِلْقَـوابِـلِ وجهُـهُ ... نَكَصْنَ[2]على أَعقابهنَّ مِن النَّدم

وقُـلْنَ وأَخْفَـيْنَ الـكـلامَ تَسَـتُّـراً ... أَلا لَيْتَنـا كُنّا تـركناهُ في الـرَّحْم

(ابن أبي أصيبعة : طبقات الأطبّاء ، ص ٣٢٦)

* * *

الأناقة

قال أحدهم :

تَجَمَّـلْ بـالثِّيـابِ تَعِشْ سَعِيـداً ... لأنَّ الـعـيـنَ قـبـلَ الاخـتـيـارِ

فلو لَبِسَ الـحمـارُ ثـيـابَ خَـزٍّ ... لقـالَ النـاسُ يـا لكَ مِن حِمـارِ!

(القرطبي : بهجة المجالس ، ص ٥٨)

* * *

الطعام واللباس

كان يُقال : كُل مِن الطعامِ ما اشتهيتَ ، والْبَسْ مِن الثياب ما اشتهى

(١) أي يُملّ المطر إذا توالى نزوله ، وتُرفع الأكفّ تضرّعاً إلى الله طلباً للمطر إذا لم ينزل المطر .
(٢) نكص : رجع عمّا كان عليه .

الناس . نظمه الشاعر فقال :

إنّ العيـونَ رَمَتْـكَ مُـذْ فَـاجَـأْتَهـا   وعليـكَ مِن شَهْرِ اللبـاس لِبـاسُ
أَمَّا الطعامُ فَكُلْ لنفسكَ ما اشْتَهَتْ   واجْعَلْ لباسَـكَ ما اشْتَهَـاهُ الناسُ

(القرطبي : بهجة المجالس ، ص ٥٨)

* * *

محاسن كِتمان السرّ

قيل لأبي مُسلم الخراساني(١) : بأيّ شيءٍ أدركتَ هذا الأمر ؟ قال : ارتـديتُ بالكتمـان ، واتّزرتُ(٢) بـالحزم ، وحـالفتُ الصبر ، وسـاعدتُ المقادير ، فأدركتُ طلبي وحُزْتُ بُغْيَتي ، وأنشد في ذلك :

أَدْرَكْتُ بالحزمِ والكِتمان ما عَجِزَتْ   عنـه ملوكُ بني مروانَ إذْ حَشَـدوا
ما زلتُ أَسعى عليهِمْ في دِيارهم   والقومُ في مُلْكِهم بالشام قد رَقدوا
حتّى ضـربْتُهُم بـالسيفِ فـانْتَبهـوا   مِن نَـوْمَـةٍ لم يَنَمْهـا قبلَهُمْ أَحَـدُ
ومَن رَعى غنمـاً في أَرضِ مَسْبَعةٍ   ونـام عنهـا تَـوَلّى رَعْيَهـا الأَسـدُ

(الجاحظ : المحاسن والأضداد ، ص ١٥)

* * *

صروف الدهر

قـل لمن بصروف الـدهرِ عيَّـرنـا   هل عاندَ الدهرُ إلّا مَن لهُ خَـطَرُ

---

(١) أبو مسلم الخراساني (١٠٠هـ/٧١٨م - ١٣٧هـ/٧٥٥م) .
عبد الرحمٰن بن مسلم . مؤسس الدولة العباسية ، وأحد كبار القادة (الزركلي : أعلام ، ٤/ ١١٢) .

(٢) اتّزر : لبس .

أما تَرَى البحرَ تعلو فوقَهُ جِيَفٌ وتستقِرُّ بأقصى قعرِهِ الدُّرَرُ
وفي السماء نجومٌ غيرُ ذي عددٍ وليس يُكْسَفُ إلَّا الشمس والقمرُ

(العاملي : المخلاة ، ص ١٦٨)

* * *

الخطّ واللفظ

قال الصاحب بن عبّاد[١] :

بـاللّهِ قُل لي أَقِرْطاسٌ تخطُّ بهِ من حُلّةٍ هُوَ أمْ أَلْبَسْتَهُ حُلَلا
باللّهِ لفظُكَ هذا سالَ مِن عَسَلٍ أَم قد صَبَبْتَ على أفواهنا عَسَلا

(الثعالبي : يتيمة ، ٣/ ٢٦٢)

* * *

حُبّ المِشمش

قال شمس الدين الخيّاط[٢] :

حَبَّذا مِشْمِشٌ يروقُ لطَرْفي منهُ حُسْنٌ حديثُهُ مشهورُ
قد بلاني بحبّهِ وهو مِثلي أصفرُ الجسمِ قلبُهُ مكسورُ

(الصفدي : الوافي بالوفيات ، ٥/ ٢٨٥)

* * *

---

(١) الصاحب بن عبّاد (٣٢٦هـ/ ٩٣٨ ـ ٣٩٥هـ/ ٩٩٥م) .
هو إسماعيل بن عبّاد : وزير غلب عليه الأدب ، ولقّب بالصاحب لصحبته مؤيّد الدولة (الزركلي : أعلام ، ١/ ٣١٢) .

(٢) هو الشاعر محمد بن يوسف بن عبد الله الدمشقي الحنفي : ولد في رجب ٦٩٣ هـ ، وتوفي في مَعان ـ الأردن سنة ٧٥٦ هـ/ ١٣٥٥ م (المصدر نفسه) .

بائع البطِّيخ

قيل من حسناتِ الشام ، وصَاغة الكلام ، كان منادياً ينادي في دار البِطِّيخ على الفواكه، وما زال يشعر حتى جاد شعره وسار كلامه، ووقع فيه ما يروق ويشوق ويفوق . ومن بدائع تشبيهاته[1] :

قــالت وقــد فَتَكَتْ فـينــا لَــواحِــظُهــا
كم ذا ؟ أمـا لقتيـلِ الحُبِّ مِن قَـوَدِ[2]؟
وأَسْبَلَتْ لُـؤْلُؤاً مِـن نَـرْجسٍ ، وسَقَتْ
ورداً ، وعَضَّت على العُنّـابِ بـالبَـرَدِ[3]

(الثعالبي : يتيمة ، ١/ ٢٧٥)

* * *

الاعتذار للدمع

قال بشّار لأبي العتاهية[4] : أنا واللّه أستحسن قولك في اعتذارك للدمع :

---

(١) هذا الشعر لأبي الفرج محمد بن أحمد الغسّاني الدمشقي الملقّب بالوأواء (المصدر نفسه) .
(٢) القود : قتل القاتل بالقتيل .
(٣) شبّه : دموعها باللؤلؤ ، وعينيها بزهـر النرجس ، وخدّها بالورد ، وشفتيها بثمر العنّاب ، وأسنانها بحبّات البَرَد .
(٤) بشّار (٩٥هـ/ ٧١٤م - ١٦٧هـ/ ٧٨٤م) .
هو بشّار بن بُرْد العُقيلي ، بالولاء ، أبو معاذ . أشعر الشعراء المولّدين على الإطلاق (الزركلي : أعلام ، ٢/ ٥٢) .
أبو العتاهية (١٣٠هـ/ ٧٤٨م - ٢١١هـ/ ٨٢٦م) .
إسماعيل بن القاسم ، العنزي بالولاء ، شاعر مكثر ، سريع الخاطر ، في شعره إبداع (الزركلي : أعلام ، ١/ ٣١٩) .

كم مِن صديقٍ لي أسا رِقُهُ البكاءَ مِن الْحَيا
فإذا تَفَطَّنَ لامني فأقولُ ما بي مِن بُكَا
لكنْ ذهبتُ لأِرْتَدِي فَطَرَفْتُ عيني بالرِّدا[1]

فقال أبو العتاهية : ما لَذَّت إلاّ بمعناكَ حيث تقول :

وقالوا : قد بكيتَ! فقلت : كلاَّ وهل يبكي مِن الطَّرَبِ الجليدُ
ولكن قد أُصِيبَ سَوادُ عَيْني بعودِ قَذَىً[2] له طَرفٌ حديدُ
فقالوا: ما لِدَمْعِهِما سَواءٌ أَكِلْتا مُقْلَتَيْكَ[3] أَصابَ عُودُ؟

(الأصبهاني ، محاضرات ، ٣/ ٨٠)
(الصولي : أدب الكاتب، ص ٤٤)

* * *

صعوبة الوقوف عند الأبواب

قال أحدهم في صعوبة حجّاب الأبواب :

لَقَلْعُ ضِرْسٍ وضَنْكُ حَبْسٍ ونَزْعُ نفس ورَدُّ أَمْسِ[4]
وأَكْلُ كَفٍّ وَضِيقُ خُفٍّ وفَقْدُ إلْفٍ وَأَلْفِ فَلْسِ[5]
وقَوْدُ قِرْدٍ وَنَسْجُ بُرْدٍ وَدَبْغُ جِلْدٍ بغَيْرِ شَمْسِ[6]
وَشرْبُ سُمٍّ وقَتْلُ عَمٍّ وكلُّ غَمٍّ وَيَوْمُ نَحْسِ
ونَفْخُ نارٍ وحَمْلُ عارٍ وبَيْعُ جارٍ بِرُبْعِ فَلْسِ

---

(١) الرّدا : الرداء ، أي الثوب .
(٢) القذي : ما يقع في العين من تراب مُدقّق ونحوه .
(٣) مقلتيك : عينيك .
(٤) الضنك : الضّيق والتعب . نزع نفس : الموت .
(٥) الخفّ : ما يُلبس في الرِّجل . الإلف : الصديق .
(٦) برد : ثوب مخطّط .

أَيْسَـرُ مِـن وَقْـفَـةٍ بـبـابٍ   يـلقـاكَ بَـوّابُـهُ بِـعَـبْس

(البيهقي : المحاسن والمساوىء ، ص ١٦٤)

* * *

ونختم هذه الباقات من خواطر الشعراء بقول الإمام الشافعي (رض) في شروط العلم :

أَخي لن تنـالَ العلمَ إلاّ بستّـةٍ   سَـأُنْبيـكَ عن تفصيلهـا ببَيـانِ
ذَكـاءٍ وحِـرْصٍ وآجتهـادٍ وبُلْغَـةٍ[1]   وصُحْبَـةِ أُستـاذٍ وطُـولِ زَمـانِ

(الأبشيهي : المستطرف ، ١/ ٣٠)

* * *

يسرّني أن تكون أمّي !

قرأ الفَرَزْدَق قصيدةً له على الكُمَيْت بن زيد[2] حين كان الأخير صبيّاً ، فرآه الفرزدق قد أُعجب بها . فسأله الفرزدق : هل أعجبتكَ يا بنيّ ؟

الكُمَيْت : نعم يا عمّاه .

الفرزدق : هل يسرّكَ أن أكون أباكَ ؟

الكُمَيْت : أمّا أبي فلا أُريد به بدلاً ، ولكن يسرّني أن تكون أمّي !

وكان الفرزدق يقول : ما مرّ به مثلها !

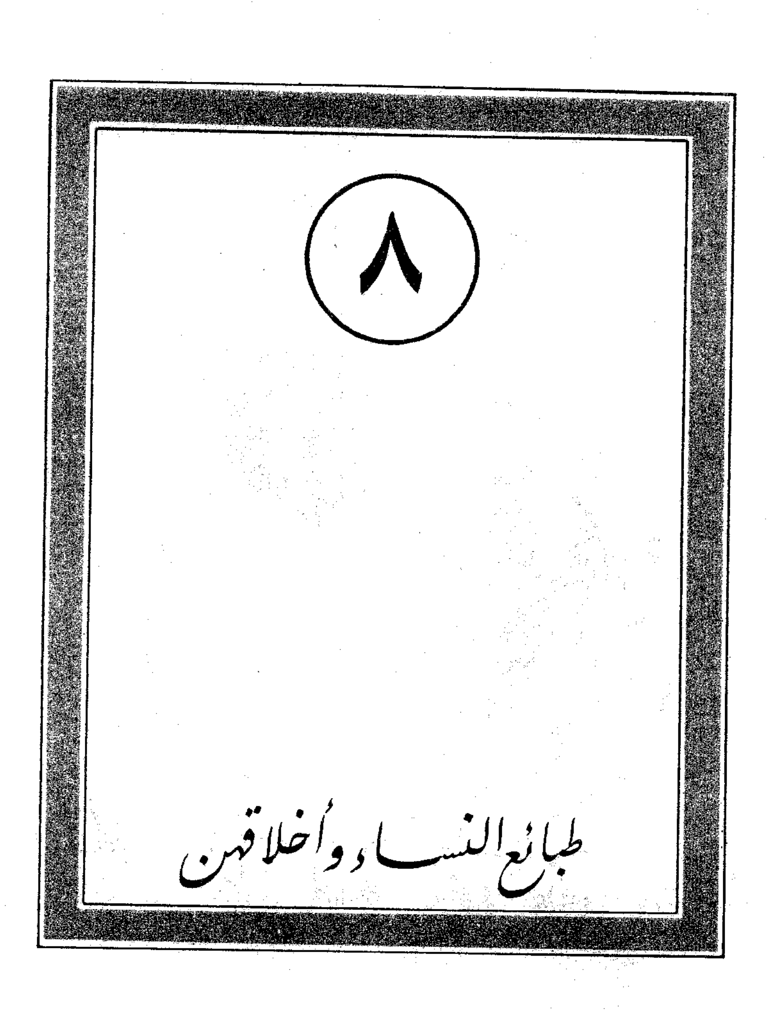
(العلوي : المستطرف الجديد، ص ٢٠٣)

* * *

---

(١) البلغة : ما يكفي من العيش ولا يفضل .

(٢) الكُمَيْت بن زيد (٦٠هـ/ ٦٨٠م - ١٢٦هـ / ٧٤٤م) .
هو الكميت بن زيد الأسدي الكوفي ، شاعر الهاشميين المشهور (الزركلي : أعلام ، ٩٢/٦) .



٨

طبائع النساء وأخلاقهن



أخبار المرأة - على اختلافها - من أكثر الموضوعات إثارةً وتشويقاً في حياة الرجل . وإذا كان الرجال يهتمّون ويتشوّقون لسماع أخبار النساء ، فإنّ المرأة ذاتها لا تقلّ رغبةً عن الرجل في تتبّع حكايات بنات جنسها ، وبخاصّة إذا كانت هذه الأحاديث ذات صلةٍ بالرجل .

وإذا كان الرجل (الشاعر) قد قال حين مرَّ بنسوةٍ فأعجبه شأنهن[1] :

إنّ النساءَ شياطينٌ خُلِقْنَ لنا ... نَعُوذُ بالله من شَرِّ الشياطينِ

فإنّ لسان المرأة (الشاعرة) لا يقلّ كيداً ودهاءً حين أجابته واحدة منهنّ فقالت :

إنّ النساءَ رياحينٌ خُلِقْنَ لكم ... وكلّكم يشتهي شَمَّ الرياحينِ

وسيكون هذا الباب بستان أخبارهن ، على ما في البستان - عادةً - من أزهارٍ وأثمارٍ . . . وأشواك !

* * *

---

(١) ابن الجوزي : أخبار الأذكياء ، ص ٢٢٠ .

كما في قول الثعالبي (صاحب اليتيمة)[1] :

لقد كَسَتْني في الهَوَى ... ملابس الصَّبِّ الغَزِلْ
إنسانةٌ فتّانةٌ ... بَدْرُ الدُّجى منها خَجِلْ
إذا زَنَتْ عيني بها ... فبالدموعِ تَغْتَسِلْ

وقول المتنبّي فيما حكاه الصفدي في شرح لامية العجم عن ابن المستكفي[2] :

لاعَبْتُ بالخاتِم إنسانةً ... كمثلِ بَدْرٍ في الدُّجَى الناجمِ
وكلّما حاولتُ أخذِي لَهُ ... مِن البَنانِ المُتْرَفِ الناعمِ
أَلْقَتْهُ في فِيها فقلتُ انْظُرُوا ... قد أَخْفَتِ الخاتِمَ في الخاتِمِ

* * *

تهنئة ببنت

قال الصاحب بن عبّاد :

أهلاً وسهلاً بعقيلة[3] النساء ، وأمّ الأبناء ، وجالبة الأصهار والأولاد الأطهار ، والمبشّرة بإخوة يتناسقون ، نجباء[4] يتلاحقون . قال المتنبّي :

فلو كان النساءُ كمثلِ هذي ... لَفُضِّلتِ النساءُ على الرجالِ
وما التأنيثُ لاسمِ الشمسِ عيبٌ ... ولا التذكيرُ فخرٌ لِلْهلالِ

(الثعالبي : يتيمة ، ٣/ ٢٤٧)

* * *

(١) البرقوقي : دولة النساء ، ص ٦ .
(٢) البرقوقي : دولة النساء ، ص ٧ .
(٣) العقيلة من النساء : الكريمة النسب .
(٤) نجباء : فضلاء .

كلّهم من فاطمة (رض)

وكتب ابن مغيث المغربي[١] إلى بعض الرؤساء ، وقد جاءته بنتٌ له فوجم[٢] لها وحزن حزناً شديداً :

لا تـأْسَ إنْ رُحْتَ أبـاً لابْنـةٍ تَكْظِمُ أشجانـاً إلى كاظِمَـهْ[٣]
فـإنّ أبنـاءَ نبـيِّ الهُـدَى كـلُّهم مِـن وَلَـدَيْ فـاطِمَـةْ

فَحسُنَ موقعُ ذلك منه ووصله[٤] .

(الصفدي : الوافي ، ٥/ ٤٨)

* * *

بغض البنات !

هجر أبو حمزة الضبيّ خيمة امرأته وأخذ يبيتُ عند جيرانٍ له ، حين ولدت امرأته بنتاً . فمرَّ يوماً بخبائها[٥] ، وإذا هي ترقّصها وتقول :

مـا لأبي حَمْـزةَ لا يـأتينـا يَـظَلُّ في البيت الـذي يَلِينـا
غـضبـانَ ألّا نـلدَ الْبَنِينـا تـاللّهِ مـا ذلـكَ في أَيْـدِينـا
وإنّمـا نـأخـذُ مـا أُعْـطِينـا ونـحن كـالأرضِ لـزارِعِينـا
نُنْبِتُ ما قد زَرعُوهُ فينا !

---

(١) هو محمّد بن مغيث المغربي ، الذي قال فيه ابن رشيق في « الأنموذج » : كان شاعراً مطبوعاً ، مرسل الكلام ، مليح الطريقة ، يقع على النُّكَت ويصيب الأغراض ويقيم حرب الشعراء (الصفدي : الوافي ، ٥/٤٨) .
(٢) وجم : سكت وعجز عن التكلّم من شدّة الغيظ .
(٣) لا تأسَ : لا تحزن . تكظم أشجاناً : تحبس في نفسك أحزاناً .
(٤) وصله : قدّم له عطيّة .
(٥) الخباء : ما يُعمل من وبرٍ أو صوفٍ أو شعر للسكن .

فغَدا[1] الشيخ حتّى ولجَ[2] البيت ، فقبّل رأس امرأته وابنتها .

(الجاحظ : البيان ، ١/ ١٨٦)

* * *

محبّة الولد

وقالت أعرابيّة ترقّص ولدها :

يـا حَـبَّـذا ريـحُ الـولَـدْ ريـحُ الخُـزَامَى[3] في البَـلَدْ
أَهَـكـذا كـلُّ ولَـدْ أم لـم يلدْ قـبـلي أَحَـدْ !

(ابن أبي الحديد : الشرح ، ١٩ / ٦٢)

* * *

تتحسّر على ولد

وقالت أعرابيّة أخرى :

يـا حَـسْـرَتـا عـلى ولَـدْ أَشْـبَـهُ شـيءٍ بـالأَسَـدْ !
إذا الـرجـالُ فـي كَـبَـدْ تَـغـالـبـوا عـلى نَـكَـدْ[4]

(ابن العديم : كتاب الدراري ، ص ٢٤)

* * *

(١) غدا : انطلقَ .
(٢) ولج : دخل .
(٣) الخزامي : نوع من الأزهار .
(٤) الكبد : الشدّة . النكد : العُسر .

غَيْرة النساء !

قالت حفصة الركونية[1] في حرصها على رَجُلها :

أغـارُ عليـكَ مِن عَـيني ومنّـي   ومنـكَ ومِن زمـانـكَ والمكـانِ
ولـو أنّي خبّـأتـكَ في عُيـوني   إلى يـومِ القيـامـةِ مـا كَفـاني

(الصفدي : نصرة الثائر ، ص ٣٧٧)

* * *

يكرهن أولاد الضرائر

حدّث أحدهم قال : تزوّج رجلٌ امرأةً من قومه ، فولدت له دُواداً ثمّ ماتت . ثمّ تزوّج أخرى ، فأُولِعت[2] بدُواد ، وأمرت أباه أن يَجفوه ويُبعده ، وكان يحبّها . فلمّا أكثرت عليه قالت : أخرجه عنّي . فخرج به وقد أردفه[3] خلفه إلى أن انتهى به إلى أرضٍ جرداء ليس فيها شيء ، فألقى سَوْطه متعمّداً ، وقال : أيْ دُواد ، إنزل فناولني سَوْطي . فنزل ، فدفع بعيره وناداه :

أَدُوَادُ إنّ الأمـرَ أصبـحَ مـا تَـرى   فـانْـظُرْ دُوَادُ لأيّ أرضٍ تَعْمِـدُ

فقال له دُوَاد : على رِسْلك[4] فوقف له فناداه :

وبـأَيّ ظـنّـكَ أن أُقيـمَ ببـلـدةٍ   جَـرْدَاءَ ليس بغيـرهـا مُتَلَدَّدُ[5] !

---

(١) هي حفصة بنت الحاج الركونية : شاعرة ، أديبة ، من شواعر وأديبات غرناطة في الأندلس . كانت ذات جمال وحَسَب وثراء وبديهة وسرعة خاطر . توفّيت في مرّاكش في أواخر ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م (كحّالة : أعلام النساء ، ١/ ٢٦٧) .
(٢) أولعت به : لجّت في أمره وحرصت على إيذائه .
(٣) أردفه : أركبه .
(٤) على رسلك : على مهلك .
(٥) متلدّد : تلبّث ، انتظار .

فرجع إليه أبوه وقال له : أنتَ واللّهِ ابني حقّاً ، ثمّ ردّه إلى منزله ، وطلّق امرأته .

(الأصفهاني : الأغاني ، ١٦/ ٣٧٤)

* * *

سرعة التلوّن

قال آكِلُ المُرار[1] :

إنّ مَن غرّهُ النساءُ بشيءٍ ... بعدَ هِندٍ لجاهلٌ مغرورُ
حُلْوَةُ العَيْنِ واللسانِ ومُرٌّ ... كلُّ شيءٍ يُجِنُّ[2] فيها الضميرُ
كلُّ أُنثى وإنْ بَدَتْ لكَ منها ... آيةُ الحبِّ حبُّها خَيْتَعُورُ[3]

(الجاحظ : البيان ، ٣/ ١٨٥)

* * *

يفعلن ما يُنْهَيْنَ عنه

قال طُفَيْلُ الغَنوي[4] :

إنّ النساءَ كأشجارٍ نَبَتْنَ معاً ... منها المُرارُ[5] وبعضُ المُرِّ مأكولُ

---

(١) آكل المُرار : هو الملك الحرث بن عمرو الكندي جدّ امرىء القيس الشاعر .
(٢) يجنّ : يستتر .
(٣) خيتعُور : كثير التقلّب لا يدوم على حال .
(٤) طُفَيْل الغَنَوي . . . ـ نحو ١٣ ق . هـ/ نحو ٦١٠ م) .
هو طفيل بن عوف بن كعب ، من بني غنيّ ، من قَيْس عَيْلان . شاعر جاهلي من الشجعان ، وهو أوصف العرب للخيل (الزركلي : أعلام ، ٣/ ٢٢٨) .
(٥) المُرار : شجرٌ يعرف عند العامّة « بالمرّير » إذا أكلته الإبل قلصت مشافرها فبدت أسنانها .

إنّ النســـاء متى يُنْهَيْنَ عن خُلُقٍ ... فـإنّـهُ واجـبٌ لا بـدَّ مفعــولُ

(الجاحظ : البيان ، ٣/ ١٨٥)

* * *

حبّ المال والشباب

وقال علقمة الفحل[١] :

فـإنْ تَسألـوني في النسـاءِ فـإنّني ... بصيــرٌ بـأدواءِ[٢] النســاءِ طَبيبُ

إذا شابَ رأسُ المرءِ أو قَلَّ مالُهُ ... فـليس لـهُ مِن وُدِّهـنّ نَـصيـبُ

يُـرِدْنَ ثَـراء المـالِ حيثُ عَلِمْنَـهُ ... وشَرْخُ[٣] الشبابِ عنـدهنّ عجيبُ

(الجاحظ : البيان ، ٣/ ١٨٥)

* * *

أنا أجملُ منكِ !

قالت السيّدة سُكَيْنة بنت الحسين[٤] رضي الله عنهما يوماً لعائشة بنت طلحة[٥] : أنا أجملُ منكِ ! فقالت عائشة : بل أنا أجمل منكِ ! واختصما إلى

(١) علقمة الفحل . . . ـ نحو ٢٠ هـ/ نحو ٦٠٣ م) .
هو عَلْقمة بن عَبَدة من بني تميم . شاعر جاهلي من الطبقة الأولى (الزركلي : أعلام ، ٤/ ٢٤٧) .

(٢) أدواء : أمراض ، عِلل .

(٣) شرخ الشباب : أوّل الشباب ، رَيْعانه .

(٤) سكينة بنت الحسين بنت علي بن أبي طالب (رض) . سيّدة جليلة ذات نُبل ومقام رفيع ، كانت تجالس الأجلّة من قريش ، وتجتمع إليها الشعراء والأدباء فيحتكمون إليها (الزركلي : أعلام ، ٢/ ٢٠٢) .

(٥) عائشة بنت طلحة بن عبيد اللّه بن عثمان التميمية ، أمّها أمّ كلثوم بنت أبي بكر الصدّيق ، كانت من أجمل النساء في عصرها ، كانت تجالس الأدباء والشعراء . توفّيت بعد نيّفٍ ومائة للهجرة (الزركلي : أعلام ، ٣/ ١٣٧) .

عمر بن أبي ربيعة[1] . فقال : لأقضينّ بينكما ، أمّا أنتِ يا سُكينة فأملحُ ، وأما أنتِ يا عائشة فأجمل . فقالت سكينة : قضيتَ لي والله عليها .

ويوضّح هذا قولهم : الجميلة هي التي تأخذ ببصركَ جملةً على البُعد ، فإذا دَنَتْ[2] لم تكن كذلك ، والمليحة هي التي تأخذ بقلبك على القُرب ، أو التي كلّما كرّرتَ فيها بصرك زادتْكَ حُسْناً .

(البرقوقي : دولة النساء ، ص ٣١)

* * *

ليس لديوان الرسائل أُريدك !

قال أبو العَيْناء[3] : خطبتُ امرأةً فاستقبحتني ، فكتبتُ إليها :

فإن تَنْفُري مِن قُبْحِ وجهي فإنّني أَرِيبٌ أديبٌ لا غبيٌّ ولا فَـدْمُ[4]

فأجابتني : ليس لديوان الرسائل أُريدكَ !

(النويري : نهاية الأرب ، ٢/ ٢٢)

* * *

---

(١) عمر بن أبي ربيعة (٢٣هـ/ ٦٤٤م - ٩٣هـ/ ٧١٢م) .
هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي . وهو شاعر غزل مشهور (الزركلي : أعلام ، ٥/ ٢١١) .

(٢) دنت : اقترتب .

(٣) أبو العيناء (١٩١هـ/ ٨٠٧م - ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م) .
هو محمد بن القاسم الهاشمي بالولاء ، أبو العيناء . أديبٌ فصيح ظريف ، اشتهر بنوادره ولطائفه (الزركلي : أعلام ، ٦/٣٣٤) .

(٤) أريب : ذكي عاقل . فدم : ثقيل جاف .

يرغبن في الزواج وإن أحدودب الظهر !

قيل : إنّ امرأةً عجوزاً مرضت ، فأتاها ابنها بطبيبٍ ، فرآها الطبيب متزيّنةً بأثواب مصبوغةٍ ، فعرف ما بها ، فقال الطبيبُ : ما أحوجَها إلى زوجٍ ! فقال الابن : وما حاجةُ العجائز للأزواج ! فقالت الأمّ العجوز : ويحك[1] ! الطبيبُ أعلمُ منكَ على كلّ حال .

(البرقوقي : دولة النساء ، ص ٥٨٠)

* * *

العجوز المُتصابية

وهذا أبو الزوائد الأعرابي يرى امرأته تتصنّع وتَتصابَى[2] وهي عجوز فيقول في ذلك :

عجــوزٌ تُـرجِّي أن تكــونَ فَتيّــةً ... وقد لَحِبَ الْجَنْبَانِ واحْدَوْدَبَ الظهرُ[3]

تَــدسُّ إلى العـطّارِ مِيــرةَ أهلِهـا ... وهل يُصلحُ العطّارُ ما أفسدَ الدهرُ ![4]

ومــا راعني إلاّ خِضـابٌ بكفِّهــا ... وكُحْلٌ بعَيْنَيْها وأثـوابُها الصُّفْـرُ[5]

وَزُوِّجْتُهــا قبــلَ المُحــاقِ بليـلةٍ ... فكان مُحاقاً كلّهُ ذلك الشهـرُ[6]

(الأنباري : الأضداد ، ص ١٩٤)

* * *

---

(١) ويح : كلمة ترحّم وتوجّع ، وقد تأتي بمعنى التعجّب . وقيل : إنّها بمعنى : وَيْل .
(٢) تتصابى : تحاول أن تظهر كأنّها صبيّة .
(٣) لحب : ضعف . احدودب : تقوّس .
(٤) العطّار : بائع العقاقير . ميرة أهلها : ما ادّخرته من أهلهـا .
(٥) أراعني : أدهشني . خضاب : تلوين .
(٦) المحاق : آخر الشهر القمري ، أي وقد ذهب نور الهلال .

يَمِلْنَ إلى الهوى

قال الحسين بن علي المرورّوزي[1] :

ثِنْتَانِ يعجزُ ذو الرياضة عنهما رأيُ النساء وإمرةُ الصِّبيانِ
أمّا النساءُ فميلهنّ إلى الهَوى وأخو الصبا يجري بغيرِ عنانِ[2]

(الثعالبي : اليتيمة ، ٤/ ٨٥)

* * *

ناكرات للجميل

قيل : إنّ المعتمد بن عبّاد[3] ملك إشبيلية تزوّج امرأةً يقال لها : الرُّميكيّة، وقطعا حيناً من الدهر في سرورٍ متوالٍ وغبطةٍ يُحسدان عليها . وحدثَ أن رأت النساءَ يوماً يمشينَ في الطِّين ، فاشتهت المشي فيه . فأمر المعتمد ، فسُحِقت الطُّيوبُ[4] وذُرّت[5] في ساحة القصر حتّى عمّته ، ثمّ نُصبت الغرابيل[6] وصُبّ فيها ماء الورد على الطيوب ، وعُجنت بالأيدي حتّى صارت كالطِّين ، وخاضته[7] مع جواريها ، وكان يوماً مشهوداً . وغاضبها

---

(١) المرورّوزي : كان من آدب أصحاب الجيوش بخراسان وأشعرهم وأكرمهم .
(المصدر نفسه)

(٢) العنان : اللجام ، القيد .

(٣) المُعْتمِد بن عبّاد (٤٣١هـ/ ١٠٤٠م - ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م) .
هو محمد بن عبّاد اللخمي . صاحب إشبيلية وقرطبة وما حولهما في بلاد الأندلس ، وهو أحد ملوك الطوائف (الزركلي : أعلام ، ٦/ ١٨١) .

(٤) الطيوب : مفردها الطِّيب ، وهو كلّ ذي رائحة طيّبة .

(٥) ذُرّت : نُشرت ونُثرت .

(٦) الغربال : آلة لغربلة الحبوب .

(٧) خاضته : مشت فيه .

المعتمد في بعض الأيّام ، فأقسمت أنها لم تَرَ منه خيراً قطّ . . . . فقال لها : ولا يوم الطين . . . فاسْتَحْيَتْ واعتذرتْ .

(البرقوقي : دولة النساء ، ص ٤٧٥)

* * *

ينقضن العهد !

ومن غدر النساء أنّ امرأةً من العرب تزوّجت رجلاً ، فكانت تَجِد به[1] ويَجِدُ بها وُجْداً شديداً ، فتحالفا وتعاهدا أن لا يتزوّج الباقي منهما . فما لبثَ أن مات بعلها[2] فتزوّجت ، فلامها أهلها على نَقْض عهدها ، فقالت :

لقد كان حبّي ذاكَ حُبّاً مبرّحاً[3]
وحُبِّي لِذَا إذ ماتَ ذَاكَ شديدُ
وكانت حياتي عندَ ذلك جنّةً
وحبّي لِذا طولَ الحياةِ يَزيدُ
فلمّا مَضى عادَتْ لهذا مَودّتي
كذاكَ الهوى بعد المماتِ يَبِيدُ[4]

(ابن قيّم الجوزيّة : أخبار النساء ، ص ٧٤)

* * *

(١) تجد به : تحبّه حبّاً شديداً .
(٢) بعلها : زوجها .
(٣) مبرّحاً : شديداً .
(٤) مودّتي : محبّتي . يبيد : يندثر ، لا يبقى له أثر .

إذا كان ما أوردناه من طبائع النساء يندرج في قائمة المآخذ عليهنّ ، ومن وجهة نظر الرجال في غالب الأحيان ، فإنّ للمرأة وجهاً مشرقاً آخر في خصائصها ومزاياها الإنسانية ، منها :

* * *

(أفلا أرضى بما رضي اللّه به!)

قال الأصمعي : رأيتُ بدويّةً من أحسن النساء وجهاً ، ولها زوجٌ قبيح ، فقلتُ : يا هذه ، أَتَرْضَيْنَ أن تكوني تحت هذا[1] ؟ فقالت : يا هذا ، لعلّه أحسنَ فيما بينه وبين ربّه فجعلني ثوابه ، وأسأتُ فيما بيني وبين ربّي فجعله عذابي ! أَفلا أرضى بما رضي الله به !

(البرقوقي : دولة النساء ، ص ٤٤٧)

* * *

إنّي وإيّاكَ في الجنّة !

وكان لِعمْران بن حِطّان[2] زوجٌ جميلة ، وكان هو قصيراً دميماً[3] . فقالت له ذاتَ يومٍ : أعلم أنّي وإيّاك في الجنّة . قال : كيف ؟ قالت : لأنّكَ أُعطيتَ مثلي فشكرتَ ، وأنا بُليتُ بمثلكَ فصبرتُ ، والصابر والشاكر في الجنّة .

(الزمخشري : ربيع الأبرار ، ص ٦٧٩)

* * *

---

(١) أن تكوني تحت هذا : أي أن تكوني زوجة له .
(٢) عِمْران بن حطّان : كان رأس القَعَدِ من الخوارج الصفريّة ، توفي ٨٤هـ/ ٧٠٣م (المبرّد : الكامل ، ٣/ ٨٩٥) .
(٣) دميماً : قبيحاً .

وفاءُ المرأة لزوجها بعد مماته

قيل : إنّ رجلاً توفّاه الله ، وبقيت امرأته شابّة جميلة ، فما زال بها النساءِ حتّى تزوّجت . فلمّا كانت ليلة زفافها رأت في المنام زوجها آخذاً بعارِضَتَيْ[1] الباب وقد فتح يديه وهو يقول :

حَيّيتُ ساكنَ هذا البيتِ كلّهمُ ... إلّا الربابَ فإنّي لا أُحَيّيها
أمْسَتْ عَرُوساً وأمسى مسكني جَدَثٌ[2] ... بين القبورِ وإنّي لا أُلاقيها
اسْتَبدلتْ بدلاً غيري فقد عَلمتْ ... أنّ القبورَ تُواري مَن ثَوى فيها[3]
قد كنتُ أَحْسَبُها للعهدِ راغبةً ... حتّى تموتَ وما جَفّت مآقيها[4]

ففزعت من نومها فزعاً شديداً وأصبحت مُبغضةً للأزواج ، وآلَتْ أن لا يصل إليها رجلٌ بعده أبداً .

(ابن قيّم الجوزية : أخبار النساء ، ص ٦٢)

* * *

هكذا واللّه يكون الوفاء !

اجتمع فقهاء الكوفة وفيهم أبو حمزة الثُّمالي[5] عند خالد بن عبد الله القَسْري[6] ، فقال خالد : حدّثونا بحديث عِشْقٍ ليس فيه فُحْش . فقال أبو

---

(١) العارضة : الخشبة العليا التي يدور فيها الباب .
(٢) جدث : قبر .
(٣) تواري : تُخفي . ثوى فيها : دُفن فيها .
(٤) مآقيها : مجاري دموعها .
(٥) أبو حمزة الثمالي (. . . - ١٥٠هـ/ ٧٦٧م) .
هو ثابت بن دينار الثمالي الأزدي بالولاء . كان من رجال الحديث الثقات عند الشيعة الإمامية .
(الزركلي : أعلام ، ٢/ ٩٧) .
(٦) خالد القسري (٦٦هـ/ ٦٨٦م - ١٢٦هـ/ ٧٤٣م) .

=

حمزة : أصلحَ اللّهُ الأميرَ ، بلغني أنّه ذُكر عند هشام بن عبد الملك غدر النساء وتزويجهنّ بعد انقضاء عدّتهن ، فقال هشام : إنّه لَيَبْلُغُني من ذلك العَجَبُ . فقال بعض جلسائه : أنا أحدّثك يا أمير المؤمنين عمّا بلغني عن امرأةٍ من بني يَشْكُر كانت عند ابن عمّ لها ، فمات عنها بعد مسألته إيّاها عمّا تريد أن تصنع بعده ، فأخذ العهود عليها في ذلك ، وكان اسمه غسّان بن جَهْضَم ، وكان اسم ابنة عمّه أم عُقْبَة بنت عمرو بن الأبجر ، وكان لها محبّاً ، وكانت له كذلك ، فلمّا حضره الموت وظنّ أنّه مفارق الدنيا قال ثلاثة أبياتٍ ، ثمّ قال : إسمعي يا أُمّ عُقْبة ، ثمّ أجيبي ، فقد تاقت[1] نفسي إلى مسألتك عن نفسك ، فقالت : والله ، لا أُجيبكَ بكذبٍ ولا أجعله آخر حظّي منك ، فقال :

أَخْبِري بالذي تُريدينَ بَعْدِي
والذي تُضْمِرينَ يا أمّ عُقْبَهْ
تَحفظيني مِن بعدِ مَوْتي لِمَا قَد
كان منّي مِن حُسْنِ خُلْقٍ وَصُحْبَهْ
أم تريدينَ ذا جمالٍ ومالٍ
وأنا في التُّرابِ في سُحْقِ غُرْبَهْ ؟

فأجابته تقول :

قد سمعتُ الذي تقولُ وما قد
يابنَ عمّي تخافُ مِن أُمّ عُقْبَهْ
أنا مِن أحفظِ النساءِ وأرعا
ها لِمَا قد أَوْلَيْتَ مِنْ حُسْنِ صُحْبَهْ
سوفَ أبكيكَ ما حَييتُ بنَوْحٍ
ومَراثٍ أقولُها وبِنُدْبَهْ

= هو خالد بن عبد الله القَسْري ، أمير العراقين (البصرة والكوفة) وأحد خطباء العرب وأجوادهم (الزركلي : أعلام ، ٢/ ٢٩٧) .

(١) تاقت نفسي : اشتاقت .

فلمّا سمع ذلك أنشأ يقول :

أنـا والـلّهِ واثِـقٌ بـكِ لـكـنـ
ـنـي احـتـيـاطـاً أخـافُ غَـدْرَ الـنـسـاءِ
بعـد مَـوْتِ الأزواجِ يـا خيـرَ مَن عُـو
شِـرَ فـآرْعَـيْ حـقّـي بـحُـسْـنِ الـوفـاءِ
إنّـني قـد رَجَـوْتُ أن تَـحْـفَـظِي الـعهـ
دَ فـكُـونـي إنْ مُـتُّ عـنـدَ الـرجـاءِ

ثمّ أخذ عليها العهود ، واعْتُقِلَ لسانه[1] فلم ينطق بحرفٍ حتّى مات . فلم تمكُث بعده إلّا قليلاً حتّى خُطبت من كلّ وجهٍ ، ورغب فيها الأزواج لاجتماعِ الخصال الفاضلة فيها ، فقالت مجيبةً لهم :

سـأحـفظُ غسّـانـاً عـلى بُـعْـدِ دَارِهِ
وأرعـاهُ حـتّى نَـلتقي يـومَ نُـحْـشَـرُ[2]
وإنّـي لفـي شُغْـلٍ عـن الـنـاس كـلّهـمْ
فَكُفُّـوا فـمـا مِثْـلي بمَـن مـاتَ يَغْـدُرُ
سـأبـكي عـليـهِ مـا حَيِيتُ بـدمـعـةٍ
تجـولُ عَلَى الخـدَّيْنِ مِـنّي فـتَهْـمِـرُ[3]

ولمّا تطاولت الأيّام والليالي تناست عهده ، ثمّ قالت : مَن مَاتَ فقد ماتَ ، فأجابت بعض خُطّابها فتزوّجها . فلمّا كانت الليلة التي أراد الدخول فيها أتاها غسّان في منامها وقال :

غَـدَرْتِ ولم تَـرْعَيْ لبَعْلِكِ حُـرْمَـةً ولم تَعرفي حقّاً ولم تَحفظي عهدَا
ولم تَصْبِري حَوْلاً حِفَاظاً لصاحبٍ حَلَفْتِ له بَتّاً ولم تُنْجِزي وَعْدَا[4]

---

(١) اعتقل لسانه : حُبس لسانه عن الكلام .
(٢) يوم الحشر : يوم القيامة حين يجتمع الناس للحساب .
(٣) تهمر : تنزل بغزارة .
(٤) حولاً : سنةً . بتّاً : باتّاً ، قاطعاً .

غـدرتِ به لمّـا ثَوَى في ضـريحِهِ   كذلك يُنْسَى كلُّ مَن سكنَ اللّحدَا(١)

فلمّا سمعت هذه الأبيات انتبهت مرتاعةً(٢) كأنّ غسّان معها في جانب البيت ، وأنكر ذلك مَن حضرَ من نسائها ، فأنشدتهنّ الأبيات ، فأخذنَ بها في حديثٍ يُنْسِيَنها ما هي فيه . فقالت لهنّ : واللّه ما بقي لي في الحياة من أَرَبٍ(٣) حياءً من غسّان ، فَتَغفّلتَهنّ فأخذت مُدْيَةً(٤) ، فلم يُدْرِكْنَهَا حَتّى ذبحت نفسها . فقالت امرأة منهن هذه الأبيات :

لـلّهِ دَرُّكِ(٥) مـاذا   لَقِيـتِ مِـن غـسّـانِ
قتلتِ نـفسـكِ حُـزْنـاً   يـا خِـيـرَةَ الـنِّـسْـوَانِ
وفَيْتِ مِن بعـدما قـد   هَـممـتِ بـالـعِـصْـيـانِ
وذو الـمَعَـالـي غَـفُـورٌ   لِـسَـقْـطةِ آلإنـسـانِ

فلمّا بلغَ ذلك المتزوّج بها قال : ما كان فيها مُسْتَمْتَعٌ بعد غسّان . فقال هشام بن عبد الملك : هكذا والله يكون الوفاء !

(القالي : ذيل الأمالي ، ص ٢٠٠)

* * *

حديث البنات الثلاث مع أبيهن

كان لرجلٍ من العرب ثلاث بناتٍ قد عضلهنّ(٦) ومنعهنّ الأكفاء(٧) .

(١) ثوى في ضريحه : أقام في قبره . اللحد : القبر .
(٢) مرتاعة : خائفة .
(٣) أرب : حاجة .
(٤) مدية : سكّين .
(٥) للّه درّك : أي للّه ما خرج منك من خير .
(٦) عضلهنّ : منعهنّ .
(٧) الأكفاء : الأزواج .

فقالت إحداهنّ : إن أقام أبونا على هذا الرأي فارقَنا[1] وقد ذهب حظّ الرجال منّا ، فينبغي لنا أن نعرض له ما في نفوسنا ـ وكان يدخل على كلّ واحدةٍ منهنّ يوماً ـ فلمّا دخل على الكبرى تحادثا ساعةً ، فحين أراد الانصراف ، أنشدت :

أيُـزْجَرُ لاهينـا ونُلْحَى على الصِّبا   وما نحن والفتيانُ إلاّ شقـائقُ[2]
يَؤُبْنَ حـبيبـاتٍ مِـراراً كثيـرةً   وَتَنبـاقُ أحيانـاً بهنّ البـوائِقُ[3]

فلمّا سمع الشعر ساءَه .

ثمّ دخل على الوسطى ، فتحادثا ، فلمّا أراد الانصراف ، أنشدت :

ألا أيُّهـا الفِتيـانُ إنَّ فتـاتَكُـم   دَهـاهـا سَمـاعُ العـاشقينَ فحنَّتِ
فـدُونَكُم آبْغُـوهـا فتىً غيـرَ زُمَّـلٍ   وإلاّ صَبَتْ تلك الفتـاةُ وَجُنّتِ[4]

فلما سمع شعرها ساءه .

ثم دخل على الصغرى في يومها ، فتحادثا ، فلمّا أراد الانصراف ، أنشدت :

أمـا كـان في ثِنْتَيْنِ مـا يَـزَعُ[5] الفتى
وَيَعْقِـلُ هـذا الشيـخُ إنْ كـان يعقـلُ
فمـا هُـوَ إلاّ الحِـلُّ أو طَلَبُ الصِّبـا
ولا بُـدَّ منـهُ فَـأْتَمِـرْ[6] كيف تـفعـلُ

---

(١) فارقنا : أي مات .
(٢) يُزجر : يُردع . لاهينا : مانعنا من الزواج . نُلحى : نُلام .
(٣) يؤبن : يرجعن ، يعدن . تنباق : تهجم .
البوائق : الشرور ، الدواهي ويقال : انباقت عليهم بائقة شرّ ، أي انفتقت كما يخرج الصوت من البوق .
(٤) ابغوها : اطلبوا لها . زمّل : ضعيف ، جبان .
(٥) يزع : يردع .
(٦) فأْتمر : شاور .

فلمّا رأى تواطُؤهنّ[1] على ذلك زوّجهن .

(القالي : أمالي ، ٢/ ١٠٥)

* * *

زوجٌ من عود خيرٌ من قعود

كان لذي الإصبع العَدْواني[2] بنات أربع ، فعرض عليهنّ الزواج ، فأَبَيْنَ وقلن : خدمتُك وقُربك أحبُّ إلينا . ثمّ أشرف عليهنّ يوماً من حيثُ لا يَرَيْنَهُ ، فقلن : لتقل كلّ واحدةٍ منّا ما في نفسها ، فقالت الكبرى :

ألا هل أراها مرّةً وَضَجيعُهَا أَشَمُّ كَنَصْلِ السيفِ عينُ مُهَنَّدِ[3]
عليمٌ بأدواء النساء وأصلُهُ إذا ما آنتمَى مِن أهلِ سرّي ومَحْتدِي[4]

فقلنَ لها : أنتَ تريدين ذا قرابةٍ قد عرفتِهِ .
ثم قالت الثانية :

ألا ليتَ زوجي مِن أُناسٍ أُولي غِنَىً
حديثُ شبابٍ طيّبُ الثوبِ والعِطْرِ
لَصُوقٌ بأكبادِ النساءِ كأنّهُ
خليقةُ جانٍ لا ينامُ على هَجْرِي[5]

---

(١) تواطُؤهنّ : توافُقهنّ .
(٢) ذو الإصبع العَدْواني (. . . - نحو ٢٢ ق.هـ/ نحو ٦٠٠ م) .
هو حُرثان بن الحارث من عَدْوان ، ينتهي نسبه إلى مُضَر . شاعر حكيم جاهلي ، لُقّب بذي الإصبع لأنّ حيّة نهشت إصبع رجله فقطعها (الزركلي : أعلام ، ٢/ ١٧٣) .
(٣) الضجيع : الزوج . أشمّ : شامخ الرأس . كنصل السيف : أي كالسيف القاطع . المهند : السيف المصنوع من حديد الهند .
(٤) أدواء النساء : أمراضهن وحاجاتهنّ . محتدي : أصلي ونسبي .
(٥) لصوق بأكباد النساء : محبّ لهنّ .

فقلنَ لها : أنتِ تريدين فتىً ليس من أهلِكِ .

ثم قالت الثالثة :

ألا لَـيْـتَـهُ يَـكسِـي الـجـمـالَ نَـدِيَّـهُ
لَـهُ جَفنـةٌ تشقى بهـا المَعْـزُ والجُـزْرُ[1]
لَـهُ حَكَمَـاتُ الـدهـرِ من غيـرِ كَبـرةٍ
تَـشِـيـنُ فـلا وانٍ ولا ضَـرَعٌ غُـمْـرُ[2]

فقلنَ لها : أنت تريدين سيّداً شريفاً .

وقلنَ للرابعة : قُولي . فقالت : لا أقولُ . فقلنَ لها : يا عدوّة اللّه ، علمتِ ما في أنفسنا ولا تُعلمينا ما في نفسك . فقالت : « زَوْجٌ مِن عُودٍ خيرٌ مِن قُعودٍ » . فمضت[3] مثلاً .

فزوّجهنّ أربعهن ، وتركهنّ حَوْلاً[4] ، ثمّ أتى الكبرى فقال : يا بنيّة ، كيفَ تَـرَيْنَ زوجـكِ ؟ قـالت : خيـرُ زوج ، يُكـرم الحليلة[5] ويعـطي الوسيلة[6] . قال : فما مالكم ؟ قالت : خيرُ مالٍ ، الإبل نشربُ ألبانها جُرعاً[7] ، ونأكل لحمها مِزَعاً[8] ، وتحملنا وَضَعَفَتنا[9] معاً . فقال : يا بنيّة ، زوجٌ كريمٌ ومالٌ عميمٌ[10] .

---

(١) الجفنة : البئر الصغيرة ، تشبيهاً بجفنة الطعام ، وهيَ الصحفة التي يوضع فيها الطعام .
الجزر : النّوق .
(٢) تشين : تعيب . ضرع : ذليل . غمر : جاهل .
(٣) مضت : ذهبت .
(٤) حولاً : عاماً .
(٥) الحليلة : الزوجة .
(٦) الوسيلة : ما يُتقرّب به إلى الآخرين .
(٧) جرعاً : ابتلاعاً .
(٨) مزعاً : قطعاً .
(٩) ضعفتنا : الضعفاء منّا .
(١٠) عميم : كثير .

ثمّ أتى الثانية فقال : يا بنيّة ، كيف زوجكِ ؟ قالت : خيرُ زوج ، يكرمُ أهله [١] وينسى فضله [٢] . قال : وما مالكم ؟ قالت : البقر تألفُ الفِناء ، وتملأ الإناء ، وتُودكُ السّقاء [٣] ، ونساء مع نساء [٤] . ثمّ قال : حَظِيَتْ [٥] ورضِيَتْ .

ثمَّ أتى الثالثة فقال : يا بنيّة ، كيف زوجكِ ؟ قالت : لا سَمِحٌ بَذِرٌ [٦] ، ولا بخيلٌ حَكِرٌ [٧] . قال : فما مالكِم ؟ قالت : المَعْز . قال : وما هي ؟ قالت : لو أنّا نُولدها فَطْماً ونسلخها أدْماً [٨] لم نَبْغِ بها نَعْماء . فقال لها : جَذْوَةٌ [٩] مُغنية .

ثمَّ أتى الصغرى فقال : كيف زوجك ؟ قالت : شرُّ زوجٍ ، يكرم نفسه ويُهين عِرْسَهُ[١٠] . قال : فما مالكم ؟ قالت : شرّ حالٍ . قال : وما هو ؟ قالت : الضأن ، جُوفٌ لا يشبعنَ ، وهِيمٌ[١١] لا يَنْقَعْنَ[١٢] ، وصُمٌّ لا يسمعنَ ؛ وأمرُ مُغْويتهنّ يتبعنَ[١٣] . فقال أبوها : « أَشْبَه آمْرُؤٌ بعض بَزِّه »[١٤] فمضت مثلاً .

(المرتضى : أمالي ، ١/ ١٧٧)

* * *

---

(١) يكرم أهله : يكرم أهل بيته .

(٢) ينسى فضلة : أي لا يمنّن فيما يقدّمه .

(٣) تـودك السقاء : تسمن الوعاء .

(٤) ونساء مع نساء : أي إناث مع إناث .

(٥) حظيت : نالت حظًّا .

(٦) بذر : مبذّر .

(٧) حكر : يحبس ما لديه من نِعَم .

(٨) الأدم : الطعام .

(٩) جذوة : جمرة .

(١٠) عرسه : زوجه .

(١١) هيم : عطاش .

(١٢) ينقعن : يرتوين .

(١٣) وأمر مغويتهن يتبعن : أي يسرن وراء من يقودهن على غير هُدى .

(١٤) البَزّ في الأصل : متاع البيت من الثياب خاصّة ، كنّي به عن الضأن ، وهي متاع ، والمثل يُضرب للمتشابهين أخلاقاً .

توصي بنتها يوم زفافها

أوصت أعرابية بنتها عند إهدائها فقالت : إقلعي زُجّ[1] رمحه ، فإن أقرَّ فاقلعي سِنانه ، فإن أقرَّ فاكسِري العظام بسيفه ، فإن أقرّ فاقطعي اللحمَ على تُرْسِهِ ، فإن أقرَّ فضعي الأكاف[2] على ظهره ، فإنّما هو حمار ؟

(العاملي : المخلاة ، ص ٤٦)

* * *

أمّ توصي بضرب بنتها !

لمّا تزوّج شُرَيْح الراوية[3] زينب[4] ، زارتها أمّها بعد سنة فقالت له : لم يضمّ الرجل إلى نَحْره شرّاً مِن وَرْهاء[5] ، وإنّما زينب من النساء ، فإن رابكَ[6] منها شيء فالسوط . فضحك شُريح ثمّ قال :

رأيتُ رجالاً يضربون نساءَهم فشُلَّت يميني يومَ أضربُ زَيْنَبَا
وكلُّ محبٍّ يمنعُ الوُدَّ إلْفَهُ ويَعْذِرُهُ يوماً إذا هو أذْنَبا

(الزمخشري : ربيع الأبرار ، ص ٥١٨)

* * *

---

(١) الزجّ : الحديدة التي في أسفل الرمح .
(٢) الأكاف : البَرْدَعة التي توضع على ظهر الحمار .
(٣) شريح الراوية : هو القاضي محمد بن زياد .
(٤) زينب : هي زينب بنت حُدير . وهي من ربّات العقل والرأي .
(٥) ورهاء : حمقاء .
(٦) رابك منها : شككت بأمرها في شيء .

وصيّة امرأةٍ عاقلة لابنتها ليلة زفافها

خطب عمرو بن حجر[١] إلى عَوْف بن مُحَلِّم الشيباني[٢] ابنته أمّ إياس ، فأنكحه إيّاها . فلمّا كان بناؤ ها به[٣] خلت بها أمّها فقالت : أي بُنيّة ، إنّكِ فارقتِ بيتكِ الذي منه خرجتِ ، وعُشّكِ الذي فيه درجتِ ، إلى رجلٍ لم تعرفيه ، وقرينٍ[٤] لم تألفيهِ ، فكوني له أَمَةً[٥] يكنْ لكِ عبداً ، واحفظي له خِصالاً عَشْراً يكن لكِ ذُخْراً . أمّا الأولى والثانية : فالخشوعُ له بالقناعة ، وحسن السمعِ له والطاعة . وأمّا الثالثة والرابعة : فالتفقّد لموضع عينِه وأنفِه ، فلا تقع عينه منكِ على قبيحٍ ، ولا يشمّ منكِ إلاّ أطيب ريحٍ . وأمّا الخامسة والسادسة : فالتفقّد لوقتِ منامه وطعامِهِ ، فإنّ تواتر[٦] الجوع مَلْهَبَة ، وَتنغيصَ النوم مَغْضَبة . وأمّا السابعة والثامنة : فالاحتراسُ بمالـه ، والإِرْعاءُ[٧] على حَشَمِهِ[٨] وعيالِهِ ، ومِلاكُ[٩] الأمرِ في المال حُسن التقدير ، وفي العيال حُسن التدبير . وأمّا التاسعة والعاشـرة : فلا تَعْصنَّ لـه أمراً ، ولا تُفْشِنَّ لـه سِرّاً ، فإنّك إن خالفتِ أمره أوغرتِ صدره[١٠] ، وإن أفشيتِ سرّه لم تأمني غدره .

---

(١) عمرو بن الحَجْر : حكيم جاهلي (الزركلي : أعلام ، ٥/ ٧٦) .

(٢) عوف بن محلّم (. . . ـ نحو ٤٥ ق.هـ/ نحو ٥٨٠م) .
هو عوف بن محلّم الشيباني . رجل من أشراف العرب في الجاهلية (الزركلي : أعلام ، ٥/ ٩٦) .

(٣) فلمّا كان بناؤ ها فيه : أي ليلة زفافها .

(٤) قرين : زوج .

(٥) أمة : جارية .

(٦) تواتر : تتابع .

(٧) الإرعاء : الرعاية .

(٨) الحشم : القرابة ، الخدم .

(٩) ملاك الأمر : زمام الأمر .

(١٠) أوغرت صدره : جعلتِ الحقد والغيظ في صدره .

ثمّ إيّاكِ والفرح بين يديه إذا كان مهتمّاً[1] ، والكآبة [2] بين يديه إذا كان فَرِحاً . فولدت له الحارث بن عمرو (جدّ امرىء القيس الشاعر) .

(ابن عبد ربّه : العقد ، ٦/ ٨٣)

* * *

خصال الزوج وخصال الزوجة

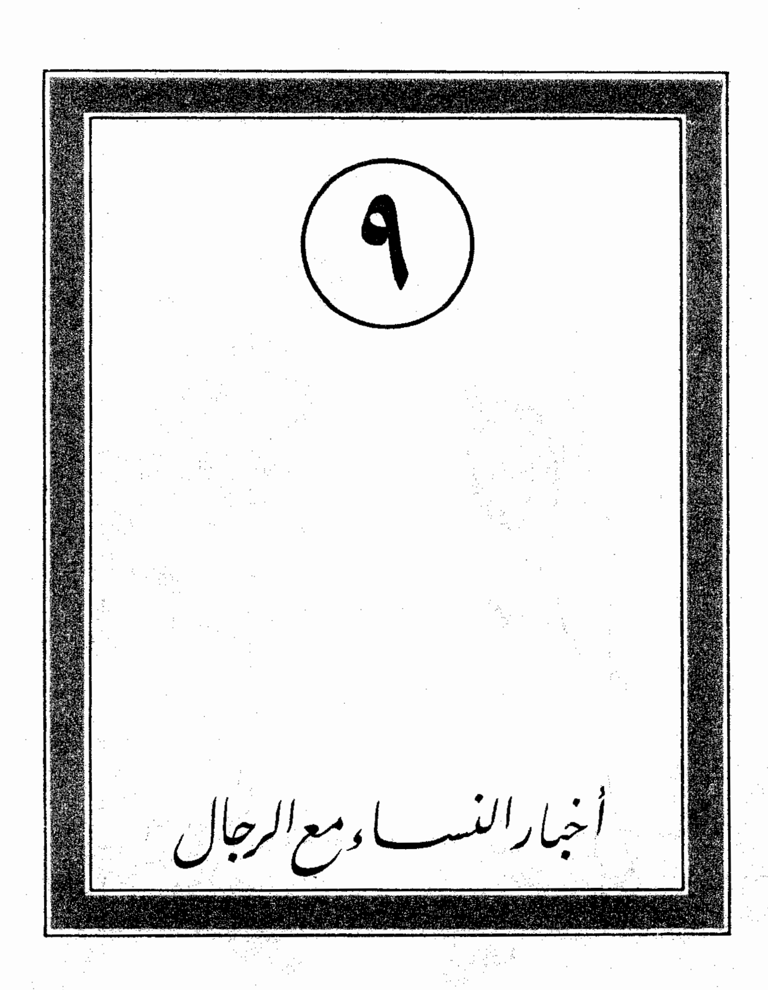
قالوا : ينبغي أن تكون المرأة دون الرجل بأربع وإلّا استحقرته : بالسنّ والطول والمال والحسَب . وأن تكونَ فوقه بأربع : بالجمال والأدب والورَع والخُلق .

(العلوي: المستطرف الجديد، ص ١٧٦)

* * *

(١) مهتمّاً : مهموماً .

(٢) الكآبة : الحزن .


٩
أخبار النساء مع الرجال



إنّ كَيْدهنّ عظيم !

قال بعض العلماء : إنّي أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشّيطان ، لأنّه سبحانه وتعالى يقول : ﴿ إنّ كَيْدَ الشيطانِ كان ضَعِيفاً ﴾[1] . وقال سبحانه في النساء : ﴿ إنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾[2] .

(العاملي : الكشكول ، ص ١٥)

* * *

أوصاف النساء

(في نظر الرجال)

قال أحدهم : النساء أربع ، فمنهنَّ مَعْمَع[3] لها شَيْئُها أَجْمع ، ومنهنّ

(١) النساء / ٧٦ .

(٢) يوسف / ٢٨ .

(٣) المعمع : المرأة المعمع هي المستبدّة بمالها لا تواسي زوجها منه .

صُدَّع[1] تفرّق ولا تَجمع ، ومنهنّ تُبَّع تزبي[2] ولا تنفع ، ومنهنّ غيثٌ وقع ببلدٍ فأمرع[3] . فزاد عليهن أحدهم فقال : ومنهنّ القَرْثَع[4] .

(القالي : ذيل الأمالي ، ص ١٢٦)

* * *

فداكِ أبي وأمّي

نظر رجلٌ إلى امرأته وهي صاعدةٌ في السُّلّم فقال لها : أنتِ طالِقٌ إن صعدتِ وطالِقٌ إن نزلتِ وطالقٌ إن وقفتِ . فرمَتْ نفسها إلى الأرض ، فقال لها : فِداكِ أبي وأمّي ، إن ماتَ الإمامُ مالِك احتاجَ إليكِ أهل المدينة في أحكامهم .

(الأبشيهي : المستطرف ، ١/ ٢٧)

* * *

امرأة تعيب زوجها فيردّ عليها

قدّمت امرأةٌ زوجها إلى زياد[5] تُنازعه ، وقد كان سنُّهُ أعلى من سنّها ، فجعلت تعيب زوجها وتقع فيه . فقال زوجها : أيّها الأمير ، إنّ شرّ شَطْري المرأة آخرها ، وخيرُ شطري الرجل آخره . المرأة إذا كَبِرت عَقَمَتْ[6]

(١) الصدّع : اللائي يسعين للفرقة بين الناس .

(٢) تبّع تزبي : أي هنّ كالظل يتبع صاحبه فيزعجه ولا ينتفع به .

(٣) أمرع : أخصب .

(٤) القرثع : هي التي تلبس درعها مقلوباً ، وتكحل إحدى عينيها ، وتدع الأخرى .

(٥) زياد : هو زياد بن أبيه ، الذي استلحقه معاوية بنسبه ، وأصبح من ولاة الأمويين المشهورين .

(٦) عقمت رحمها : انقطعت عن الحَمل والولادة .

رَحِمُها ، وحَدّ لسانها[1] ، وساء خُلُقها ، وإنّ الرجل إذا كَبِرت سنّه استحكمَ رأيُهُ[2] ، وكَثُر حِلْمُهُ وقلَّ جهلُهُ .

(التوحيدي : الإمتاع ، ٣/ ١٧٤)

* * *

جُحا وامرأته الحَوْلاء

تزوّج جُحا[3] امرأةً حَوْلاء ترى الشيء شيئين ، فلمّا أراد الغداء أتى برغيفين ، فرأتهما أربعة ، ثمّ أتى بالإناء فوضعه أمامهما ، فقالت له : ما تصنع بإنائين وأربعة أرْغِفَة ؟ يكفي إناءٌ واحدٌ ورغيفان . ففرح جُحا وقال : يا لها من نعمة ! وجلس يأكل معها ، فرمته بالإناء بما فيه من الطعام وقالت له : هل أنا فاجرة حتّى تأتي برجلٍ آخر معك لينظر إليَّ ؟ فقال جحا : يا حبيبتي ، أبصري كلّ شيءٍ اثنين إلاّ زوجك !

(فرّاج : أخبار جحا ، ص ١٦١)

* * *

الجزّار وزوجة أبيه

قال أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم ، الجزّار المصري في زوجة أبيه :

تــزوّجَ الـشـيـخُ أبي شَـيْـخـةً   لـيس لـهـا عـقـلٌ ولا ذِهْـنُ

(١) حدّ لسانها : كثر كلامها .

(٢) استحكم رأيه : صار حكيماً .

(٣) جُحا . . . ـ نحو ١٣٠هـ/ نحو ٧٤٧ م) .
هو جُحا الكوفي الفزاري ، أبو الغصن صاحب النوادر ، يُضرب به المثل في الحمق والغفلة ، كانت أمّه خادمة لأمّ « أنسْ بن مالك » . (الزركلي : أعلام ، ٢/ ١١٢) .

لـو بـرزَتْ صـورتُهـا في الـدُّجى ... مـا جَسَـرتْ تـنـظرُهـا الجنُّ(١)
كـأنّهـا في فَـرْشِهـا رِمَّـةٌ(٢) ... وشعـرُهـا مِن حـولـهـا قُـطْنُ
وقـائـلٍ : قُـلْ ليَ : مـا سِنُّهـا ؟ ... فـقـلـت: مـا في فـمـهـا سِـنٌّ(٣)

(ابن شاكر الكتبي : فوات ، ٢/ ٦٣٠)

* * *

يكتبُ لزوجته فتردّ عليه شعراً

كان رجلٌ من أهل الشام مع الحجّاج بن يوسف(٤) ، وكان يحضر طعامه ، فكتب إلى أهله بما هو فيه من الخِصْب ، وأنّه قد سَمِنَ . فكتبت إليه امرأته تقول :

أتُهْدِي ليَ القِرْطاسَ والخبزُ حاجتي ... وأنتَ على بـاب الأمير بَـطينُ(٥)
إذا غِبْتَ لم تذكرْ صديقاً وإن تُقِم ... فأنتَ على ما في يَدَيْكَ ضَنينُ(٦)
فأنتَ ككلبِ السَّوْءِ في جُوعِ أهلِهِ ... فَيُهْـزَلُ أهـلُ الكلبِ وهـو سَمينُ

(الجاحظ : الحيوان ، ١/ ١٩٢)

* * *

نـأكل رأسَ أمّكِ ورأس أبي !

اشترى رجلٌ رأسَيْن ، فوضعهما بين يدي امرأته وقال : أقعدي نأكل .

---

(١) الدجى : الظلام .
(٢) رمّة : جثّة باليه .
(٣) سنّها : عمرها . فيها : فمها .
(٤) هو الحجّاج بن يوسف الثقفي ، أحد القادة الأمويين المشهورين .
(٥) القرطاس : الورق الذي يكتب عليه . بطين : كبير البطن من كثرة الأكل .
(٦) الضنين : البخيل .

فأخذت رأساً فوضعتهُ خلفها وقالت : هذا لأمّي . فأخذ الرجلُ الرأسَ الآخر ووضعه خلفه وقال : هذا لأبي . قالت : فماذا نأكل ؟ قال : ضعي رأسَ أمّكِ وأضعُ رأسَ أبي فنأكلهما !

(القيرواني : جمع الجواهر ، ص ٣٠٠)

* * *

انتقام امرأة

مرّت امرأةٌ بقومٍ من بني نَمير فأحدُّوا[١] النظر إليها ، فقال منهم قائل : واللهِ ، إنّها لَرَسْحَاء[٢] ، فقالت : يا بني نَمير ، واللّه ما امْتَثَلْتُم فيَّ واحدةً من اثنتين ، لا قول اللّه عزَّ وجَلَّ : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمنينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾[٣] . ولا قول الشاعر[٤] :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنّكَ مِن نُمَيْرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كِلابا

(الزمخشري : ربيع الأبرار ، ص ٧٠٧)

* * *

المرأة والقاضي

تقدّمت امرأةٌ إلى قاضٍ ، فقال لها : جَامَعَكِ شُهودكِ ، فسكتت . فقال كاتبه : إنّ القاضي يقول لك : جاء شهودك معكِ ؟ قالت : نعم . هلاّ قلتَ مثل ما قال كاتبكَ ، كَبُر سنّك[٥] ، وقلَّ عقلكَ ، وعَظُمت لحيتكَ حتّى غطّت

---

(١) أحدّوا النظر إليها : بالغوا في النظر اليها .

(٢) رسحاء : جميلة .

(٣) النور / ٣٠ .

(٤) هذا البيت للشاعر جَرير الخطفي يهجو به الشاعر الراعي النميري .

(٥) كبر سنّك : كبر عمرك .

على لُبِّكَ[1] ، ما رأيتُ مَيْتاً يقضي بين الأحياء غيرك !

(الأبشيهي : المستطرف ، ١/ ١٣٥)

* * *

امرأة تدّعي النبوّة

ادّعت امرأةٌ النبوّة على عهد المأمون ، فأحضرت إليه ، فقال لها : مَن أنتِ ؟ قالت : أنا فاطمة النبيَّة . فقال لها المأمون : أتؤمنين بما جاء به محمّد ﷺ . قالت : نعم ، كلّ ما جاء فيه فهو حقّ . فقال المأمون : فقد قال ﷺ : « لا نبيَّ بعدي » . قالت : صدق عليه الصلاة والسلام ، فهل قال لا نبيّة بعدي ؟ فقال المأمون لمن حضره : أمّا أنا فقد انقطعتُ ، فمن كانت عنده حجّة فليأتِ بها ، وضحك حتّى غطّى على وجهه .

(النويري : نهاية الأرب ، ٤/ ١٤)

* * *

تطلب من زوجها أن يشبّب بها !

كانت لرجلٍ من العرب امرأة رَعْناء[2] ، فدخل عليها يوماً وهي مُغْضَبة ، فقالت : ما لك لا تشبِّبُ بي كما يشبّبُ الرجالُ بنسائهن ، فقال : إنّي أفعل ! وأنشدها :

تَمّتْ عُبَيْـدَةُ إلاّ في مَـلاحتِهـا   والحُسْنُ منها بحيثُ الشمسُ والقمرُ[3]
ما خالفَ الظبيُ منها حين تُبصرها   إلاّ سَـوالِفُهـا والجِيـدُ والنـظرُ[4]

---

(١) لبّك : عقلك .   (٢) رعناء : حمقاء .

(٣) يقول هذا الأعرابي : تمّت هذه المرأة في كل شيء إلاّ من المحاسن ، والملاحة بعيدة منها بُعْد الشمس والقمر .

(٤) السوالف : جمع السالفة ، وهو صفحة العنق عند مُعَلّق القُرْط في الأذن . الجِيد : العنق .

قُل للذي عابَها مِن حاسدٍ حَنِقٍ أقصِرْ فرأسُ الذي قد عِيبَ للحجرِ[1]

(القيرواني : جمع الجواهر ، ص ٢٥٧)

* * *

بين أبي الأسود وزوجته

جرى بين أبي الأسود[2] الدُّؤلي وبين امرأته كلامٌ في ابنٍ كان لها منه وأراد أخذه منها . فسارت إلى زياد[3] وهو والي البصرة ، فقالت المرأة : أصلحَ اللّه الأمير ، هذا ابني كان بطني وعاءَه ، وحِجْري[4] فناءَه ، وثديي سقاءَه ، أَكلؤه[5] إذا نامَ ، وأحفظه إذا قام ، فلم أزل بذلك سبعة أعوام حتّى إذا استوفى[6] فِصالَهُ ، وكَمُلت خصالُهُ ، وآستوكَعتْ[7] أوصالُهُ ، وأمّلتُ نفعَهُ ، ورجوتُ[8] دفعَهُ ، أراد أن يأخذه منّي كَرْهاً ، فآدِني[9] أيّها الأمير ، فقد رامَ[10] قهري ، وأراد قَسْري[11] .

(١) أي قل للذي عابها حنقاً وغيظاً : هَوّن عليك ، وأقلل من ذكر معايبها ، فليس لها إلّا كسر رأسها بالحجر .

(٢) أبو الأسود الدؤلي (١ ق . هـ / ٦٠٥ م - ٦٩ هـ/ ٦٨٨ م) .
هو ظالم بن عمرو الدؤلي الكناني . واضع علم النحو ، كان معدوداً من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء (الزركلي : أعلام ، ٣/ ٢٣٦) .

(٣) زياد : هو زياد بن أبيه ، الذي استلحقه معاوية بنسبه ، فأصبح يُعرف بزياد بن أبي سفيان .

(٤) حجري : حضني .

(٥) أكلؤه : أرعاه .

(٦) استوفي فصاله : أي أصبح في السنّ الذي يحق للأب أن يلحقه به . فصاله : فطامه .

(٧) استوكعت : اشتدّت .

(٨) رجوت دفعه : أمّلتُ أن يدفع عنّي .

(٩) آدني : قوّني وأعنّي .

(١٠) رام : أراد .

(١١) قسري : إجباري .

فقال أبو الأسود : أصلحكَ اللّه ، هذا ابني حملتُهُ قبل أن تحمله ، ووضعته قبل أن تضعه ، وأنا أقومُ عليه في أدبه ، وأنظر في أَوَده (١) ، وأمنحُه علمي ، وأُلهمهُ حِلْمِي ، حتّى يكمل عقله ، ويستحكم فَتْلُهُ (٢) .

فقالت المرأة : صدقَ ، أصلحكَ اللّه ، حمله خِفّاً ، وحملتهُ ثِقْلاً ووضعه شهوةً ، ووضعته كَرْهاً .

فقال زياد : أرْدُد على المرأة ولدها فهي أحقّ به منك ، ودعني من سَجْعك .

(القالي : أمالي ، ٢/ ١٢)

* * *

كلامُ مظلومٍ ووجهُ ظالمٍ !

رُوي أنّ رجلاً وامرأته اختصما إلى أميرٍ من أمراء العراق ، وكانت المرأة حَسنة المُنْتَقَب قبيحة المَسْفَر(٣) ، وكان لها لسان(٤) . فكأنّ الأمير مال معها ، فقال : يعمد أحدكم إلى المرأة الكريمة فيتزوّجها ثمّ يسيء إليها ! فأَهْوَى زوجها فأَلقى النقاب عن وجهها . فقال الأمير : عليكِ اللعنة ، كلامُ مظلومٍ ووجهُ ظالمٍ !

(البرقوقي : دولة النساء ، ص ٤٤٤)

* * *

---

(١) الأود : الكدّ والتعب . يقال : قام بأود عائلته : أي قام بإعالتها .

(٢) استحكم فتله : بلغ مرحلة النشاط والقوّة .

(٣) أي أنّها تُرى جميلة إذا كان عليها النقاب ، أمّا إذا أسفرت بانَ قبحها الأصيل .

(٤) أي طلقة اللسان .

نكرهُ ما تكرهُ منّا !

قال العتبي[1] : رأيتُ امرأةً فأعجبتني صورتها ، فقلتُ : أَلكِ بعلٌ[2] ؟ قالت : لا . قلتُ : أفترغبين في التزويج ؟ قالت : نعم ، ولكن لي خَصْلَةٌ أظنّك لا ترضاها . قلتُ : وما هي ؟ قالت : بياضٌ برأسي . قال : فثنيتُ عِنان فرسي وسرتُ قليلاً . ونادتني ، أقسمتُ عليكَ لتقفنّ . ثمّ أَتت إلى موضعٍ خالٍ، فكشفت عن شعرٍ كأنّه العناقيد السوداء، فقالت: واللّهِ، ما بلغتُ العشرين ، ولكنّي عرّفتك أنّا نكرهُ ما تكرهُ منّا . قال : فخجلتُ وسرتُ وأنا أقول :

فجعلتُ أطلبُ وَصْلَهـا[3] بتملُّقٍ والشيبُ يَغْمِـزُهـا بـأن لا تَفعلي

(الخطيب : متعة الأديب ، ص ٨٨)

* * *

خبر الخليل وصديقه مع امرأةٍ

كان للخليل بن أحمد[4] صديق يُكَنّى أبا المُعَلَّى (مَوْلى لبني يَشْكُر) وكان أَصلع شديد الصَّلَع ، فبَيْنا هو والخليل جالسان عند قصر أَوْس إذ مرّت بهما امرأة يقال لها أمّ عثمان من وُلْد المُعارِك بن عثمان ومعها بناتٌ لها ، فقال

---

(١) العُتْبي (ت ٢٢٨ هـ / ٨٤٢ م) .
هو محمد بن عبد الله من بني عُتبة ، كثير الأخبار والرواية ، له شعر حسن (الزركلي : أعلام ، ٧/ ١٣٩) .

(٢) البعل : الزوج .

(٣) وصلها : الوصول اليها .

(٤) الخليل بن أحمد (١٠٠ هـ / ٧١٨ م - ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م) .
هو الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي من أئمة اللغة والأدب وواضع علم العروض ومعجم العَيْن (الزركلي : أعلام ، ٢/ ٣١٤) .

أبو المعلّى للخليل : يا أبا عبد الرحمن ، ألا تكلّم هذه المرأة ! قال : ويحك ! لا تفعل ، فإنّهنّ أعدُّ شيءٍ جواباً ، والقول إلى مثلك يُسْرِع . فجلسنَ يَتروّحْنَ[1] ، فقال لأمّهن : يا أَمَة اللّه ، أَلكِ زوج ؟ قالت : لا واللّه ولا لواحدةٍ منّا ، قال : فهل لَكُنّ في أزواج ؟ قالت : وَدِدْنا والله ، قال : فأنا أتزوّجكِ ويتزوّجُ هذا إحدى بناتكِ ، فقالت له : أمّا أنتَ فقد ابتلاكَ اللّه ببلاءَيْن : أمّا أحدهما فإنّه قد قرعَ رأسك بمِسْحاةٍ[2] ، وجعل لكَ عِقْصَة[3] في قَفاكَ بيضاء ، فكأنّما صارت في قَفاكَ نُخامة[4] ، فبلغَ من نُوككَ[5] أنّك خَضبتها[6] بحمرةٍ ، فلو كنتَ إذ ابتُليتَ خَضَبْتَ بسوادٍ فغطّيتَ عَوارِكَ[7] هذا الذي أبداهُ منكَ ! ثمّ قالت له : أَظنّك من رَهْط[8] الأعشى ، فقال لها أبو المُعَلَّى : أنا مَوْلَى لبني يَشْكُر . قالت : أفتروي بيت الأعشى [9] :

وأَنْكَرَتْني وما كـان الذي نَكِـرَتْ   مِن الحوادثِ إلاّ الشَّيْبَ والصَّلَعا

فما بقي بعد ذلك إلاّ الموت هُزالاً .

(القالي : ذيل الأمالي ، ص ١٩٧)

* * *

---

(١) يتروحن : يطلبن الراحة .

(٢) المسحاة : الممسحة .

(٣) عقصة : ضفيرة الشعر .

(٤) النخامة : ما يدفعه الإنسان من صدره أو أنفه .

(٥) النوك : الحماقة .

(٦) خضبتها : دهنتها .

(٧) عوارك : عيبك .

(٨) رهط : عشيرة ، جماعة .

(٩) الأعشى (. . . - ٧/ هـ / ٦٢٩ م) .

هو ميمون بن قيس . أحد أصحاب المعلّقات (الزركلي : أعلام ، ٨/ ٣٠٠) .

لو كنتَ من أهل الوفاء ... !

وقالت امرأة تشكو زوجها :

يـا مَـن يُلذّذُ نـفسـهُ بـعـذابـي ويَـرى مُقـارَبتـي أَشـدَّ عـذابي
مهمـا يُـلاقِ الصـابـرون فـإنّهم يُؤتـونَ أَجـرَهم بغيـرِ حسـابِ
لو كنتَ مِن أهل الـوفاءِ وفيتَ لي إنّ الـوفـاءَ حُلَى أُولي الألبـابِ
ما زلتُ في استعطافِ قلبكَ بالهوى كـالمُـرْتَجي مَـطراً بغيـر سحـابِ
يا رحمتي لي في يديـكَ ورحمتي لي منكَ يا شَيْناً[1] مِن الأصحابِ
يا ليتني مِن قبلِ مُلْكِكَ عِصْمتي[2] أمسيتُ مُلْكـاً في يـدِ الأعـرابِ
هـل لي إليـكَ إسـاءَةٌ جازَيْتَهـا إلّا لِـبـاسـي حُـلّةَ الآداب ؟!

(يموت : شاعرات العرب ، ص ٢٠٣)

* * *

امرأة تشكو زوجها لعمر (رض)

أَتت امرأةٌ عمر بن الخطّاب (رض) فقالت : يا أمير المؤمنين ، إنّ زوجي يصومُ النهار ويقومُ الليل[3] ، وأنا أكره أن أشكوه وهو يعمل بطاعة الله ، فقال لها : نِعْمَ الزوجُ زوجك . فجعلت تكرّر عليه القول وهو يكرّر عليها الجواب . فقال له كَعْب الأسدي : يا أمير المؤمنين ، هذه المرأة تشكو زوجها في مباعدته إيّاها عن فراشه . فقال له عمر : كما فهمتَ كلامها فاقضِ بينهما . فقال كعب : عليّ بزوجها . فأُتِيَ به . فقال له : إنّ امرأتك هذه تشكوك . قال : أفي طعامٍ أو شراب ! قال : لا . فقالت المرأة :

(١) الشين : العيب .
(٢) ملكك عصمتي : عقد قراني عليك .
(٣) يقوم الليل : يمضي الليل قائماً يصلّي .

يـا أيُّهـا القـاضي الحكيمُ أرْشِـدُهْ   ألْهى خَليلي(1) عن فِراشِي مَسْجِدُهْ
زَهَّـدهُ فـي مَـضْـجَـعـي تَـعَـبُّـدُهْ   ولستُ فـي أمـرِ النسـاءِ أحْمَـدُهْ

فقال زوجها :

زَهِدْتُ في فراشِها وفي الحَجَلْ(2)   إنّي امْـرُؤٌ أذهلني مـا قـد نَـزَلْ
في سورةِ النملِ وفي السَّبْعِ الطِّوَلْ   وفي كتـاب اللّهِ تخويفٌ جَلَلْ(3)

فقال كعب :

إنَّ لهـا عليـكَ حقّـاً يـا رَجُـلْ
تُصيبهــا فـي أربــعٍ لِمَنْ عَقَـلْ
فـأعْـطِهــا ذاكَ وَدَعْ عنـكَ العِلَلْ

ثمّ قال : إنّ الله تعالى أحَلَّ لك من النساء مَثْنى وثُلاث وَرُباع ، فلكَ ثلاثة أيّامٍ بلياليهنَّ ولها يومٌ وليلة .

فقال عمر (رض) : لا أدري مِن أيّكم أعجب ، أمِن كلامها أم من حكمكَ بينهما ، إذهب فقد ولّيتكَ .

(ابن الجوزي : أخبار الأذكياء ، ص ٢٠٧)

* * *

حقّ المرأة على الرجل

وكتبت امرأة الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز إلى زوجها عمر لمّا اشتغل عنها بالعبادة :

---

(١) خليلي : زوجي .
(٢) الحجل : كناية عن النساء .
(٣) السبع الطّول : هي : البقرة ، آل عمران ، النساء ، المائدة، الأنعام ، الأعراف ، الأنفال .
الجلل : العظيم .

ألا يـا أيّهـا الملكُ الـذي قـد سَبى[1] عقلي وهـامَ بـه فُؤادِي
أَراكَ وَسِعْتَ كـلَّ النـاسِ عَـدْلاً وَجُـرْتَ[2] عليَّ مِن بين العبـادِ
وأعـطيتَ الـرعيَّـةَ كـلَّ فَضْـلٍ ومـا أعـطيتني غيـرَ السُّهـادِ[3]

فلمّا قرأ الأبيات صرف وجهَهُ إليها .

(زيدان : نوادر العشّاق ، ص ٢٣)

* * *

بين شاب وامرأة

خرج رجلٌ على سبيل الفُرْجَةِ فقعدَ على جسرِ دِجْلة . فأقبلت امرأة من جانب الرُّصافة[4] متوجّهةً إلى الجانب الغربي . فاستقبلها شابٌّ فقال لها : رحمَ اللّه عليّ بن الجَهْم[5] . فقالت المرأة في الحال : رحمَ اللّه أبا العَلاء المعرّي[6] ، وما وقَفا ، ومرّت مشَرِّقةً ومرَّ مُغرِّباً . فتبع الرجلُ المرأة وقال لها : إن لم تقولي ما قلتما وإلّا فضحتكِ وتعلّقتُ بكِ . فقالت : قال الشاب ، رحمَ اللّه عليّ بن الجَهْم ، أراد به قوله :

عُيون المُهَا[7] بينَ الرُّصافةِ وٱلْجِسْرِ جَلَبْنَ الهَوَى مِن حيثُ أَدرِي ولا أدري

---

(١) سبى عقلي : أسر عقلي بحبّه .
(٢) جرت عليّ : لم تعدل في معاملتي .
(٣) السهاد : الأرق .
(٤) الرُّصافة : تقع في الجانب الشرقي من بغداد ، بني فيها الخليفة العباسي المهدي وجعلها معسكراً له . (ياقوت : معجم البلدان ، ٣/ ٤٦) .
(٥) علي بن الجهم (. . . - ٢٤٩هـ/ ٨٦٣م) .
شاعر رقيق الشعر ، أديب من أهل بغداد (الزركلي : أعلام٥/ ٧٧) .
(٦) أبو العلاء المعرّي (٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م - ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م) .
هو أحمد بن عبد الله التنوخي المعرّي . شاعرٌ فيلسوف ، ولد ومات في معرّة النعمان (الزركلي : أعلام ، ١/ ١٥٧) .
(٧) المها : البقرة الوحشيّة ، يُشبَّه بها في جمال العينين .

وأردتُ أنا بترحُّمي على المعرّي قوله :

فيا دارَها بالحَزْنِ[1] إنّ مَزارَها ... قريبٌ ولكنْ دُونَ ذلكَ أهوالُ

(ابن الجوزي : أخبار الأذكياء ، ص ٢٢٣)

* * *

امرأة تحكّم الله بينها وبين عبد الملك !

قيل إن عبد الملك بن مروان[2] بعث بَعْثاً إلى اليمن فأقاموا سنين حتّى إذا كان ليلة وهو بدمشق قال : والله لأعسُّ[3] الليلة مدينة دمشق ولأسمعنّ الناس ما يقولون في المبعَث الذي أغزيتُ فيه رجالهم وأغرقتُ فيه أموالهم . فبينا هو في بعض أزقّتها[4] إذ هو بصرَ امرأة قائمة تصلّي ، فسمع إليها . فلمّا انصرفت إلى مضجعها قالت : اللهمّ يا غليظَ الحُجُب ويا منزّل الكتبِ ويا معطي الرُّغَبِ ويا مُؤْوي الغُرُب ويا مُسيّرِ البُخْت[5] أسألك أن تحكم بيني وبين عبد الملك بن مروان الذي فعل بنا هذا ، فقد صيّر الرجل نازحاً والمرأة متقلّبة على فراشها، ثمّ أنشأت تقول :

تَطاوَلَ هذا الليلُ فالعينُ تدمعُ ... وأرَّقَني حُزني فقلبي مُوجَعُ
فَبِتُّ أقاسي الليلَ أرعَى نجومَهُ ... وباتَ فؤادي عانياً يَتقرَّعُ
إذا غابَ منها كوكبٌ في مَغيبِهِ ... لمحتُ بعيني آخراً حين يطلعُ
إذا ما تذكّرتُ الذي كان بيننا ... وجدتُ فؤادي للهوى يتقطّعُ
وكلُّ حبيبٍ ذاكرٌ لحبيبهِ ... يُرجّي لِقاهُ كلَّ يومٍ ويطمعُ
فَذَا ٱلْعَرْشِ فَرِّجْ ما ترى من صَبابتي[6] ... فأنتَ الذي تَرعى أُموري وتسمعُ

(كحّالة : أعلام النساء ، ٥/ ٢٩٧)

* * *

---

(١) الحزن : اسم مكان .
(٢) هو الخليفة الأموي .
(٣) يعسّ : يطوف في الليل .
(٤) الأزقّة : الطرق الضيّقة .
(٥) البُخْت : الإبل .
(٦) الصبابة : الشوق .

الحجّاج وليلى الأخيلية

إنّ الحجّاج[1] قال لِلَيْلَى الأخيلية[2] لمّا وفدت عليه : إنّ شبابكِ قد هَرِمَ فولّى ، واضمحلّ أمرُكِ وأمرُ تَوْبة بن الحُمَيِّر[3] ، فأقسمُ عليك إلاّ ما صَدقتِني ، هل كان بينكما رِيبة قطّ ، أوخاطبكِ في ذلك قطّ ؟ فقالت : لا والله أيها الأمير ، إلاّ أنّه قال لي مرّةً كلمةً فيها بعض الخضوع ، فقلت :

وذِي حاجَـةٍ قلنـا له لا تَبُـحْ بها ... فليس إليهـا مـا حَيِيتَ سَـبيـلُ
لنـا صاحِبٌ لا ينبغي أن نخـونَهُ ... وأنتَ لأخـرى صـاحبٌ وخَليـلُ

فلا واللّه ما سمعتُ بعدها منه نغمةً فيها رِيبةً حتى فرّق الموتُ بيننا .

فقال لها الحجّاج . فما كان منه بعد ذلك ؟ فقالت : وجّهَ صاحباً له إلى حاضِرنا[4] فقال : إذا أَتيتَ الحاضرَ من بني عُبادة بن عُقيل ، فاعْلُ شَرَفاً[5] ثم اهتف بهذا البيت :

عَفَـا اللهُ عنهـا هَـل أَبيتنّ ليـلةً ... مِن الدهرِ لا يَسْـري إليَّ خيالُها!

فلما فعل الرجل ذلك ، عرفتُ المعنى فقلت :

وعنـهُ عَفَـا ربّي وأحسَنَ حِفْـظَهُ ... عـزيـزٌ علينـا حـاجـةٌ لا يَنَـالُهـا

(الأزدي : بدائع ، ص ٣٠)

* * *

(١) الحجّاج : هو الحجّاج بن يوسف الثقفي ، القائد الأموي المشهور .
(٢) لَيْلى الأخيلية . . . ـ نحو ٨٠هـ/ ٧٠٠م) .
هي ليلى بنت عبد الله الأخيلية . شاعرة فصيحة ذكيّة جميلة ، اشتهرت بأخبارها مع توبة بن الحُمَيِّر . قال لها عبد الملك بن مروان : ما رأى منكِ توبة حتى عشقك ؟ فقالت : ما رأى الناس منك حتى جعلوك خليفة (الزركلي : أعلام ، ٦/ ١١٦) .
(٣) توبة بن الحُمَيِّر (. . . ـ ٨٥هـ/ ٧٠٤م) .
هو توبة بن الحميِّر العُقَيلي العامري . شاعر من عشّاق العرب المشهورين (الزركلي : أعلام ، ٢/ ٨٩) .
(٤) الحاضر : حيّنا .
(٥) ... مكاناً مرتفعاً .

وكان أبو دَهْبل الجُمَحي الشاعر[1] جميلاً وضيئاً ، وكان عفيفاً ، فخرج إلى الشام ، فنزل جَيْرُونَ[2] ، فجاءته عـجوزٌ فقالت : إنَّ ابنةً لي وَرَدَهَا كتابٌ من حميمٍ لها وليس عندها أحدٌ يقرؤه، فَتَدْخُلُ إليها في هذا القصر فتقرؤه، فَتَحْتَسِبُ الأجرَ فيها . ففعلَ فدخلَ ، فأُغلق البابُ دُونَهُ ، وإذا امرأةٌ في القصر رأته فأَعجبها ، فدعته إلى نفسها ، فأبى ، فأمرتْ حَشَمَها في منزل الدار ومُنع من الطعام والشراب حتّى كاد يهلك ، ثم أمرت به فأُخرج ودعته إلى نفسها فأبى ، وقال : أمَّا الحرامُ فلا ، ولكن إن أردتِ أن أتزوّجكِ فعلتُ ، فقالت : نعم ، وأحسنتْ إليه حتى ردّتْ له رُوحَهُ ، فتزوّجته ومَنعتْهُ من الخروج حتى طال ذلك عليه . ثمّ قال لها ذات يومٍ : قد أَثِمْتُ في ولدي وأهلي ، فَأْذَني لي في أن أُطالعَهُمْ[3] وأرجعَ إليكِ ، فقالت : لا أستطيعُ فراقك ، فعاهدها ألاَّ يغيبَ عنها أكثر من ستة أشهر ، وأعطته مالاً كثيراً وغير ذلك . فخرج حتّى قدم على أهله بمكّة ، فوجدهم قد نُعِيَ لهم واقْتَسَم ولدُهُ ماله وزوّجوا بناته ووجد زوجته لم تأخذ من ماله شيئاً وبكتْ عليه حتى عَمِشَتْ ، فقال لبنيه : أمَّا أنتم فحظّكم ما أخذتم من مالي ، وقال لزوجته : هذا المال لكِ فاصْنعي به ما شئتِ ، وأقام عندها حتى قَرُبت المدّة ، ثمّ مضى إلى الشام ، فوجد زوجته الثانية قد ماتت حزناً عليه وأسفاً لفراقه .

(البرقوقي : دولة النساء ، ص ٣٧)

* * *

(١) أبو دَهْبَل الجمحي (. . . - ٦٣هـ/ ٦٨٢ م) .
هو وَهْب بن زمعة القرشي . أحد الشعراء العشّاق المشهورين من أهل مكّة (الزركلي : أعلام ، ٨/ ١٢٥) .

(٢) جيرون : قيل : هي دمشق ، وقيل : حصن في دمشق .

(٣) أطالعهم : أزورهم وأطّلع على أحوالهم .

العروس (الأسدة) !

قال مَعبد بن خالد الجَدلي : خطبتُ امرأةً من بني أَسد في زمن زياد بن أبي سفيان ، وكان النساء يجلسنَ لخطّابهنّ ، فجئتُ لأنظر إليها ، وكان بيني وبينها رُوَاق[1] ، فدعتْ بجفنةٍ[2] عظيمةٍ من الثَّريد[3] مكلّلةٍ باللحم ، فأتت على آخرها وألقت العظام نقيّة ، ثم دعت بشَنٍّ[4] عظيم مملوءٍ لبناً ، فشربته حتى أكفأَتْهُ[5] على وجهها ، وقالت : يا جارية ، ارفعي السَّجْفَ[6] ، فإذا هي جالسةٌ على جلد أَسد ، وإذا هي امرأة شابة جميلة ، فقالت : يا عبد الله أنا أَسَدَة من بني أَسد ، وعليّ جلد أَسد ، وهذا طعامي وشرابي ، فعلامَ ترى ؟ فإن أحببتَ أن تتقدّم فتقدّم ، وإن أحببتَ أن تتأخّر فتأخّر . فقلت : أستخيرُ اللّهَ في أمري وأنظر . قال : فخرجتُ ولم أَعُدْ .

(ابن عبد ربّه : العقد ، ٦/ ٩٤)

* * *

أصبّ من المتمنيّة !

رُوي أنّ عمر بن الخطّاب (رض) بينما كان ذات ليلةٍ يطوف في طرقات المدينة سمع امرأةً ، وهي تهتف من خِدرها[7] وتقول :

هل مِن سبيلٍ إلى خَمْرٍ فأشربَها   أَم مِن سبيلٍ إلى نَصْرِ بن حَجّاجِ

---

(١) الرواق : سقف في مقدّم البيت أو كساء مُرسل على مقدّم البيت من أعلاه الى الأرض .
(٢) جفنة : القصعة التي يوضع فيها الطعام .
(٣) الثريد : طعام من خبز تفتّه وتبلّه بالمرق .
(٤) الشنّ : قِربة صغيرة .
(٥) أكفأته على وجهها : أدارته على وجهها لتشربه .
(٦) السَّجف : السِّتر .
(٧) خدرها : بيتها .

إلى فَتىً مـاجِـد الأعـراقِ مُقْتَبـلٍ سَهْلِ المُحَيَّا كريمٍ غَيْرِ مِلْجَاجِ [1]
نَمَتْـهُ أعـراقُ صِـدْقٍ حين تَنْسِبُهُ أخي حِفَاظٍ عن المكروبِ فَرّاجِ [2]

فقال عمر : لا أرى معي رجلاً تهتف به العواتق[3] في خدورهنّ ، فسيّره إلى البصرة .

وخشيت المرأة التي سمع منها عمر (رض) أن يبدر إليها بشيء فدسّت[4] إليه أبياتاً تقول فيها :

قُلْ للإمامِ الذي تُخْشَى بَوَادِرُهُ[5] مَالي ولِلْخَمْرِ أو نصرِ بن حجّاجِ
إنّي عَنَيْتُ أبـا حَفْصٍ بغيرهمـا شُرْبَ الحليبِ وَطَرْفٍ فاترٍ ساجي [6]
إنّ الهـوى زَمّـهُ التقـوى فقيّـدهُ حتّى أقـرَّ بـإلْجَـامٍ وإسْـرَاجِ [7]
لا تجعـلِ الـظنَّ حقّـاً لا تَبَيَّنَـهُ إنّ السبيلَ سبيلُ الخائفِ الراجي

فبعث إليها عمر (رض) قد بلغني عنكِ خيرٌ ، إنّي لم أخرجه من أجلكِ ، ولكن بلغني أنّه يدخل على النساء فلستُ آمنهنّ ، وبكى عمر وقال : الحمد لله الذي قيّد الهوى وقد أقرَّ بألجامٍ وأسراج .

ويقال : لمّا أنشدت هذه الأبيات قالت لها امرأة معها : مَن نصرُ بن حجّاج ؟ قالت : رجلٌ وَدِدْتُ أنّه معي في ليلةٍ من ليالي الخريف في أطول ليلةٍ من ليالي الشتاء وليس معنا أحد . وشاع خبرها حتى ضربَ به المَثَلَ نساءُ المدينة وقلن : أصبُّ مِن المتمنيّة !

(ابن الجوزي : سيرة عمر ، ص ٧٤ - ٧٥)

* * *

(١) ماجد الأعراق : كريم الحسب والنسب . مقتبل : أي في أول شبابه . سهل المحيّا : بشوش الوجه . ملجاج : ملحاح .
(٢) أي يفرّج ويساعد المحتاجين .
(٣) العواتق : النساء .
(٤) دسّت اليه : بعثت إليه سرّاً .
(٥) بوادره : ما يصدر عنه عند الغضب .
(٦) الطرف الفاتر : العين المنكسرة الجفون الناعسة . العين الساجية : الساكنة الفاترة .
(٧) أي إن الهوى مقيّد بالتقوى ، كما تُقيّد الأفراس باللجم والأسراج .

أدْنَف مِن المُتَمَنّى

وكما قالوا في المدينة : أَصَبُّ من المتمنيّة ، قالوا بالبصرة : أَدْنَفُ[1] من المُتَمَنَّى ، وذلك أنّ نَصْر بن حجّاج لمّا ورد البصرة أخذ الناس يسألون عنه ويقولون : أين المُتَمَنّى الذي سيّره عمر؟ ثمّ إنّ نصراً لمّا نزل البصرة أنزله مُجاشع بن مسعود منزله ، لقرابته ، وأَخْدَمَه امرأته شُمَيْلَة ـ وقيل اسمها الخضراء ـ وكانت أجمل امرأةٍ بالبصرة ، فَعلِقَتْهُ وَعَلِقَها[2] ، وخفيَ على كلّ واحدٍ منهما ما بالآخر ، لملازمة مجاشع لضيفه . وكان مُجاشع أُميّاً ، ونَصْرٌ وشُمَيْلَة كاتِبَيْن ، فَعِيلَ صَبْرُ نَصْر ، فكتب على الأرض بحضرة مجاشع : إنّني أحببتكِ حبّاً لو كان فوقَكِ لأظلّكِ ، أو تحتكِ لأقلّكِ[3] ، فوقّعت تحته غيرَ محتشمةٍ ، وأنا والله كذلك . فكبَّ مُجاشِعٌ على الكتابة إناءً ، ثمّ أدخل كاتباً فقرأه ، فأخرج نصراً وطلّقها ، وقيل : إنّه قال لنَصْر : يابن عمّ ، ما سيّرَكَ عمر من خير ! قم فإنّ وراءَكَ أوسع لكَ . فنهض مُستحيياً ، وعدل إلى منزل بعض السُّلميين ، وَضَنِيَ[4] من حبّ شُمَيْلَة وَدَنِفَ حتّى صار رحمةً ، وانتشر خبره ، فضرب نساء البصرة به المثل فقلن : « أدنف مِن ٱلْمُتَمَنّى » . ثمّ إنّ مُجاشعاً وقف على خبر علّة نَصْر ، فدخل عليه عائداً ، فلحقته رِقّة لِما رأى به من الدَّنَف ، فرجع إلى بيته وقال لشُمَيْلة : عزمتُ عليكِ لمّا أخذتِ خبزاً فَلَبَكْتِهِ[5] بسَمْنٍ ثمّ بادرتِ به إلى نَصْر . فبادرت به إليه ، فلم يكن به نهوضٌ ، فضمّته إلى صدرها وجعلت تُلْقمه بيدها ، فعادت قواه وَبَرَأ كأن لم تكن به قَلَبَةٌ[6] فقال بعض عُوّاده[7] : قاتل الله الأعشى حيث يقول :

---

(١) الدنف : المرض الثقيل الملازم .

(٢) علقها وعلقته : تعلّق بها وتعلقت به ، أي تبادلا المحبّة .

(٣) أقلّك : حملك .

(٤) ضني : ضعف ومرض .

(٥) لبكه : خلطه .

(٦) القَلَبَة : الداء الذي يتقلّب منه صاحبه على فراشه .

(٧) عوّاده : زوّاره .

لـو أَسْنَـدَتْ مَيْتـاً إلى نَحْـرِهـا   عـاشَ ولم يُنْقَـلْ إلى قـابِـر[1]

فلمّا فارقته عادَه النُّكْسُ[2] . ولم يزل يتردَّد في عِلّتِهِ حتى مات منها .

(ابن قيّم الجوزية : روضة المحبّين ، ص ٣٧٦)

* * *

سُكينة تحكمُ بين الشعراء

حُكي انّه اجتمع رواةُ جَرير وكُثيِّر وجميل ونُصيب والأحوص ، فافتخر كلٌّ منهم بصاحبه ، وقال : صاحبي أشعر ! ثم تراهَنُوا بسُكَيْنَة بنت الحسين لِما يعرفون من عقلها ونفاذتها[3] في الشعر . فخرجوا حتّى استأذنوا عليها وذكروا لها ما كان من أمرهم . فقالت لراوية جرير[4] : أليس صاحبك الذي يقول :

طَرَقَتْكَ صـائِدَةُ القلوبِ وليس ذا   وقتَ الـزيـارةِ فـارجعي بسـلامِ

وأيّ ساعةٍ أحلى للزيارة من الطروق[5] ؟ قبّح الله صاحبك وقبّح شعره . أفلا أخذ بيدها ورحّب بها وقال : فادخلي بسلام ، فهو رجل عفيف .

ثمّ قالت لصاحب كُثيِّر[6] : أليس صاحبك الذي يقول :

يقـرُّ بعيني مـا يقـرُّ بـعينهـا   وأحسنُ شيءٍ ما به العينُ قـرَّتِ

وليسَ شيءُ أقرَّ لِعينها من النكاح ، أفيحبُّ أن يُنْكَحَ ؟ قَبّحه الله وقبّح شعره !

---

(١) النحر : أعلى الصدر . قابر : قبر .

(٢) النكس : الانتكاس والمرض .

(٣) نفاذتها في الشعر : تقدّمها في فهم الشعر ونقده .

(٤) جرير : هو الشاعر جَرير بن عطيّة التميمي (٢٨ هـ / ٦٤٠ م - ١١٠ هـ / ٧٢٨ م) .

(٥) الطروق : المجيء ليلاً .

(٦) كثيّر : هو الشاعر كُثَيِّر عَزّة (. . . - ١٠٥ هـ / ٧٢٣ م) .

ثمّ قالت لراوية جميل[1] : أليس صاحبك الذي يقول :

فَلَوْ تَـرَكَتْ عقلي معي مـا طَلَبْتُهَـا ... ولكن طِلاَبِيها لِمـا فاتَ مِن عَقْلي

فما أرى صاحبك هَوِي وإنّما طلب عقله ، قبّحه اللّه وقبّح شعره !

ثمّ قالت لراوية نصيب[2] : أليس صاحبك الذي يقول :

أهيمُ بِـدَعْـدٍ مَـا حَيِيْتُ وإنْ أَمُتْ

فَوَاحَـزَنـي مَنْ ذَا يَـهِيمُ بِـهـا بَـعْـدِي

فما له هِمّة إلاّ مَن يتعشّقها بعده ! قبّحهُ الله وقبَّحَ شعره ! ألا قال :

أهـيـمُ بِـدَعْـدٍ مـا حـييـتُ وإن أَمُـتْ

فـلا صَلَحَتْ دَعْـدُ لِـذِي خَلّةٍ بَعْـدِي

ثمّ قالت لراوية الأحوص[3] : أليس صاحبك الذي يقول :

مِن عـاشِقَيْن تَـوَاعَـدَا وَتَـرَاسَـلا ... لـيـلاً إذا نَجْـمُ الـثُـريَّـا حَـلَّقـا

بـاتـا بـأنْـعَـمِ لَـيْـلَةٍ وَألَـذِّهـا ... حتّى إذا وَضَـحَ الصباحُ تَفَـرّقـا

قبّحه الله وقبّح شعره ! ألاّ قال : تعانقا ؟

فلم تُثْنِ على واحدٍ منهم ولم تقدّمهم .

(الصفدي : الوافي ، ١٥/ ٢٩٣ . كحالة : أعلام النساء ، ٢/ ٢٠٥)

* * *

سُكينة وأحد العلماء

قيل : إنّها وقفت على عُرْوة بن أُذَيْنة[4] ، فقالت له : أنت القائل :

---

(١) جميل : هو الشاعر جميل بُثَيْنة العُذْري (. . . ـ ٨٢ هـ / ٧٠١ م) .

(٢) نصيب : هو نُصَيْب بن رباح (. . . ـ ١٠٨ هـ / ٧٢٦ م) .

(٣) الأحوص : هو الشاعر عبد الله بن محمد الأنصاري (. . . ـ ١٠٥ هـ / ٧٢٣ م) .

(٤) عُروة بن أُذَيْنة (. . . ـ نحو ١٣٠ هـ / ٧٤٧ م) . هو عروة بن يحيى (ولقبه أذينة) بن مالك =

إذا وَجَدْتُ أُوارَ[1] الحبِّ في كَبدي
أقبلتُ نحــو سِقــاءِ المــاءِ أَبْتَــرِدُ
هَبْني بَـرَدْتُ ببـردِ المــاءِ ظـاهـرُه
فمَن لنــارٍ على الأحشـاءِ تَتَّقِـدُ[2]

فقال لها : نعم . فقالت : وأنت القائل :
قــالَتْ وأَبْثَثْتُهـا سِــرِّي فَبُحْتُ بــهِ
قد كنتَ عندي تحبُّ السِّتْرَ فاسْتَتِرِ
أَلستَ تُبصرُ مَن حَوْلي ؟ فقلتُ لها :
غَطِّي هَواكِ ومـا أُلقي على بَصرِي

فقال : نعم . فالتفتت الى جَوارٍ كنّ حولها وقالت : هُنّ حَرائر إن كان خرج هذا من قلبٍ سليمٍ قطّ !

(ابن خلكان : وفيات ، ٢/ ٣٩٤)

* * *

زوج الاثنتين

قيل لأعرابي مَن لم يتزوّج امرأتين لم يذق حلاوة العيش ، فتزوّج امرأتين ، ثمّ ندم . فأنشأ يقول :

تَـزَوّجتُ اثنتيـنِ لِفَـرْطِ جَهْلي   بمــا يَشْقَى بــهِ زوجُ اثـنتيـنِ
فقلـتُ أَصيـرُ بينهمــا خَروفـاً   أُنَعَّمُ بيـن أَكـرمِ نَـعْـجَـتَـيْـنِ

= الليثي . كان من أعيان العلماء وكبار الصالحين ، كما كان شاعر غزل مقدّم ، من أهل المدينة (الزركلي : أعلام ، ٥/ ١٨) .
(١) أوار الحب : شدّته .
(٢) تتّقد : تشتعل .

فصـــرتُ كنعجـةٍ تُضْحي وتُمْسي ... تُـداوَلُ[1] بـينَ أخبثِ ذِئـبتيـنِ
رِضـا هٰـذي يُهَيِّـجُ سُخْطَ هٰـذي ... فما أَعْرَى[2] مِن احدى السَّخْطَتَيْنِ
وأَلقَى في المعيشـةِ كـلَّ ضُـرٍّ ... كـذاكَ الـضُّـرُّ بيـن الضَّـرَّتَيْـنِ
لـهـذِي لـيلةٌ ولـتـلكَ أُخْـرَى ... عِـتـابٌ دائـمٌ فـي الـليـلتيـنِ
فـإن أحببتَ أن تبقى كـريـمـاً ... مِـن الخيـراتِ مملوءَ اليَـدَيْـنِ
فعِشْ عَـزَبـاً ، فـإن لم تستـطعْـهُ ... فَضَـرْباً في عِـراضِ الجَحْفَلَيْنِ[3]

(القالي : أمالي ، ٢/ ٣٥
القرطبي : بهجة المجالس ، ص ٤١)

* * *

الأعرابي ونسوته الأربع

كان أعرابيٌّ عنده أربع نِسوة : كِنْديّة ، وغسّانيّة ، وشيبانيّة ، وغَنَويّة ، والأعرابي غسّاني . وكُنَّ متظاهراتٍ[4] على الغَنويّة ، فجمع بينهنّ حتّى تَشَاتَمْنَ ، ثمّ قال : لتقلْ كلّ واحدةٍ منكنّ قولاً تصف به نفسها . فقالت الكندية :

كـأنّي جَنَى النحلِ والـزنجبيل ... وصفـوُ المُدامـةِ والسلسبيل[5]
يزيدُ سَنَـا[6] الوجـهِ لي مَبْسَمٌ ... كمثـلِ الـلآلىء وعينٌ كَحيـل

(١) تداول : تعاقب ، أي تنتقل من واحدةٍ لأخرى .
(٢) أعرى : أتخلّص ، أنجو .
(٣) الجحفلين : الجحفل : الجيش الكثير . ويقول شارح الأمالي : عراض : مصدر عارضَ . وعارض الجحفل معارضةً وعِراضاً : إذا التقيا . يقول : تعرّض للموت والشهادة كي تستريح .
(٤) متظاهرات : متعاونات .
(٥) جنى النحل : العسل . الزنجبيل : نبات طيّب الرائحة . المدامة : الخمر . السلسبيل : الماء العذب .
(٦) سنا : ضياء ، جمال .

وقالت الغسّانية :

بَـراني إلهـي إلـهُ السمـاءِ　　نِصْفـاً قَضيبـاً ونِصفـاً كَثيبـا[1]

وألْبسني مـا يَسـوءُ الحسـودَ　　جمـالاً ومِلْحـاً وحُسنـاً عَجيبـاً

وقالت الشيبانية :

أفـوقُ النسـاءَ إذا مـا اجتمعنَ　　كبدرِ السماءِ نُجـومَ الدُّجى[2]

ويقصـرُ عنّي جميـعُ الصفـاتِ　　فمَن نـالني نـالَ كـلَّ الْـمُنَى

وقالت الغنوية :

تـزوَّدْ بـعينـكَ مِن بَـهْجَتي　　فقـد خلقَ اللّه منّي الجَمـالا

إذا مـا تفـرَّسْتَ في رُؤْيتـي　　رأيتَ هِـلالاً وأَحْوَى غَـزالا[3]

(الأبشيهي : المستطرف ، ١/ ١٣٥)

* * *

الشاعر الذي تزوّج أربع نسوة

قال الحجّاجُ[4] يوماً وعنده أصحابه : أما إنّه لا يجتمع لرجل لذّةٌ حتى تجتمع أَربع حَرائر[5] في منزله يتزوّجهن ، فسمع ذلك شاعرٌ من أَصحابه يقال له الضحّاك ، فعمد إلى كلِّ ما يملك فباعه وتزوّج أَربع نِسوةٍ ، فلم توافقه واحدةٌ منهن ، فأَقبل إلى الحجّاج فقال : سمعتُك ـ أصلحك الله ـ تقول : لا تجتمع لرجلٍ لذّة حتى يتزوّج أَربع حرائر ، فعمدتُ إلى قليلي وكثيري فبعتُه وتزوّجتُ أَربعاً فلم توافقني واحدةٌ منهن : أَمّا واحدةٌ منهن فلا تعرفُ الله ولا

---

(١) براني : خلقني ربّي ممشوقة القوام من أعلى ومكتنزة من أسفل .
(٢) الدجى : الليل المظلم .
(٣) تفرّست : نظرت بإمعان . الأحوى : من به حَوى ، وهي سمرة في الشفة .
(٤) الحجّاج : هو الحجّاج بن يوسف الثقفي ، القائد الأموي المشهور .
(٥) حرائر : لَسْنَ من الجواري .

تُصلّي ولا تصوم ، والثانية حمقاءُ لا تَتمالك ، والثالثة مُذَكَّرةٌ مُتَبَرِّجة[1] ، والرابعة وَرْهاء[2] لا تعرف ضَرَّها مِن نفعها ، وقد قلتُ فِيهن شعراً ، قال : هاتِ ما قلتَ للَّه أبوك ! فقال :

تَزَوَّجْتُ أَبْغي قُرَّةَ[3] العَيْنِ أربعاً ... فيا ليتني واللَّهِ لم أَتَزَوَّجِ
وَيا ليتني أَعْمَى أَصَمُّ ولم أَكُنْ ... تزوّجتُ بل يا ليتني كنتُ مُخْدَجُ[4]
فواحدةٌ لا تعرفُ اللَّهَ ربَّها ... ولم تَدْرِ ما التقوى ولا ما التحرُّجُ
وثانيةٌ حمقاءُ تَزْني مَخافةً ... تُواثِبُ مَن مَرَّتْ به لا تُعَرِّجُ
وثالثةٌ ما إن تُوارى بثوبها ... مذكَّرَةٌ مشهورةٌ بالتبرُّجِ
ورابعةٌ وَرْهاءُ في كلّ أمرها ... مُفَرَّكَةٌ[5] هَوْجاءُ مِن نَسْلِ أَهْوَجِ
فهنَّ طلاقٌ كُلُّهنّ بَوائنٌ ... ثلاثاً بَتاتاً فَاشْهدوا لا أُلَجْلِجُ[6]

فضحك الحجّاج وقال : ويلكَ كم مَهْرَتَهُنّ ؟ قال : أربعة آلاف أيّها الأمير ، فأمر له باثني عشر ألف درهم .

(القالي : ذيل الأمالي ، ص ٤٧)

* * *

وصيّة للزواج

ومما قيل في وصايا الزواج ، أنّ رجلاً قال لابنه يُوصيه : يا بنيّ ، إيَّاكَ

---

(١) متبرّجة : كثيرة التزيّن .
(٢) ورهاء : كثيرة الشحم .
(٣) قرّة العين : أي ما تقرّ به العين وتُسرّ .
(٤) مخدج : ناقص الخِلْقة . في هذا البيت وما بعده إقواء ، وهو اختلاف حركة الرويّ في الإعراب ، ويُدرج في عيوب القافية في علم العَروض .
(٥) المفرَّكة : المرأة التي يكرهها الرجال .
(٦) بوائن : أي طلاق نهائي لا رجعة عنه . لا ألجلج : لا أتردّد .

والرَّقُوبُ(1) الغَضُوبُ(2) القَطُوبُ(3) ، الْغَلْبَاءُ الرَّقْبَاءُ(4) ، اللّفُوتُ(5) ، الشوساءُ(6) ، المنّانةُ(7) ، الأنّانةُ(8) ، الحنّانةُ(9) . واعلم أنّ من النساء جماعاً يجمع ، وربيعاً تَرْبَع ، وخروجاً تَطْلُع ، تُوهي الخَرْقَ(10) ولا تَرْقَعُ .

(ثعلب : مجالس ، ١/ ٢٥٧)

* * *

النساء وأعمارهن !

اجتمع خالد بن صَفوان(11) وأناسٌ من تميم في جامع البصرة وتذاكروا النساء ، فجلس إليهم أعرابي من بني الْعَنْبَر ، فقال العنبري : قد قلتُ شعراً فاسمعوا :

إنّي لمُهْدٍ للنّساءِ هَديَّةً   سيَرضَى بها غُيَّابُها وشُهودُها

(١) الرقوب : التي تراقبه أن يموت فترثه .

(٢) الغضوب : التي تغضب لأتفه الأشياء .

(٣) القطوب : الدائمة العبوس .

(٤) الغلباء الرقباء : الغليظة الرقبة .

(٥) اللفوت : التي عينها لا تثبت في موضعٍ واحدٍ ، إنّما همّها أن يغفل عنها فتغمز غيره .

(٦) الشوساء : المتكبّرة ، المتعجرفة .

(٧) المنّانة : التي تمنّ على زوجها بمالها .

(٨) الأنّانة : الكثيرة الأنين .

(٩) الحنّانة : التي تحنّ إلى زوجها السابق .

(١٠) توهي الخرق : تزيد الخرق اتساعاً .

(١١) خالد بن صفوان (... ـ نحو ١٣٣ هـ / نحو ٧٥٠ م) .
هو خالد بن صَفْوان بن الأهتم التميمي . كان من فصحاء العرب المشهورين ، ويجالس عمر ابن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك ، وله معهما أخبار (الزركلي : أعلام ، ٢/ ٢٩٧) .

إذا مـا لَقِيتُمْ بنتَ عَشْرٍ فـإنّها ... قليلٌ إذا تَلْقَى الحَزوَّرَ(1) جُودُها
يَمُـدُّ إليها بـالنَّوالِ فَتَـأْتَلِي(2) ... وَتَلْطِمُ خَـدَّيْها إذا يَستـزيـدُها
ولكن بنفسي ذاتُ عشرينَ حِجَّةً ... فتلك التي أَلْهُـو بها وأُريـدها
وذاتُ الثلاثينَ التي ليس فوقَها ... هي النَّعْتُ(3) لم تَكْبَرْ ولم يَعْسُ عُودُها
وصـاحبُ ذاتِ الأربعينَ بِغِبْطَةٍ ... وخيرُ النساءِ سَرْوُها وخُرودُها(4)
وصاحبةُ الخمسينَ فيها منافعُ ... ونِعْمَ المَتـاعُ لِلْمُفيـد يُفيـدُها
وصـاحبةُ الستِّين تَغْـدو قَويّةً ... على المالِ والإسلامِ صُلْبٌ عَمُودُها
وإمَّـا لَقِيتُمْ ذاتَ سبعينَ حِجَّـةً ... هَـدِيّاً فقلْ ها خَيْبَـةٌ يَستفيـدُها
وذاتُ الثمانينَ التي قد تَسَعْسَعَتْ ... مِن الكِبَرِ العاسِي وناسَ وَرِيدُها(5)
وصاحبةُ التسعينَ فيها أَذىً لهم ... فَتَحْسَبُ أَنَّ الناسَ طُرّاً(6) عَبيدُها
وإنْ مِـائةٌ أَوْفَتْ لأُخرى فَجِئْتَها ... تجدْ بيتَها رَثّـاً(7) قصيراً عَمـودُها

فقال خالد : للّه دَرّك ! لقد أتيتَ على ما في نفوسنا .

(القالي : ذيل الأمالي ، ص ٣٣)

* * *

عبّاس والجارية

خرج أُناسٌ من بني حنيفة يتنزّهون إلى جبل لهم ، فبَصِرَ فتىً منهم يقال له عبّاس بجاريةٍ فهوِيَها ، وقال لأصحابه : واللّهِ لا أنصرف حتّى أُرسل إليها ، فطلبوا إليه أن يكفّ وأن ينصرف معهم فأبى ، وأقبلَ يُراسل الجارية حتى وقع

(١) الحزوّر : الغلام إذا اشتدّ وقوي .
(٢) تأتلي : تقصّر .
(٣) هي النعت : هي الوصف المطلوب .
(٤) السرو : المروءة ، الفضل . الخرود : الحياء .
(٥) تسعسعت : ظهرت علامات الكبر عليها .
ناس وريدها : جفّ وريدها .
(٦) طُرّاً : جميعاً .
(٧) الرثّ : السقط من متاع البيت .

في نفسها[1] . فأقبل في ليلة مقمرةٍ متنكّباً قوسه[2] وهي بين إخوتها نائمة ، فأيقظها ، فقالت : انصرف ، وإلّا أيقظتُ إخوتي فقتلوكَ . فقال : والله ، لَلْموتُ أيسر ممّا أنا فيه . ولكن للّه عليّ إن أعطيتني يدكِ حتّى أضعها على فؤادي أن أنصرف . فأمكنتهُ من يدها ، فوضعها على فؤاده ثمّ أنصرفَ . فلّما كان من القابلة[3] أتاها وهي في مثل حالها ، فقالت له مثل مقالتها ، وردّ عليها وقال : إن أَمْكَنْتِني من شفتيكِ أَرْشِفُهما[4] انصرفتُ لا أعودُ إليكِ . فوقع في قلبها منه مثل النار. وَنَذِرَ به الحيّ[5] ، فقالوا: ما لهذا الفاسق في هذا الجبل! انهضوا بنا إليه حتّى نخرجه منه . فأرسلت إليه : إنّ القوم يأتونك الليلة فاحذر . فلّما أمسى قعدَ على مَرْقَب[6] ومعه قوسهُ وأسهمهُ . وأصاب الحيَّ من آخر النهار مطرٌ وندىً فلَهَوْا عنه . فلّما كان في آخر الليل وذهب السحاب وطلع القمر خرجت وهي تريده وقد أصابها الطلّ[7] فنشرت شعرها وأعجبتها نفسها ومعها جارية من الحيّ ، فقالت : هل لكِ في عبّاس ؟ فَخَرَجَتا تمشيان ، ونظر إليهما وهو على المَرْقَب فظنَّ أنهما مِمّن يطلبه ، فرمى بسهم فما أخطأ قلب الجارية ففلقه ! وصاحت الأخرى فانحدر من الجبل وإذا هو بالجارية في دمها فقال :

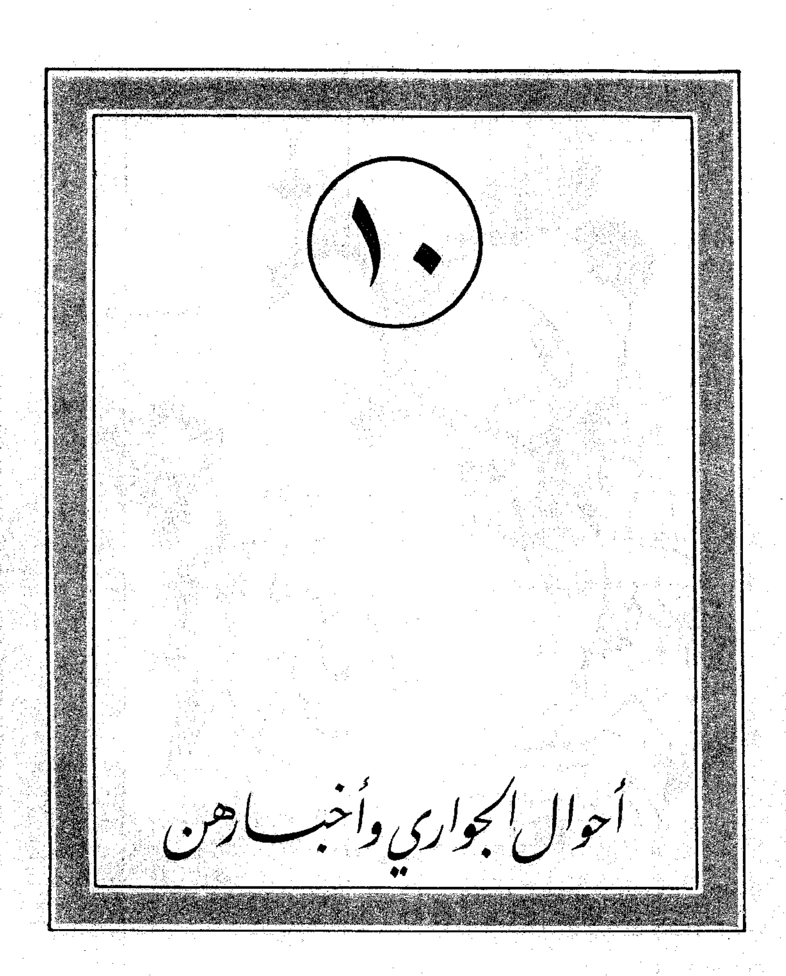
نَعَبَ الغرابُ بما كَرِهْـ ـتَ ولا إزالةَ لِلْقَدَرْ
تبكي وأنتَ قَتَلْتَها فَاْصبِرْ وإلّا فَاْنْتَحِرْ

ثمّ وَجَأ[8] في أوداجه[9] بمشاقصهِ[10]، وجاء الحيّ فوجدوهما مقتولَيْن .

(ابن قتيبة: عيون الأخبار، ٤ / ١٣٣)

* * *

(١) وقع في نفسها : أحبّته .
(٢) متنكّباً قوسه : ألقى قوسه على كتفه .
(٣) القابلة : الليلة القادمة .
(٤) رشف : مصّ .
(٥) ونذر به الحيّ : علموا به .
(٦) مرقب : موضع مرتفع يعلوه الرقيب .
(٧) الطلّ : المطر الخفيف .
(٨) وجأ : ضرب .
(٩) أوداج : مفردها وَدَج، وهو عِرْق العنق ينتفخ عند الغضب .
(١٠) المشاقص: جمع مشقص، وهو نصْل السهم إذا كان طويلاً غير عريض .



١٠

أحوال الجواري وأخبارهن



أشعب والجارية

كان أَشْعَب يختلف(١) إلى جاريةٍ في المدينة ، ويظهر لها التعاشُق ، إلى أن سألته يوماً سُلْفةً(٢) بنصف درهم ، فانقطعَ عنها ، وكان إذا لقيها في الطريق سلك طريقاً أخرى . فصنعت له نشوقاً(٣) وأقبلت به إليه . فقال لها : ما هذا ؟ قالت : نَشُوقٌ عملته لك لهذا الفزع الذي بِكَ ، فقال : اشربيه أنتِ للطمع . فلو انقطعَ طمعكِ انقطع فَزَعي ، وأنشأ يقول :

أَخْلِفي ما شئتِ وَعْدِي وآمْنَحِيني كلَّ صَدٍّ
قد سَلاَ(٤) بعدكِ قلبي فـآعشقي مَن شئتِ بَعْدي
إنّني آليتُ لا أعـ ـشَقُ مَنْ يعشقُ نَقْدي

(الخطيب : متعة الأديب ، ص ٩٦)

* * *

(١) يختلف : يتردد ، يأتي .
(٢) سلفة : قرض .
(٣) نشوق : كلّ دواء يُنشق عن طريق الأنف .
(٤) سلا : هجرَ .
(٥) آليتُ : أقسمتُ .

الدينار والدرهم

وقال أشعب : جاءتني جارية بدينار وقالت : هذا وديعةٌ[1] عندك . فجعلته بين ثَنْي الفِراش . فجاءت بعد أيامٍ تنظر الدينار ، فقلت : ارفعي الفراش وخذي ولده ، وكنتُ تركتُ إلى جانبه درهماً . فتركَتْ الدينار وأَخذت الدرهم ، وعادت بعد أيّام فوجَدتْ معه درهماً آخر فأخذتْهُ ، وعادت في الثالثة كذلك . فلمّا جاءت الرابعة تَبَاكَيْتُ ، فقالت : ما يُبكيكَ ؟ فقلتُ : ماتَ الدينار في النِّفاس[2] ، فقالت : وكيف يكون للدينار نِفاس ؟ فقلتُ : يا مائقة[3] ، تصدّقين بالولادة ولا تصدّقين بالنفاس !

(ابن شاكر الكتبي : فوات ، ١/ ٣٨)

* * *

الدراهم قبل الحبّ

قيل : إنّ بصرياً دخل مدينة بغداد مرّةً ، فلم يزل يمضي في محالّها حتى انتهى إلى قطيعة الربيع ، فإذا بجاريةٍ مشرفةٍ تنظر إلى الطريق فَهَوِيَها ، فلم يزل يكتب إليها فلا تجيبه . فكتب إليها يوماً رقعةً[4] يشكو فيها بثّه[5] وفي آخرها :

هل تعلمين وراءَ الحبِّ منزلةً تُدْني إليكِ فإنّ الحبَّ أقصاني

فكتبت إليه :

نَعم حبيبي وراءَ الحبِّ منزلةٌ بَذْلُ الدراهمِ يُرْضِي كلَّ إنسانِ

---

(١) وديعة : أمانة .

(٢) النفاس : ولادة المرأة .

(٣) مائقة : حمقاء .

(٤) رقعة : كتاب .

(٥) البثّ : أشدّ الشوق .

مَن زادَ في الوزنِ زِدْنا في محبّتِهِ ما يطلبُ الدهر إلاّ فضل رُجْحانِ[1]

(العاملي : المخلاة ، ص ٥٥)

* * *

القبيح المتغازل

قال أحدهم :

جـاريـةٌ أعـجـبـهـا حُـسـنـهـا ومثلهـا فـي النـاسِ لـم يُخـلقِ

قـلتُ لهـا : إنّي محبٌّ لـهـا فـأقبلت تضحـكُ مِن منـطقـي

والـتـفـتَـتْ نـحـو فـتـاةٍ لـهـا كـأنّهـا الـرَّبْـرَبُ في القُـرْطُقِ[2]

قـالت لهـا : قُـولي لهـذا الفتى أُنـظُرْ إلـى وجهـكَ ثـمّ اعشـقِ

(البرقوقي : دولة النساء ، ص ٤٥٣)

* * *

ابن جامع وجارية

قال ابن جامع[3] : لحقتني ضائقة شديدة بمكّة فانتقلتُ إلى المدينة ، فخرجتُ ذاتَ يومٍ وما أملكُ إلاّ ثلاثة دراهم ، وإذا بجارية على رقبتها جرّة تريد الرّكيّ[4] وهي تقول :

---

(١) رجح الميزان : مالَ .

(٢) الربرب : القطيع من الغزلان ، ومن بقر الوحش .
القرطق : جاء الغلام وعليه قرطق أبيض أي قَبَاءٌ ، وهو تعريب كُرْتَهْ (ثوب يُلبس فوق الثياب) .

(٣) ابن جامع (. . . - ١٩٢هـ / ٨٠٨م) .
هو إسماعيل بن جامع السهمي القرشي . من أكابر المغنّين الملحّنين . كان من أحفظ الناس للقرآن ، متعبّداً كثير الصلاة (الزركلي : أعلام ، ١/ ٣١١) .

(٤) الركي : موضع في جوار المدينة فيه ماء .

شَكَوْنا إلى أحبابنا طولَ ليلنا فقالوا لنا : ما أقصرَ الليلَ عندنا!
وذاكَ لأنّ النومَ يَغْشَى عُيونهم سِراعاً ولا يغشى لنا النومُ أَعْيُنَا[1]
إذا ما دَنا الليلُ المُضِرُّ بِذي الهَوى جَزِعْنا وهم يستبشرونَ إذا دَنا
فلو أَنَّهم كانوا يُلاقونَ مِثلما نُلاقي لكانوا في المضاجعِ مِثْلَنا

قال : فأخذ غناؤها بقلبي ولم يَدُرْ لي منه حرف . فقلت : يا جارية ، ما أدري أوجهكِ أحسنُ أم غناؤكِ ؟ فلو شئتِ أعدتِ . قالت : حبّاً وكرامةً . ثمّ أسندت ظهرها إلى جدار وانبعثت تغنّيه ، فما دار لي منه حرف . فقلتُ : لو تفضّلتِ مرّةً أخرى ! فقطّبت وكَلَحت[2] وقالت : ما أعجب أمركم ! يجيء الواحد منكم إلى الجارية عليها الضريبة فيشغلها عن ضريبتها ! فرميتُ لها بثلاثة دراهم ، فأخذتها وقالت : أحسبكَ تأخذ بهذا الصوت ألف دينار وألف دينار وألف دينار . ثمّ أعادته ففهمته . ثمّ سافرتُ إلى بغداد ، وآلَ[3] الأمرُ إلى أن غنّيتُ الرشيد بالأبيات فأعطاني ثلاثة أكياس في كلّ كيسٍ ألف دينار ، فتبسّمت . فقال : ما لك ؟ فأخبرته خبر الجارية .

(الصفدي : الوافي ، ٩/ ١٠٠)

* * *

الصولي والجارية

كان الصُّولي[4] يهوي جاريةً بِسُرَّ مَن رأى[5] يقال لها « سَاهِر » شُهر

(١) يغشي النوم عيونهم : يغلب عليهم النعاس فينامون .
(٢) قطّب : زوى ما بين عينيه . كلح : عبس وكشّر .
(٣) آل الأمر : وصل الأمر .
(٤) الصولي (١٧٦هـ / ٧٩٢م - ٢٤٣هـ / ٨٥٧م) .
هو إبراهيم بن العبّاس بن محمد بن صُول ، مَوْلى يزيد بن المهلّب بن أبي صُفرة ، الأديب ، الشاعر (المصدر ذاته) .
(٥) سُرّمَن رأى : قالوا كان اسمها القديم سامِيرا ، سميت بسامير بن نوح كان ينزلها لأن أباه أقطعه إياها . فلما استحدثها الخليفة المعتصم العباسي سمّاها سُرَّمَن رأى ، وهي اليوم سامرّاء (ياقوت : معجم البلدان ، ٣/ ٢١٥) .

بها ، وكان منزله لا يخلو منها . وقد طال العهد بينهما فملَّها ، وكانت شاعرة فكتبت إليه تعاتبه :

بـالله يـا نـاقِضَ الْعُهُـودِ بِمَنْ ... بـعـدكَ مـن أهـل وُدِّنـا أَثِـقُ
واسَـوْأَتـا مـا اسْتَحْيْتَ لي أَبـداً ... إنْ ذَكَـرَ العـاشِقـونَ مَن عَشِقـوا
لا غـرَّنـي كـاتِـبٌ لـه أَدَبٌ ... ولا ظَـريـفٌ مُـهَـذَّبٌ لَـبِـقُ
كـنتَ بـذاكَ الـلسـانِ تَخْتِلُـني ... دهـراً ولـم أَدْرِ أنّـه مَـلَقُ(1)

فاعتذر إليها وراجعها فلم ترَ منه ما تكره إلى أن فرّق الدهرُ بينهما بالموتِ .

(الصفدي : الوافي ، ٦/ ٢٧)

* * *

نُصَيْبُ والجارية

دخل نُصَيْبُ بن رباح(2) مَوْلَى عبد العزيز بن مروان(3) على يزيد بن عبد الملك(4) ، فقال له : حدّثني يا نُصيب ببعض ما مَرَّ عليك ، فقال : نعم ، يا أمير المؤمنين ! عُلّقْتُ(5) جاريةً حمراء ، فَمَكَثْتُ زماناً تُمنّيني بالأباطيل ،

---

(١) تختلني : تخدعني . مَلَق : تودّد غير صادق .
(٢) نُصَيْبُ (. . . - ١٠٨هـ / ٧٢٦ م) .
نصيب بن رباح ، أبو محجن ، مَوْلَى عبد العزيز بن مروان . شاعر فحل ، مقدّم في النسيب والمدائح (الزركلي : أعلام ، ٨/ ٣١) .
(٣) عبد العزيز بن مروان (. . . - ٨٥ هـ/ ٧٠٤م) .
عبد العزيز بن مروان بن الحكم . أمير مصر في حينه .
(٤) يزيد بن عبد الملك (٧١هـ/ ٦٩٠م - ١٠٥هـ/ ٧٢٤م) .
يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم . ولي الخلافة بعد وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز (رضي) .
(٥) علّقت جارية : تعلّقت بها وأحببتها .

فلمّا ألححتُ عليها ، قالت : إليكَ عنّي ، فواللّه لكأنّكَ مِن طَوارق[1] الليل . فقلت لها : والله ، لكأنّكِ من طوارق النهار . فقالت : ما أَظرفكَ يا أسود ! فغاظني قولها . فقلت لها : هل تدرينَ ما الظرف ؟ إنّما الظرف العقل ، ثمّ قالت لي : إنصرف حتى انظر في أمرك . فأرسلتُ لها هذه الأبيات :

فإنْ أَكُ حالِكاً فالمِسْكُ أَحْوَى[2] وما لسوادِ جِلْدي مِن دَواءِ
ولي كَرَمٌ عن الفحشاءِ ناءٍ[3] كبُعْدِ الأرض مِن جوِّ السماءِ
ومثلي في رِجالِكُمُ قليلٌ ومِثْلُكِ ليس يُعْدَمُ في النساءِ
فإن تَرْضَيْ فرُدِّي قولَ راضٍ وإن تَأْبَيْ فنحن على السَّواءِ

قال : فلمّا قرأت الشعر ، قالت : المال والشعر يأتيان على غيرهما ، فتزوّجتني .

(الأصفهاني : الأغاني ، ١/ ٣٥٤)

* * *

أبو الغُصْن وجارية

قال أبو الغصن[4] الأعرابي : خرجتُ حاجّاً ، فلمّا مررتُ بقُباءَ[5] تداعى[6] أهله وقالوا : الصقيلُ الصقيلُ[7] . فنظرتُ فإذا جارية ـ فتاةٌ ـ كأنّ وجهها سيفٌ

(١) طوارق الليل : مصائبه التي تأتي فجاة .
(٢) أحوى : أسود مائل إلى خضرة أو حمرة .
(٣) ناء : بعيد .
(٤) أبو الغصن : كان جحا يسمّى بهذا الاسم .
(٥) قباء : قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكّة ، وفيها مسجد قُباء (ياقوت : معجم البلدان ، ٥/ ١١٢) .
(٦) تداعى أهله : أي دعا بعضهم بعضاً كي يجتمعوا .
(٧) الصقيل : المجلو ، ويقال للسيف الصقيل لجلائه ، وهم يشبّهون الجميل بالسيف المجلو .

صقيل ، فلمّا رميناها بالحدَق[1] ألقت البُرْقُع على وجهها فكأنّما غمامةٌ غطّت شمساً . فقلنا : إنّا سَفْرٌ[2] وفينا أجر ، فأمتعينا بوجهكِ ، فانْصَاعَتْ وأنا أعرف الضحكَ في وجهها وهي تقول :

وكنتَ مَتَى أرسلتَ طَرْفَكَ رائِداً لقلبكَ يوماً أتعبتكَ المناظِرُ[3]
رأيتَ الذي لا كُلُّهُ أنتَ قادِرٌ عليهِ ولا عن بعضِهِ أنتَ صابِرُ[4]

(البرقوقي : دولة النساء ، ص ٣٤)

* * *

يزيد حَوْراء والجارية

قال يزيد حَوْراء[5] : كنتُ أُجلس بالمدينة على أبواب قريش ، فكانت تمرّ بي جاريةٌ تختلف[6] إلى الزرقاء[7] تتعلم منها الغناء ، فقلت لها يوماً : افهمي قولي وردّي جوابي وكوني عند ظنّي ، فقالت : هاتِ ما عندك ، فقلت : باللّه ما اسمكِ؟ فقالت: مُمَنَّعة، فأطرقتُ طِيرةً[8] من اسمها مع طمعي فيها، فقلت: باذلة أو مبذولة إن شاء اللّه ، فاسمعي منّي ، فقالت وهي تتبسّم : إن كان عندكَ شيء فقل ، فقلت :

---

(١) رميناها بالحدق : أي نظرنا إليها بإمعان .
(٢) سفْر : مسافرون .
(٣) من أبيات حماسة أبي تمّام . والرائد : هو الذي يتقدّم القافلة ليتأمّل حال الماء والكلأ لهم . وقال رسول الله (ص) : « إنّ الرائد لا يكذب أهله » لأنّه إن كذبهم هلك معهم . وجعل العين رائداً للقلب لأن القلب يشتهي ما تستحسنه العين ويكره ما تستكرهه .
(٤) هذا تفصيل لما أجمله في قوله : أتعبتك المناظر ، يقول : رأيت أشياء كثيرة حسنة لا تصبر عنها ولا تقدر عليها .
(٥) يزيد حَوْراء : رجلٌ من أهل المدينة من موالي بني لَيْث بن بَكْر بن عبد مَنَاة بن كنانة . مغنٍّ محسن ، من طبقة إبراهيم المَوْصلي (الأصفهاني : الأغاني ، ٣/ ٢٥١) .
(٦) تختلف : تتردّد ، تأتي .
(٧) الزرقاء : مغنيّة مشهورة كانت تقيم في المدينة المنورة .
(٨) طيرةً : تشاؤماً .

لِيَهْنِكِ منّي أنّني لستُ مُفْشِياً
هواكِ إلى غيري ولو مِتُّ من كَرْبِ[1]
ولا مانِحاً خَلْقاً سواكِ مَودّتي
ولا قائلاً ما عشتُ مِن حبِّكم حَسْبي

قال : فنظرتْ إليَّ طويلاً ، ثم قالت : أنشُدُك اللّه ، أعن فَرْطِ محبّةٍ أم اهْتِياج غُلْمةٍ[2] تكلّمتَ ؟ فقلتُ : لا واللّه ،ولكن عن فَرْط محبّةٍ ، فقالت :

فواللّهِ ربِّ الناسِ لا خُنْتُكَ الهَوَى
ولا زلتَ مخصوصَ المحبّةِ مِن قلبي
فثِقْ بي فإنّي قد وَثِقْتُ ولا تكنْ
على غيرِ ما أظهرتَ لي يا أخا الحُبِّ

قال : فواللّه لكأنما أضْرَمَتْ[3] في قلبي ناراً ، فكانت تلقاني في الطريق الذي كانت تسلكه فتحدّثني وأتفرّج[4] بها ، ثم اشتراها بعض أولاد الخلفاء ، فكانت تُكاتبني وتُلاطفني دهراً طويلاً .

(الأصفهاني : الأغاني ، ٣/ ٢٥٥)

* * *

وَصْف جارية معلّى الطائي

حدّث أحدهم قال : أدركت معلّى الطائي بمصر وأعطي بجاريته « وَصْف » أربعة آلاف دينار ، فباعها . فلمّا دخل عليها قالت له : بعتني يا معلّمي ؟ قال : نعم . قالت : واللّهِ ، لو ملكتُ منك مثل ما تملكُ ما بعتكَ بالدنيا وما فيها . فردّ

(١) الكرب : المعاناة الشديدة .
(٢) الغلمة : شهوة الغلمان .
(٣) أضرمت : أشعلت .
(٤) اتفرّج بها : أفرّج بها عن نفسي .

الدنانير واستقال[1] صاحبه ، فأُصيب[2] بها بعد ثمانية أيّام ، فقال يرثيها :

يـا مـوتُ كيفَ سَلَبْتَني وَصْفَـا ... قَـدَّمْتَـها وتَـركْـتَـنـي خَـلْفَـا
هـلّا ذهبتَ بنـا معـاً! فلقـد ... ظَفِـرَتْ يـداكَ فَسِمْتَنِي خَسْفَـا[3]
وأخـذتَ شَقَّ النفسِ مِن بَـدَني ... فَقبـرتَـهُ وتـركـتَ لِيَ النِّصْفَـا
فعليـكَ بـالبـاقي بـلا أجـلٍ ... فـالمـوتُ بعـد وفـاتِهـا أعْفَـى

((ابن عبد ربّه : العقد ، ٢/ ٢٧)

* * *

وفاء جارية

قال الأصمعي عن أَبان بن تغلب[4] قال : أضللتُ إبلاً لي فخرجتُ في بَغَائها[5] ، فإذا أنا بجاريةٍ أَشرق[6] وجهها بصري ، فقالت : ما لكَ يا عبد اللَّه وما بُغْيَتُكَ ؟ قلت : أُضللتُ إبلاً لي فأنا في طلبها . فقالت : على مَن عِلْمُها عنده[7] .

قلتُ : إذن تستوجبي الأجر وتكتسبي الحمد والشكر .

فقالت : سل الذي أَعطاكهن فهو الذي أخذهن منك من طريق اليقين لا من طريق الاختيار ، فإنّه إن شاء فعل . قال : فأعجبني ما رأيتُ من عقلها وسمعتُ

---

(١) استقال صاحبه : طلب من صاحبه إعفاءَه من بيعها .
(٢) أصيب بها : أي ماتت .
(٣) سمتني خسفاً : أي أصبتني بما أكره ، وكلّفتني المشقّة .
(٤) أبان بن تغلب (. . . ـ ١٤١هـ/ ٧٥٨م) .
هو أبان بن تغلب البكري الجريري ، بالولاء . قارىء لغوي ، شيعي من أهل الكوفة
(الزركلي : أعلام ، ١/ ٢٦) .
(٥) بغائها : طلبها .
(٦) أشرق : أضاء ، أنار .
(٧) أي علمها عند الله .

من فصاحتها . فقلت لها : أَلكِ بعلٌ[1] ؟ فقالت : كان ونِعْمَ البعل . فقلت لها : فهل لكِ في بعل لا تُذَمُّ خلائقه ولا تُخاف بوائقه[2] ، قال : فأَطرقَتْ طويلاً ثم قالت :

كُنّا كَغُصْنَيْن في ساقٍ غِذاؤهما ... ماءُ الجداولِ في رَوْضاتِ جنّاتِ
فَاجْتُثَّ خَيْرُهما مِن أَصْلِ صاحبِهِ ... دهرٌ يَكِرّ بِفَرْحاتٍ وتَرْحاتِ[3]
وكان عاهَدني إنْ خانني زَمنٌ ... أَنْ لا يضاجِعَ أُنثى بعد مَثْواتي[4]
وكنتُ عاهدتُهُ أيضاً فعاجَلَهُ ... رَيْبُ المَنُونِ قريباً مُذْ سَنِيّاتِ
فاصْرِفْ عتابَكَ عَمّن ليس يَرْدَعُها ... عن الوفاءِ خِلابُ بالتحيّاتِ

(ابن أبي طاهر : بلاغات النساء ، ص ٥٣)

* * *

عِفّة الكاتب

عَتب عبد اللّه بن طاهر[5] على بعض كتّابه فسجنه في مقصورة[6] . فأَشرفت عليه جارية لعبد اللّه كانت حظيّةً[7] عنده ، فنظرت إلى الفتى وكان أديباً ، ووافَقَتْ نظرةً منه إليها ، فوقعَ في قلبها محبّةٌ شديدة ، وعالَجتْ الصبرَ عنه فلم تقدر عليه ، فأخذت رقعة وكتبت فيها :

---

(١) بعل : زوج .
(٢) بوائقه : شروره .
(٣) ترحات : أحزان وهموم .
(٤) مثواتي : وفاتي .
(٥) عبد الله بن طاهر (١٨٢هـ/ ٧٩٨م - ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م) .
هو عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي ، بالولاء أمير خُراسان ، ومن أشهر الولاة في العصر العبّاسي (الزركلي : أعلام ، ٤/ ٩٣) .
(٦) مقصورة : غرفة محصّنة .
(٧) حظيّة : مفضّلة ، مكرّمة .

أَيُّهـا الـزانـي بِـعَـيْـنَـيْـهِ وفـي الـطَّرْفِ حُتُـوفُ[1]
إنْ تُـرِدْ وَصْـلاً فـقـد أمـكـنـكَ الـظبـيُ الأُلُـوفُ

ثم دلّت إليه الرقعة بخيط ، فلمّا قرأها كتب فيها :

إنْ تَـرَيْـنـي زانـي الْـعَـيْـنَـيْنِ فـالـقلبُ عَـفـيـفُ
لـيس إلَّا الـنـظرُ الـفـاتِـكُ والـعـقـلُ ظَـريـفُ

فلمّا رأته الجارية يكتب في الرقعة جواباً فرحت ولم تشكّ أنّه فيها أرغب . فلمّا رفعَتْ الرقعةَ وقرأتها ساءَها ردُّهُ فقلبتها وكتبت في ظهرها :

قـد أردنـاكَ عـلى أنْ تـجـتـلي ظَـبْـيـاً أَلُـوفـا[2]
فـأبـيـتَ الآن لا زِلـتَ لـقَـيْـدَيْـكَ حَـلـيـفـا

ثم دلّتها ، فلمّا قرأها ، كتب فيها :

مـا تـركـتُ الـظبـيَ إنّـي كـنـتُ لِـلظبـي عـنـيـفـا
غـيـرَ أنّـي خِـفْـتُ ربّـاً لـم يـزلْ بَـرّاً[3] رَؤُوفـا

فرفعت الرقعة، فلما رأتها ساءَها ذلك ، فأومأت بها لتجعلها في جيبها ، فجعلتها بين ثوبها وهي لا تدري . ثمّ إنَّ الرقعة وقعت في يد عبد اللّه . فعجب مِن عِفّته وصبره عنها ، على حسنها وجمالها ، وكانت مِن أعزّ جواريه عليه . فلما استوضحها الخبر ، قالت : هو ما رأيتَ . قال لها : فاللّه عليك شاهد إنّه لأحَبُّ إليكِ منّي ؟ قالت : إي واللّه . فأمر بالفتى ففُكّت قيودُهُ وكساه وأجازه ، وقال له : خذ هذه الجارية بجميع ما يحويه مُلْكها ثواباً لعفّتكَ ونُقاكَ وخوفكَ اللّه تعالى . ورفع مرتبته مِن كتّابه ولم يزل مُكرماً له .

(التنوخي : المستجاد ، ص ٢٣٢)

* * *

---

(١) الحتوف : مفردها حتف ، وهو الموت .
(٢) الظبي الألوف : الغزال الأليف ، المؤنس ، وهي تقصد نفسها .
(٣) البر : العطوف ، المُحسن .

ومن أخبار الجواري ما كُنَّ يَكْتُبْنَهُ على جباههنّ ليزدنَ في حلاوتهنّ وملاحتهنّ، فقد كتبت إحداهنّ على عصابتها ثلاثة أسطر تقول :

إذا غَضِبَتْ رأيتَ الناسَ قَتْلَى ... وإن رَضِيَتْ فأرواحٌ تعودُ
لها في عَيْنها لَحظاتُ سِحْرٍ ... تُمِيتُ بها وتُحيي مَن تُريدُ
وتَسْبِي العالمينَ بمُقْلَتَيْها ... فكلُّ العالمينَ لها عبيدُ[1]

(الجاحظ : المحاسن والأضداد ، ص ١٥٦)

* * *

وكتبت وَصيف (جارية الطائي) على عصابتها :

فما زالَ يشكو الحبَّ حتّى حسبتُهُ ... تنفَّسَ في أحشائِهِ وتكلَّما
فأبكي لديهِ رحمةً لبكائهِ ... إذا ما بكى دمعاً بكيتُ له دَما

(زيدان ، نوادر العشّاق ، ص ٦)

* * *

وكتبت جارية الناطفي على عصابتها :

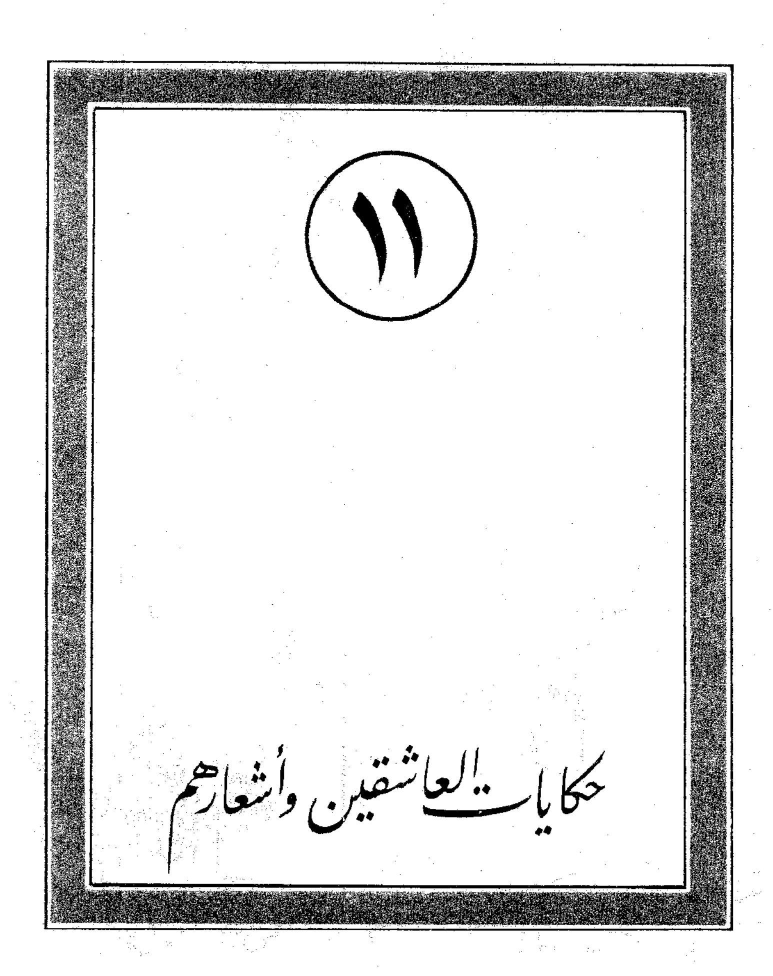
الهِنْدُ والسُّمْرُ في عيني إذا نظرتُ
فاْغْرُبْ بعينيكَ يا مغرورُ عن عَيْني[2]
فإنّ لي سَيْفَ لَحْظٍ لستُ أغْمِدُهُ
مِن صَنْعَةِ اللّه لا مِن صَنْعَةِ ٱلْقَيْنِ[3]

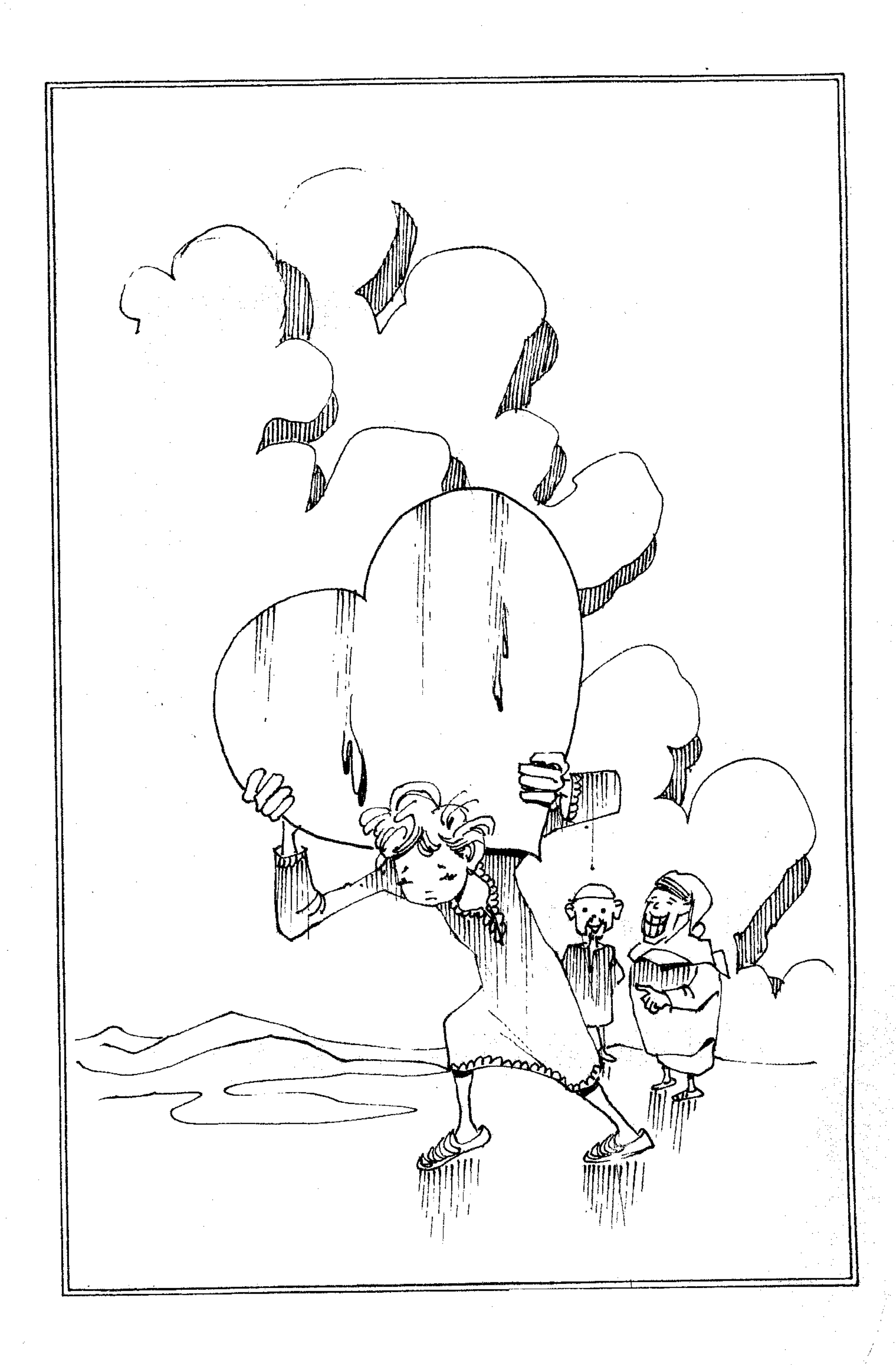
(زيدان : نوادر العشاق ، ص ٦)

* * *

---

(١) تسبي : تسحر ، تأسر . المقلة : العَيْن .
(٢) الهند والسمر : السيوف والرماح ، وهما كناية عن جفونها ونظراتها .
(٣) القين : الحدّاد ، الصانع .


١١
حكايات العاشقين وأشعارهم



العِشْق إفراطٌ في الهوى ، وتحكيمٌ للعاطفة ، وتعطيلٌ لدور العقلِ وقيادته ، ممّا يقود إلى نوعٍ من الجنون أحياناً .

* * *

والجنون فنون !

كما قال أحد العشّاق المجانين :

ولَقِيتُ في حُبّيكِ ما لم يلقهُ   في حبِّ لَيْلَى قَيْسُها المجنونُ
لكنّني لم أتبعْ وحشَ الفَلا   كفِعالِ قَيْسٍ ، والجنونُ فُنونُ

(الأنصاري : مشارق ص ٩٨)

* * *

جُنون الجنون !

فقد اعتلَّ عبد الله بن المعتزّ ، فأتاه أبوه عائداً وقال له : ما عَراكَ[1] يا بنيّ ، فأنشأ يقول :

---

(١) ما عراك : ما أصابك .

أيّها العـاذلــونَ[1] لا تَعْـذِلــوني وانـظروا حُسْنَ وجهِها تَعْـذِروني
وانظروا هل تَـرَوْنَ أحسنَ منها ؟ إن رأيْتُم شَبيهَهــا فــآعْـذِلــوني
بي جُنونُ آلْهَوى وما بي جُنونٌ وجُنـونُ آلْهَـوى جُنُـونُ آلجنـونِ

فتتبّع أبوه الحال حتى وقع عليها ، فابتاعَ الجارية التي شُغف[2] بها بسبعة آلاف دينارٍ ووجّهها إليه .

(الأنصاري : مشارق ، ص ٩٨)

* * *

المجنون العاشق

حُكي عن حبيب بن خالد الواسطي قال : دخلتُ يوماً على عليّ بن هشام فوجدته باكياً ، ذاهبَ النفس ، فأنكرتُه وسألتُه عمّا دهاه[3] ، فقال : إعلم أنّي مررتُ الآن بالخُرَيْبة[4] ، فرأيتُ مجنوناً مُصفّداً[5] بالحديد يتمرّغ في التراب ويقول :

ألا ليتَ أنّ العشقَ يعشقُ مـرّةً فيعـرفُ ماذا كـان بالنـاس يصنعُ
يقولون : خُذ بالصبرِ إنّك هـالكٌ ولَلصَّبْرُ منّي في مُصابي أَجْزَعُ[6]

(ابن حبيب : عقلاء المجانين ، ص ٢٨)

* * *

(١) العاذلون : اللائمون .
(٢) شغف بها : أحبّها حباً شديداً .
(٣) دهاه : أصابه .
(٤) الخريبة : موضع بالبصرة .
(٥) مصفّداً بالحديد : موثّقاً ومقيّداً بالسلاسل .
(٦) جزع : لم يصبر على الأمر فأظهر الحزن والكدر .

العشق أعظم من الجنون !

قال أحدهم :

قالت : جُنِنْتَ على رأسي فقلتُ لها : العشقُ أعظم ممّا في المجانين
العشق ليس يُفيقُ منه صاحبُهُ وإنّما يُصرعُ المجنونُ في الحِينِ[1]

(الأنصاري : مشارق ، ص ٩٩)

* * *

مجنون بني عامر وظَبية

كان مجنون بني عامر[2] في بعض مجالسه ، وكان يُكثرُ الوَحْدة والتوحُّش[3] . فمرّ به أخوه وابن عمّه قد قَنصا[4] ظبيةً فهي معهما فقال :

يا أَخَوَيَّ اللّذَيْنِ اليومَ قد قَنصا شِبْهاً لِلَيْلَى بحبلٍ ثُمّ غَلاَّها[5]
إنّي أَرى اليوم في أعطافِ[6] شاتِكُما مَشابِهاً أَشْبَهتْ لَيْلَى فحُلاَّها

فامْتَنَعا ، فهمَّ بهما[7] ، وكان نَجْداً[8] قبل ما أُصيب ، فخافاه فدفعاها إليه ، فأُرسلت فولّت تفرّ ، ثمّ أقبلت تنظر إليه ، فقال :

أَيا شِبْهَ لَيْلَى لا تُراعي[9] فإنّني لكِ اليومَ مِن وَحْشِيَّةٍ لَصَديقُ

(١) أي إن المجنون يقع في جنونه ، ثمّ يصحو ، بينما العاشق في غيبوبةٍ دائمة .
(٢) هو قيس لَيْلى .
(٣) الوحدة والتوحّش : الانفراد خارج مضارب عشيرته .
(٤) قنصا ظبية : اصطادا غزالة .
(٥) غلّاها : ربطاها .
(٦) الأعطاف : مفردها عِطف ، وهو الجانب .
(٧) همّ بهما : أراد مهاجمتهما .
(٨) نجد : شجاع .
(٩) لا تراعي : لا تخافي .

تَفِـرُّ وقـد أطلقتُهـا مِن وَثاقِهَـا[1] فـأنتِ لِلَيْلَى مـا حَييتِ عَتيقُ[2]
فعينـاكِ عَيْنـاهـا وجِيـدُكِ جِيـدُهـا ولكنّ عَـظْمَ السـاقِ منـكِ دقيقُ
(القالي : ذيل الأمالي ، ص ٦٣)

* * *

وإذا كان الناس يشعرون بالأسى لحال العشّاق المجانين ، فإنّ لهؤلاء الناس منطقاً آخر ، إذ يرون حالهم في أحسن حال .

لذّة الجنون

قال الشِّبلي (أحد العشّاق المجانين) ذات يومٍ لأصحابه : ألستُ عندكم مجنوناً وأنتم أصحّاء ؟ زاد اللّهُ في جنوني وزاد في صحّتكم ! ثمّ أنشد :

قالوا جُنِنْتَ بِمَنْ تَهْوَى فقلتُ لهم مـا لـذّةُ العيشِ إلّا للمجـانينِ
(ابن حبيب : عقلاء المجانين ، ص ٢٧)

* * *

مِحنة العاشق

قال أبو تمام[3] :

أَنتَ في حِـلٍّ فَـزِدْني سَقَـمـا أَفْنِ صبـري وآجعلِ الـدمـعَ دَمـا
وآرضَ ليَ الموتَ بِهَجْرَيْـكَ فإن أَلِـمَـتْ نـفـسي فَـزِدْني أَلَـمـا

(١) وثاقها : رباطها .
(٢) عتيق : معتقة ، أي حرّة وطليقة .
(٣) هو الشاعر المشهور حبيب بن أوس الطائي .

مِحنـةُ العـاشقِ ذُلٌّ في الهَـوى　　وإذا اسْـتُـودِعَ سِـرًّا كَـتَـمـا
لـيس منّـا مَـن شَـكـا عِـلّتَـهُ　　مَـن شَكـا ظُـلْمَ حبيبٍ ظَـلَمـا
(الأنصاري : مشارق ، ص ٣٧)

* * *

رسول العاشق

قال أحد العاشقين :

فيـا رسولي إلى مَن لا أبـوحُ به　　إنّ المهمّاتِ فيها يُعرفُ الرجـلُ
بلّغ سلامي وبالغ في الخطابِ لهُ　　وقبّـلِ الأرضَ عنّي عندمـا تَصِـلُ
بـاللّه عـرّفـهُ عنّي إن خلوتَ بـهِ　　ولا تُـطِلْ فحبيبي عنـدهُ مَـلَلُ
وتلك أعظمُ حاجـاتي إليكَ فـإنْ　　تنجحْ فما خابَ فيك القصدُ والأمَلُ
(العطيري : أدبنا الضاحك ، ص ٣٧)

* * *

مِن أَلطفْ ما قيل في العشق

قال ابن الصائغ(١) :

سـأكتُمُ ما ألقـاهُ يا نـورَ ناظِـري　　مِن الوَجْدِ كَيْلا يذهب الأَجرُ باطِلاً(٢)

---

(١) ابن الصائغ (٦٤٥هـ/ ١٢٤٧ م - ٧٢٠ هـ/ ١٣٢٠ م) .
لعلّه محمد بن حسن ، شمس الدين المعروف بابن الصائغ . أديب ، عالم بالعربية ، له ديوان شعر ، منه الأبيات التي يقول فيها :
والـطيـرُ يقـرأ ، والـنسيـمُ مـردِّد　　والغصنُ يـرقصُ ، والغـديـر يُصفّق
(الزركلي : أعلام ، ٦/ ٨٧)
(٢) نور ناظري : نور عيني . الوجد : المحبّة .

فقد جاءنا عن سيّد الخلقِ أحمدٍ ... ومَن كان بَرًّا بالعبادِ وواصِلا[1]
بأنّ الذي في الحبِّ يكتُمُ وَجْدَهُ ... يموتُ شهيداً في الفراديس[2] نازِلا
رواهُ سُوَيْدٌ عن عليِّ بن مُسْهِرٍ ... فما فيهِ من شكٍّ لَمن كان عاقِلا[3]
وماذا كثيرٌ للذي ماتَ مُغْرَماً ... سقيماً عليلاً بالهوَى مُتَشاغِلاً

(الأنطاكي : تزيين الأسواق ، ١/ ٦)

* * *

قتيل العِشق والهوى

قال يزيد بن معاوية[4] :

خذوا بدمي ذاتَ الوشاحِ فإنّني
رأيتُ بعيني في أناملِها دَمي[5]
ولا تقتلوها إن ظَفِرْتُم بقتلِها
بلَى خبِّروها بعدَ مَوْتي ومَأْتَمي
وقُولوا لها يا مُنْيَةَ النفسِ إنّني
قتيلُ الهوَى والعشقِ لو كنتِ تعلمي

(١) أحمد : النبي محمد ﷺ. البر : العطوف .
(٢) الفراديس : الجنان .
(٣) سويد : هو سُويد بن سعيد الحَدَثاني ، وهو من شيوخ مسلم (الصفدي : الوافي ، ٣/ ٦٠) ، علي بن مسهر : أحد رواة الحديث الشريف .
(٤) يزيد بن معاوية (٢٥هـ/ ٦٤٥م - ٦٤هـ/ ٦٨٣م) .
هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، ثاني خلفاء الدولة الأموية . يروي له شعر رقيق (الزركلي : أعلام ، ٨/ ١٨٩) .
(٥) الوشاح : شبه قلادة من نسيج عريض يُرصّع بالجوهر وتشدّه المرأة عليها . الأنامل : رؤوس الأصابع .

لهـا : حُكْمُ لقمانٍ وصـورةُ يوسفٍ
ونـغـمـةُ داودٍ وعِـفّـةُ مَـرْيَـمِ[1]

ولي : حُزْنُ يعقوبٍ ووحشةُ يونسٍ
وآلامُ أيّـوبٍ وحَـسْـرةُ آدمِ[2]

ولمّـا تـلاقينـا وجـدتُ بَنـانَهـا
مُخَضَّبـةً تَحكي عُصارةَ عَنْـدمِ[3]

فقلتُ : خَضَبْتِ الكفَّ بعدي وهكذا
يكـونُ جزاءُ الْمُسْتَهـامِ الْمُتَيَّمِ[4]

فقالت وأبدتْ في الحَشى حُرَقَ الهوَى
مقـالـةَ مَن في القـولِ لم يَتَبَـرَّمِ

وعَـيْـشِـكَ ، ما هـذا خِضاباً عرفتَـهُ
فلا تَكُ بـالبُهتانِ والـزُّورِ مُتْهِمِي[5]

ولـكنّـني لـمّـا رأيتُـكَ نـائـيـاً
وقد كنتَ لي كفّي وَزَنْدِي ومِعْصَمي[6]

بكيتُ دَمـاً يـومَ النـوَى فمسحتُـهُ
بكفّي وهـذا الأَثْـر مِن ذلـك الـدَّمِ[7]

(الأنطاكي : تزيين الأسواق ، ٢/ ١٠١)

* * *

---

(١) لقمان : لقمان الذي شهر بالحكمة ، فقيل : لقمان الحكيم . صورة يوسف : أي جمال النبي يوسف عليه السلام . نغمة داود : عذوبة مزاميرة التي كان يرتّلها . مريم : مريم العذراء ، والدة عيسى عليه السلام .

(٢) حزن يعقوب : حزن يعقوب عليه السلام حينما افتقد ولده يوسف . وحشة يونس : وحشته حينما ابتلعه الحوت . آلام أيوب : من شدّة الأمراض التي أصابته .

(٣) البنان : الأصابع . مخضبة : ملطّخة . العندم : خشب نبات يُصبغ به .

(٤) المستهام المتيّم : الهائم ، المتحيّر من شدة الحبّ .

(٥) البهتان : الكذب . الزور : الباطل .

(٦) نائياً : مبتعداً .

(٧) النوى : البعد والفراق .

عاشق العمياء

قال ابن سناء المُلك[1] في عمياءَ :

فَتَنَتْني مكفوفةٌ ناظِراها ... كَتبا لي مِن الجِراحِ أَمانا

فهي لم تَسْلُلِ الجفونَ حُساماً ... لا ولم تحمل ٱلْفُتورَ سِنانا[2]

وهي بِكْرُ العينينِ مُحْصَنَةُ الـ ... أَجفانِ ما ٱفْتَضَّ مِيلُها الأجفانا

قَصَرتْ عِشقها عليّ فلم تعشق ... فلاناً إذ لم تُعايِنْ فُلانا

عَمِيَتْ مِن هوايَ وَٱرتحلَ الإنْـ ... سانُ مِن عَيْنِها وَأَخْلى المَكانا

علمتْ غَيْرتي عليها فخافتْ ... أن يُسمّى غَيْري لها إنسانا

(الصفدي : نكت الهميان ، ص ٨١)

* * *

عتاب العاشقين

كان ابن الدُّمَيْنة[3] قد هويَ امرأة من قومه يقال لها: أُمَيْمة، فهام بها مدّةً . فلمّا وَصَلَتْهُ[4] تجنّى عليها ، وجعل ينقطع عنها . ثمّ زارها ذات يومٍ فتعاتبا طويلاً . فقال لها العاشق :

---

(١) ابن سناء الملك (٥٤٥هـ / ١١٥٠م - ٦٠٨هـ/ ١٢١٢م) .
هو هبة الله بن جعفر بن سناء الملك ، القاضي السعيد . شاعر من النبلاء ، مصري المولد والوفاة (الزركلي : أعلام ، ٨/ ٧١) .

(٢) أي لم تستخدم جفون عينيها الناعسة الجارحة .

(٣) ابن الدُّمينة (. . . - نحو ١٣٠هـ / نحو ٧٤٧م) .
هو عبد الله بن عبيد الله بن أحمد ، من بني عامر بن تَيْم الله ، والدمينة أمّه . شاعر بدوي من أرقّ الناس شعراً (الزركلي : أعلام ، ٤/ ١٠٢) .

(٤) وصلته : حققت له ما أراد .

وأنتِ التي كَلَّفْتِني دَلَجَ السُّرَى   وجُونُ القَطا بـالْجَهْلَتَيْنِ جُثُومُ[1]
وأنتِ التي أَوْرَثْتِ قلبي حرارةً   ومزّقْتِ قَرْحَ القلبِ وهو كَليمُ[2]
وأنتِ التي أَسْخَطْتِ قومي فكلُّهم   بعيدُ الرِّضا داني الصُّدودِ كظيمُ[3]

فقالت المعشوقة :

وأنتَ الذي أَخْلَفْتَني ما وَعدتني   وأَشْمَتَّ بي مَن كان فيكَ يلومُ
وأَبرزتني للنّاسِ ثمّ تركتني   لهم غَرضاً أُرْمَى وأنتَ سليمُ[4]
فلو أنَّ قَوْلًا يَكْلِمُ الجسمَ قد بَدا   بجِلْدي مِن قَوْلِ الوُشاةِ كُلومُ

ثم تزوّجها بعد ذلك وقتل وهي عنده .

(الجاحظ : الحيوان ، ٣/ ٥٥

العباسي : معاهد التنصيص ، ١/ ٥٨)

* * *

قيس وليلى

قال الأصمعي : إنّ رَهطَ قيس قالوا لأبيه : لو خرجتَ به إلى الحجّ فتدعو اللّه لعلّه ينساها . فخرج به ، فبينما هو يرمي الجمار[5] نادى منادٍ من بعض تلك الخيام : يا لَيْلى . فخرَّ قيس مَغْشِيًّا عليه[6] ، ثمّ أفاقَ وأنشأ يقول :

---

(١) دلج السرى : السير في الليل وآخره . الجون : مفردها جَوْن وهو الأسود . القطا : طائر بحجم الحمام يضرب به المثل بالاهتداء ، فيقال : « أهدى من القطا » .
الجهلتين : ناحية الوادي . جثوم : أي جائمة في أوكارها .
(٢) القرح : الجرح القديم . كليم : مجروح .
(٣) الكظيم : هو من امتلأ جوفه بالغضب .
(٤) أي تركتني لكلام الناس الجارح .
(٥) الجمار : الحصيّات التي يُرمى بها في منى ، وهذا الرمي من مناسك الحجّ .
(٦) أي وقع على الأرض فاقداً وَعْيَه .

ودَاعٍ دَعــا إذْ نحـن بــالخَيْفِ مِن مِـنىً[١]
فـهـيَّـجَ أحــزانَ الـفُـؤادِ ومــا يَـدري
دعــا بــاسـم لَيْـلى غيـرَهــا فكــأنّمـا
أطــارَ بقلبي طـائــراً كـان في صَــدري
إذا ذُكِـرتْ يــرتــاحُ قـلبي لـذكـرِهـا
كمـا انْتَفَضَ العُصفـورُ مِن بَلَلِ القَطْرِ[٢]

(ابن حبيب : عقلاء المجانين ، ص ٥٠)

* * *

خبر عُرْوة مع ابنة عمّه عفراء

روى النعمان بن بشير قال : استعملني معاوية بن أبي سفيان (رض) على صدقات عُذْرة[٣] ، فإنّي لفي بعض مياههم إذا أنا ببيتٍ مُنْجَرِدٍ[٤] ناحيةً ، وإذا بفنائه رجلٌ مُسْتَلْقٍ وعنده امرأة وهو يقول أو يتغنّى بهذه الأبيات :

جعلتُ لعـرّافِ اليَمامــةِ حُكْمَـهُ ... وعـرّافِ نَجْدِ إنْ همـا شَفَياني[٥]
فقالا : نَعم، نَشفي مِن الداءِ كلِّهِ ... وقَــامـا مــع العُـوّادِ يَبْتَـدِرانِ[٦]
فمـا تَـركـا مِن رُقْيَةٍ يَعْلَمــانِهـا ... ولا سَلْوةٍ إلّا وقــد سَقيــاني[٧]
فقـالا : شَفاكَ اللّهُ، واللّهِ مـا لَنا ... بمـا حُمِّلَتْ منـكَ الضُّلوعُ يَـدانِ

فقلت لها : ما قصّته؟ فقالت : هو مريضٌ ما تكلّم بكلمةٍ ، ولا أَنَّ أَنّةً

---

(١) الخـيف : خيف مكّة : موضع فيها عند منى .
(٢) القطر : المطر .
(٣) صدقات عذرة : الزكاة التي تجمع من قبيلة عذرة التي كانت تقيم في بلاد نَجْد .
(٤) منجرد : منفرد .
(٥) عرّاف : منجّم . اليمامة : مقاطعة من بلاد نجد في الجزيرة العربية .
(٦) العوّاد : الزوّار .
(٧) الرقية : الاستعانة بقوى غير منظورة طلباً للشفاء مما هو فيه .

منذ وقت كذا وكذا إلى الساعة ، ثم فتح عينيه وأنشأ يقول :

مَن كـان مِن أُمّهاتي بـاكيـاً أبـداً فاليومَ إنّي أراني اليوم مَقْبُوضاً[1]
يُسْمِعُنيــهِ فــإنّي غيــرُ ســامعـهِ إذا حُمِلْتُ على الأعناقِ مَعْروضاً

ثمّ خَفَتَ فمات ، فغمَّضتُهُ وغَسّلتُه وصلّيتُ عليه ودفنتـه ، وقلت للمرأة : مَن هذا ؟ فقالت : هذا قتيل الحبّ ! هذا عُروة بن حِزام[2] !

(القالي : ذيل الأمالي ، ص ١٥٧)

* * *

عاشق الجارية

روى عليّ بن عاصم[3] قال : قال لي رجلٌ من أهل الكوفة من بعض إخواني : هل لكَ في عاشقٍ تراه ؟ فمضيتُ معه . فرأيتُ فتىً كأنّما نُزِعَ الروحُ من جسده ، وهو مُؤْتَزِرٌ[4] بإزارٍ مُرْتَدٍ بآخر ، وهو مفكِّر ، وفي ساعده وردة . فذكر له شعراً من الشعر فتهيّج وقال :

جـعـلـتُ مِـن وَرْدَتِـهـا تَميمـةً[5] في عَضُـدِي
أَشُـمُّـهـا مِن حبِّـهـا إذا عَـلانـي جُـهـدِي
فَـمن رأى مِـثْلي فـتـىً لِلْحُـزْنِ أَضحى يَـرْتَـدِي
أَسـقَـمَـهُ الـحبُّ فـقـد صـارَ قـليـلَ الأَوَدِ[6]
وصــارَ ســاهٍ دَهْـرَهُ مـقـارِنـاً لِـلْكَـمَـدِ

(١) مقبوضاً : ميتاً .
(٢) عروة بن حزام (. . . ـ نحو ٣٠هـ / نحو ٦٥٠م) .
هو عروة بن حزام العُذْري . كان يحبّ ابنة عمّ له اسمها « عفراء » لم يستطع الزواج بها ، فمات قبل بلوغ مناه (الزركلي : أعلام ، ٤/ ٢٢٦) .
(٣) علي بن عاصم : أحد رواة الأخبار .
(٤) مؤتزر : لابس .
(٥) تميمة : خرزة أو ما يشبهها كان الأعراب يضعونها على أولادهم للوقاية من العين .
(٦) قليل الأود : قليل الطاقة والاحتمال .

أَلا فمن يَرْحَمُني يَرِقُّ لي مِن كَمَدِي[1]

ثم أطرق ، فقلتُ : ما شأنه ؟ فقالوا : عشق جاريةً لبعض أهله ، فأعطى فيها كلَّ ما يملك وهو سبعمائة دينار ، فأَبَوْا أن يبيعوها منه ، فنزل به ما ترى وفقد عقله . قال : فخرجنا فلبثنا ما شاء اللَّه ، ثمّ مات ، فحضرتُ جنازته . فلما سُوِّي عليه التراب ، فإذا أنا بجاريةٍ تسألني عن القبر ، فَدَلَلْتُها عليه ، فما زالت تبكي ، وتأخذ التراب وتجعله في شعرها ، فبينا هي كذلك إذا قومٌ يسعَوْن ، فأقبلوا عليها ضرباً . فقالت : شأنكم ، واللَّه لا تنتفعون بي بعده أَبداً !

(القالي : ذيل الأمالي ، ص ١٤٣)

* * *

شهيد العشق

حكى الأصمعي قال : بينما أنا أسير بالبادية إذ مررت بحجرٍ مكتوبٍ عليه :

أَيا مَعْشَرَ العُشّاقِ بالله خَبِّروا إذا حَلَّ عِشْقٌ بالفتى كيفَ يَصْنَعُ؟

فكتبتُ تحته :

يُداري هَواهُ ثمّ يكتُمُ أَمرَهُ وَيَخْشَعُ في كلِّ الأُمورِ وَيخضعُ

ثم عدتُ في اليوم التالي فوجدت مكتوباً تحته :

فَكيفَ يُدارِي والهوى قاتِلُ الفتى وفي كلّ يومٍ رُوحُهُ تَتَقَطَّعُ ؟

فكتبتُ تحته :

إذا لم يجدْ صَبراً بكِتمانِ سِرّهِ فليسَ لهُ شيءٌ سِوى الموتِ أَنفعُ

---

(١) كمدي : حزني وغمّي .

فعدتُ في اليوم الثالث فوجدتُ شاباً مُلقىً تحتَ ذلك الحجر مَيْتاً رحمه الله !

(التحفة الشهيّة ، ص ٢٠٠)

* * *

موتُ العاشِقَيْنِ !

حدّث رجلٌ مِن تميم قال : خرجتُ في طلب ناقةٍ لي ، حتى وردتُ على ماءٍ من مياه طَيء ، فإذا أنا بعَسْكَرَيْنِ بينهما دعوة[1] ، فإذا أنا بفتى شابّ وجارية في العسكر ، وإذا هو قد سمع نبرة مِن كلامها وهو مريض ، فرفع عقيرته[2] وقال :

ألا مـا لِـلْمَلِيحـةِ لا تعـودُ أَبُخْـلٌ بـالمليحـةِ أَم صُـدودُ
فلو كنتِ المـريضـةَ كنتُ أسعى إليـكِ ولم يُنَهْنِهْني[3] الـوعيـدُ

فسمعتْ صوته فخرجت تعدو ، فأمسكها النساء ، فأبصرها فـأقبل يُنشد ، فأمسكه الرجال ، فأفلتَ وأَفلتتْ ، فاعْتَنَقا وخرَّا مَيْتَيْن . فخرجَ شيخ مِن تلك الأَخبية حتى وقفَ عليهما ، فاسترجعَ لهما ، ثم قال : أَما واللّه ، لئن كنتما لم تجتمعا حيّين لأجمعنَّ بينكما مَيْتَيْن . قال : فقلت : من هذا ؟ قال : هذا ابن أخي ، وهذه ابنتي ؛ فدفنهما في قبرٍ واحد !

(ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ٤/ ١٣٠)

* * *

المُروءة والشهامة في الحبّ

حُكي عن الأصمعي قال : دخلتُ البصرة وكان يومئذ والياً على البصرة

---

(١) دعوة : قضية . (٢) رفع عقيرته : رفع صوته . (٣) ينهنه : يكفّ ويمنع .

خالد بن عبد اللّه القسري[١] ، فدخلتُ عليه ذات يوم فرأيتُ قوماً متعلّقين بشابٍ ذي جمالٍ وكمالٍ وأدبٍ ظاهرٍ ووجهٍ زاهرٍ حسن الصورة ، فقدّموه إلى خالد ، فسألهم عن قصته فقالوا : هذا لصٌّ أصبناه البارحة في منزلنا ، فنظر خالد إلى الفتى فأعجبه حُسْنُ هيئته ، فقال لهم : خلُّوا عنه ، ثم ناداهُ وأدناهُ منه ، فسأله عن قصته ، فقال : إنّ القول ما قالوه والأمر على ما ذكروه . . . ثمّ أدناه منه وقال له : قد رابني[٢] اعترافكَ بالسرقة على رؤوس الأشهادِ وما أظنّك سارقاً . فأمر خالدٌ بحبسه وأمر منادياً ينادي في البصرة مَن أَحبَّ أن ينظر إلى فلان فليحضر غداً . فلما استقرّ الفتى في السجن وَوُضع في رجله الحديدُ ، تنفّس الصُّعَداء ثم أنشد يقول :

هَدّدَني خالدٌ بقطعِ يَدي ... إذْ لم أَبُحْ عندهُ بقصّتها
فقلتُ: هيهاتَ أن أَبوحَ بما ... تَضمَّن القلبُ مِنْ مَحبّتها
قَطْعُ يَدي بالذي اَعْتَرفْتُ بهِ ... أَهْوَنُ عندي مِن فَضِيحَتِها

فسمعه المُوَكّلون به فأتوا خالداً فأخبروه بذلك . فلمّا جَنَّ[٣] الليل أمر بإحضاره إليه ، فلمّا حضر قال له : قد علمتُ أنّ لك قصّة غير السرقة وأنت تخفيها وأنا لا أُكلّفك إظهارها ، ولكن إذا كان غدٌ وحضر القاضي والشهود وسألتك عن السرقة فأنكرها أو أذكر فيها شُبهة تدرأ[٤] عنك القطع ، ثم أَمر فأُعيد إلى الحبس . فلمّا أصبح الصباح لم يبقَ في البصرة رجلٌ ولا امرأةٌ إلاّ حضر ليرى عقوبة ذلك الفتى . ثم ركب خالد ومعه وجوه أهل البصرة من القضاة والعُدول ، وأمر بإحضار الفتى . فأقبل يخطُر[٥] في قيوده ، فلمّا

---

(١) خالد بن عبد اللّه القَسْري (٦٦هـ/ ٦٨٦م - ١٢٦هـ / ٧٤٣م) .
هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري . أمير العراقين(الكوفة والبصرة) ولاّه عليهما هشام بن عبد الملك (الزركلي : أعلام ، ٢/ ٢٩٧) .

(٢) رابني : أدخل الشكّ في نفسي .

(٣) جنّ الليل : أظلم .

(٤) تدرأ عنك : تدفع عنك .

(٥) يخطر : يمشي .

وقعت أبصار الناس عليه ارتفعت أصواتهم بالبكاء والنحيب[1] على حُسن شبابه . وبكى خالد ومَن حضر من خواصّه لبكاء الناس ، ثم أمر بتسكيت الناس . فلمّا سكتوا قال له خالد : إنّ هؤلاء القوم يزعمون أنّك دخلتَ دارهم وسرقتَ مالهم ، فما تقول أنتَ ؟ قال : صدقوا أيّها الأمير . فقال له خالد : لعلّك سرقتَ شيئاً دون النِّصاب[2] ، قال : بل سرقتُ نِصاباً كاملاً . فقال له : لعلك أخذته من غير حِرْز[3] . قال : بل أخذته من حِرْزٍ مثله . فقال : لعلّك شريكُ القوم في شيءٍ منه . قال : بل هو جميعه لهم ولا حقَّ لي فيه . فغضب خالد وقام إليه بنفسه وضربه على وجهه بالسوط ، وقال متمثّلاً :

يـريـدُ المـرءُ أَن يُعـطيَ مُنـاهُ ... ويَـأْبَـى الـلّهُ إلاَّ مـا يَـشـاءُ

ثم دعا بالجلّاد ليقطع يده : فلما حضر الجلّاد وأخرج السكّين وقد مدَّ يده ووضع عليها السكين والناس يبكون ، بدرت[4] جاريةٌ فائقة الجمال مِن صفّ النساء ، وصرخت صرخة عظيمة ورمت نفسها عليه . فلما رآها الناس ارتفعت لهم ضجّة عظيمة ، ثم نادت بأعلى صوتها : ناشدتكَ الله أيّها الأمير ، لا تعجل عليه حتى تقرأ هذه القصة ، ثم دفعت إليه رقعة ، ففضّها خالد فإذا مكتوب :

أخـالِـدُ هـذا مُسْتَهـامٌ مُتَيَّمُ ... رَمَتْهُ لِحاظِي عن قِسيِّ الحَمالقِ[5]
فـأَضْناهُ سَهْمُ اللحظِ منّي فقلبُهُ ... حَليفُ جَوىً مِن دائِه نِدُّ فائقِ[6]
أَقـرَّ بـمـا لم يـقـتـرفْـهُ لأنّـه ... رأى ذاكَ خَيْراً مِن فضيحةِ عاشِقِ

---

(١) النحيب : البكاء الشديد .
(٢) دون النصاب : أي أقلّ ممّا يجب به القطع .
(٣) الحرز : المكان الذي تُحفظ به الأشياء .
(٤) بدرت : ظهرت .
(٥) متيمّ : مُصاب بالحبّ . رمته لحاظي : أوقعته عيناي . الحمالق : مفردها حملاق ، وحملاق العين : باطن أجفانها . قِسيّ : جمع قوس .
(٦) أضناه : أوقعه في الحبّ . الجوى : شدّة الحزن من العشق . ندّ : نظير ، مثيل . الفائق : السهم .

فمهــلاً عن الصبِّ الكئيبِ لأنّـه كريمُ السَّجايا في الهَوى غيرُ سارقِ [1]
فأنتَ الذي لا يُرتجَى اليومَ غيرُهُ لدفعِ مَلمَّاتِ الخُطوبِ الطوارِق [2]

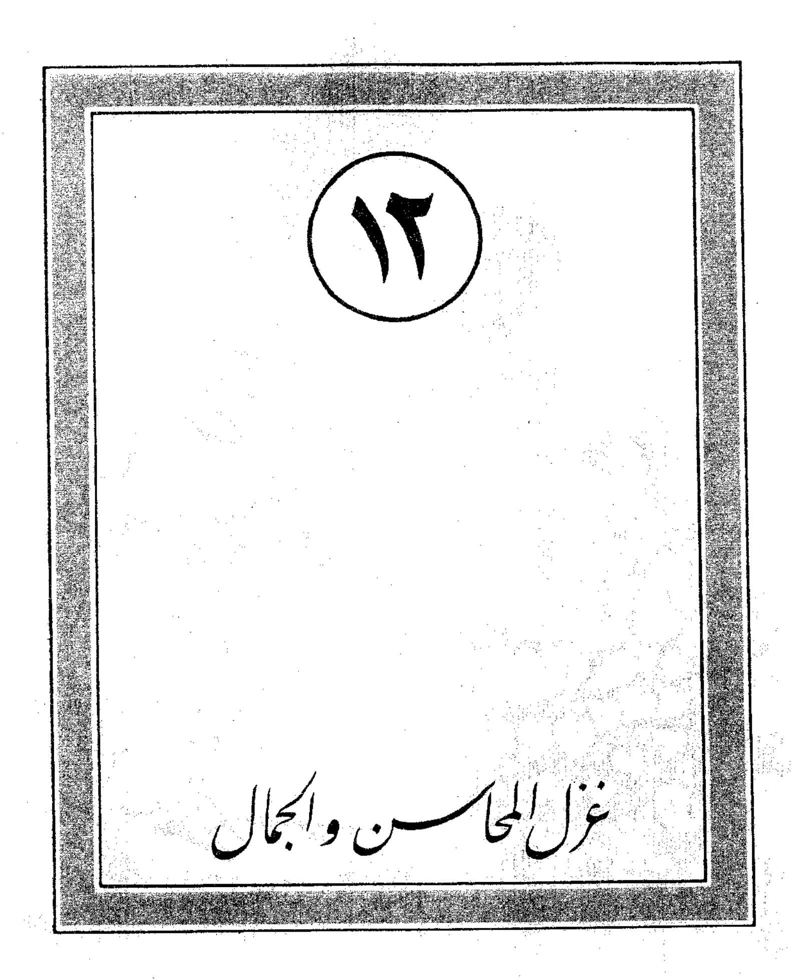
فلمّا قرأ خالد الأبيات أمر الناس بالتنحّي [3] من حوله ، ثم أحضر المرأة وسألها عن قصته ، فأخبرته أنّ هذا الفتى كان عاشقاً لها وهي كذلك ، وأنه رأى أَن يُعلمها بمكان ، فرمى حَصاةً إلى الدار ، فلمّا سمع أبوها وإخوتها وَقْعَ الحَصاة فِي الدار ، قصدوا الغرفة فوجدوه فيها . فلمّا أحسّ بهم جمع قماش البيت وجعله كارةً [4] وحمله على عاتقه [5] فمسكوه ، وقالوا هذا لصّ ونزلوا به وأصرّوا على ذلك ، حتى لا يفضحني بينهم وهانَ عليه قَطْعُ يده لكي يستر عليَّ ولا يَهْتِكُ لي سِتْراً ، وإنما فعل ذلك لكرمه وفتوّته وغزارة مروءته . فقال خالد : إنه لخليقٌ [6] بذلك ، ثم استدعاه إليه وقبَّل ما بين عينيه وأمر بإحضار أبي الجارية . فلمّا حضر قال : يا شيخ ، إنّا كنّا قد عزمنا على إنفاذ الحكم في هذا الفتى بالقطع لكنّ اللّه تعالى عصمني مِن ذلك ، وقد أَمرتُ له بعشرة آلاف درهم لبذله يده وحفظه لِعرْضِكَ وعِرْضِ ابنتكَ وصيانته لها من الفضيحة ، وقد أمرتُ لك بعشرة آلاف درهم ، وأنا أسألك أن تأذن لي في تزويجها منه ، فقال الشيخ : قد أَذنتُ لكَ أيها الأمير في ذلك . فأمر خالد بإحضار المال ، ثم إنّه خطب خطبة حسنة وقال للفتى : زوّجتك هذه الجارية بإذنها وإذن أَبيها على هذا المال الحاضر ، فقال الفتى : قبلتُ منك هذا التزويج ، ثم أَمر بحمل المال إلى دار الفتى مرفوعاً في أطباق . وانصرفَ الناسُ مسرورين ولم يبقَ في سوق البصرة أحدٌ إلاّ نثر عليهما الدراهم واللوز والسكّر حين دخلا السوق مَزْفُوفَيْن .

(التحفة الشهيّة ، ص ٢٠٠)

* * *

---

(١) الصبّ : العاشق . الكئيب : الحزين .
(٢) الخطوب الطوارق : الأمور العظيمة .
(٣) التنحّي : الابتعاد .
(٤) كارة : مكوّر بعضه فوق بعض .
(٥) العاتق : ما بين المنكب والعنق .
(٦) خليق : جدير .


١٢
غزل المحاسن والجمال



شمس !

قال ابن العميد (محمد بن الحسين ، الوزير) :

ظلَّت تُـظلّلني من الـشمس نفسٌ أعـزُّ عليَّ مِن نفسي
فأقولُ : واعجباً ومِن عَجبٍ شمسٌ تُظلّلني مِنَ الشمس !

(الثعالبي : خاص الخاص ، ص ١٥٨)

* * *

أجمل من البدر

قال إبراهيم بن العبّاس :

وَعَـابَـكِ أقـوامٌ فقـالـوا شَبيهـةٌ لبَدْرِ الدُّجَى[١] حاشاكِ أَنْ تُشبهي البدرا
لئن شبّهـوكِ البـدرَ لـيلةَ تـمّـهِ لقد قارنوا الشنعاءَ وآقْتَرَفُوا الوِزْرا[٢]

(١) الدجى : الظلام .
(٢) اقترفوا الوزرا: وقعوا في الإثم.

أيشبهُ بدرٌ آفِلٌ[1] نِصْفَ شهرِهِ ... ضياءً مُنيراً يَطْلُعُ الشهرَ والدهرا ؟!

(القيرواني : جمع الجواهر ، ص ٤٥)

* * *

هي والبدر

قال علي بن عبد الرحيم بن المنجم :

شبّهتها بالبدر فاَسْتَضحكَتْ ... وقابلتْ قَوْلي بالنُّكْرِ
وسَفَّهتْ قَوْلي وقالت : متى ... سَمُجْتُ حَتّى صِرْتُ كالبدرِ ؟
البدرُ لا يَرْنُو[2] بعَيْنٍ كما ... أرْنُو ، ولا يَبْسِم عن ثَغْرِ
ولا يُميطُ المِرْطَ عن ناهدٍ ... ولا يَشُدُّ العِقْدَ في نَحْرِ[3]
مَن قَاسَ بالبدرِ صفاتي ، فلا ... زالَ أسيراً في يَدَيْ هَجْري !

(النويري : نهاية الأرب ، ٢/٢٢٨)

* * *

جمالها يُبلي ثيابها !

أنشد أبو المُطاع[4] في جاريةٍ كانت أثوابها تَبلى بسرعة :

أرى الثياب من الكتّانِ يَلْمَحُهَا ... ضوءٌ مِن البدرِ أحياناً فَيُبْلِيها
وكيف تُنكِرُ أن تَبْلى مَعَاجِرُها ... والبدرُ في كلّ حينٍ طالعٌ فيها[5]

---

(١) آفل : غائب .
(٢) يرنو : ينظر .
(٣) يميط : يبعد . المرط : الثوب . الناهد : الفتاة التي ارتفع صدرها . النحر : أعلى الصدر .
(٤) هو أبو المُطاع ذو القرنين بن ناصر الدولة .
(٥) معاجرها : ثيابها .

يقول الثعالبي : لقد أحسن غاية الإحسان ، والعرب تزعم أنّ البدر يُبلي الثياب الحلوة .

(الثعالبي : يتيمة ، ١/ ٩٢)

* * *

عقرب وَأَفْعى في خدّ ظبية !

أنشد الرضي بن أبي حفصة الأحدب لنفسه :

قالوا : نَرى عَقْرباً قد قابلَتْ أفعى ... في خدِّ ظبيةِ إنْسٍ قطُّ ما تَرْعَى
فقلتُ لمّا بَدَا سحرُ الجُفُونِ لها ... جاءَتْ له حيّةٌ في خدّها تَسْعَى
وتلك عقربُ خدَّيْها فلا بَرِحَتْ ... لا أنّها العقربُ المُؤْذى بها طَبْعا
فانظرْ إلى حيّةٍ مع عقربٍ ظَهرتْ ... بِرَوْض وَجْنتِهَا لم يُقْتلا شَرْعا
وزادَتا حُسْنَها نفعاً فوا عجباً ... مِن أهلِ ضُرٍّ لها قد أظهروا النّفْعَا
لو لم يكنْ رِيقُها الترياقَ ما سَلِمَتْ ... وكان لَاَئِمُهَا لا يَأْمَنُ اللّسْعَا
فقل لمن سامَني تركَ الغرام بِها ... لم أَسْلُها والذي قد أخرجَ المرعى(١)

(الأزدي : بدائع ، ص ٢٨٢)

* * *

في وصف الخدود

قال شاعر اليتيمة(٢) :

وَرْدُ الخُدُودِ أَرَقُّ مِن ... وردِ الرِّيَاضِ وَأَنْعَمُ
هذا تَنَشَّقُهُ الأنو ... فُ ، وَذَا يُقبّلُهُ الفَمُ
فإذا عَدَلْتَ ، فأفضلُ آلْ ... وَرْدَيْنِ وردٌ يُلْثَمُ

(النويري : نهاية الأرب ، ٢/ ٧٤)

* * *

(١) أَسْلُها : أهجرها . سامني : لامني .
(٢) هو أبو القاسم عبد الغفّار المصري ، شاعر اليتيمة (المصدر نفسه) .

في الثغر

قال الشاعر :

ثلاثٌ تجمَّعنَ في ثغرها مِلاحُ أدلّتها واضِحَهْ
فإن قيل: ما هي ؟ قل لي. أقُلْ: هي الطعمُ واللونُ والرائحهْ

(الأبشيهي : المستطرف ، ٢/ ٢٤)

* * *

قتيل العيون

أنشد أبو إسحاق[١] :

غَزَتْنِي بجيشٍ مِن محاسِنِ وَجْهِهَا فَعَبَّا لها طَرْفي ليدفعَ عَن قلبي
فلمّا التقى الجمعانِ أقبلَ طَرْفُها يريدُ اغْتِصَابَ القلب قَسْراً على الحرب
ولمّا تَجَارَحْنَا بأسيافِ لَحْظِنَا جعلتُ فُؤادي في يَدَيْهَا على العَضْبِ[٢]
ونَاديتُ مِن وَقْعِ الأسنّةِ والقَنَا على كَبِدِي يا صاحِ مَا لي ولِلْحُبِّ!
فصرتُ صريعاً لِلْهَوَى وَسْطَ عسكرٍ قتيلَ عُيونِ الغانياتِ بلا ذَنْبِ

(القالي : ذيل الأمالي ، ١/ ٢٠)

* * *

لغة الدمع

ومن مليح شعر محمد بن عبد الله[٣] :

قالَتْ بناظِرِها أقْبِل، فقلت لها بالدمع: لَبّيكِ يا سَمعي ويا بَصَري

---

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن جميل (المصدر نفسه) .
(٢) العضب : السيف القاطع
(٣) محمد بن عبد الله (٢٠٩هـ/ ٨٢٤ م - ٢٥٣ هـ/ ٨٦٧ م) هو محمد بن عبد الله بن طاهر . كان الخليفة العباسي عبد الله بن المعتز قد ولّاه على شرط بغداد (الشابستي : الديارات ، ص ١٢١) .

حتّى إذا عَلِمَتْ أن قد كَلِفْتُ[1] بها … أَوْمَتْ إليَّ بـدمـعٍ غيـرِ مُستتـرِ
يـا كـاتِمي خِيفـةَ الـواشِي محبَّتـهُ … إنّي وَعَيْشِـكَ أَقْـرَاهُ مِن الـنـظرِ
قُـولي بطَرْفِـكِ مـا تَهْـوَينَ أعـرفُـهُ … وآسْتَنْـطِقِي ناظـري يُخْبِرْكِ بـالخبرِ

(الشابستي : الديارات ، ص ٨١)

* * *

بَـكَـت لُـؤلـؤاً !

ومن طريف معاني أبي يَعْلَى[2] التنوخي قوله يصف الدمع :

ولمّـا التـقينـا لِلْوداعِ وقـلبُهـا … وقلبي يُفيضـانِ الصَّبابـةَ والوَجْـدَا
بكت لُؤلؤاً رَطْباً فَفَاضَتْ مَـدَامعي … عقيقاً فصار الكُلُّ في نَحْرِهَا عِقْدَا

(التنوخي : كتاب القوافي ، ص ١٤)

* * *

طويلة هيفاء

قال بهاء الدين زهير :

وهَيْفَاءَ تَحكي الرمـحَ لَوْنـاً وقامـةً … لهـا مُهْجتي مبـذولـةٌ وقِيـادي
لقد عابَها الواشي فقـال : طويلةٌ … مقـالَ حسـودٍ مُظْهِـرٍ لِعِنَـادِي
فقلتُ لـه : بشَّرْتَ بـالخيـر إنّهـا … حيـاتي ، فإن طَـالَـتْ فذاكَ مُـرادي
ومـا عـابهـا القَـدُّ الـطويـلُ وإنّـه … لأوَّلُ حُسْنٍ للمليـحـةِ بـادي[3]
رأيتُ الحُصُونَ الشُمَّ تحفظُ أهلها … فـأعددتُهـا حِصْناً لحفظِ وِدادي[4]

(بهاء الدين : ديوان ، ص ٩٥)

* * *

(١) كَلِفت بها : عشقتها .
(٢) هو صاحب كتاب القوافي .
(٣) البادي : الظاهر للعيان .
(٤) الشمّ : العالية ، المرتفعة .

في اللون الأسود

قال الشاعر :

لامَ العواذِلُ[1] في سَوْدَاءَ فـاحمةٍ ... كـأنّهـا في سَـوَادِ القلب تِمثـالُ
وهامَ في الخالِ[2] أقوامٌ وما علموا ... أنّـي أَهِيـمُ بشـخصٍ كـلُّهُ خـالُ

(الأبشيهي : المستطرف ، ٢/ ٣١)

* * *

سوداء/ بيضاء

قال الأعزّ أبو الفتوح نصر الله بن قلاقس الإسكندري[3] :

رُبَّ سَـوْدَاءَ وهي بَيْضَـاءُ فِعْـلٍ ... حَسَدَ المسكَ عنـدها الكـافورُ[4]
مثـلُ حَبِّ[5] العيون يحسبُـهُ النا ... سُ سَـوَادَاً وإنّـمـا هـو نـورُ

(ابن خلكان : وفيات ، ١/ ٤١)

* * *

---

(١) العواذل : اللائمون .

(٢) الخال : شامة الخد السوداء .

(٣) ابن قلاقس الإسكندري (٥٣٢هـ/ ١١٣٧م - ٥٦٧هـ/ ١١٧٢م) .
هو القاضي الأعز أبو الفتوح نصر الله بن عبد اللّه ابن قلاقس الاسكندراني (فروخ : تاريخ الأدب ، ٣/ ٣٤٢) .

(٤) المسك : طيب ، وهو من دم دابّة كالظبي يُدعى « غزال المسك » . لونه أسود . الكافور : مادة عطرية تستخرج من شجر الكافور ، وهو شجرة مهدها الأصلي جنوب الصين . أوراقها دائمة وأزهارها بيضاء ضاربة إلى الصفرة .

(٥) حبّة العين : بؤبؤ العين .

ذاتُ الخِمار المذهّب

قال أبو علي المحسن ابن القاضي التنوخي[1] :

قُل لِلْمَلِيحة في الخِمَار[2] اَلْمُذْهَبِ أَفْسَدْتِ نُسْكَ أخي التُّقى المُتَرهِّبِ
نُـورُ الخِمارِ ونُـورُ وجهـكِ تحتـهُ عَجباً لـوجهـكِ كيف لم يَتَلَهَّبِ
وَجَمعْتِ بينَ المُـذْهَبْيْنِ فلم يكنْ لِلْحُسْنِ عن ذَهَبَيْهِمَـا مِن مَذْهَبِ
فـإذا بَـدَتْ عينٌ لِتَسْـرِقَ نـظرةً قال الشُّعَاعُ لها: اذهبي، لا تَذْهَبي

(الثعالبي : يتيمة ، ٢/ ٣٤٦)

* * *

ذاتُ الخمار المِشْمشي

وقال أبو عبد الله الحامدي[3] :

قل لِلْمَلِيحةِ في الخِمَارِ المِشْمِشي كَمْ ذا الدلالُ عَدِمْتِ كلَّ مُحرِّش
يا مَن غَدَا قلبي كَنَرْجِس طَرْفِهـا في الحُبِّ لا صَاحٍ ولا هُوَ مُنْتَشِي
هذا الربيعُ بصَحْنِ خَدِّكِ قد بَدا لِـمُـقَـبِّـلٍ ومُـعَـضِّضٍ ومُـخَـمِّش
فمتى أَبيتُ مُعَـانِقـاً لِبَهَـارِهِ ولِـوَرْدِهِ المُسْتَأْنِس المُسْتَوْحِشِ ؟

(الثعالبي : يتيمة ، ٢/ ٣٧٢)

* * *

(١) هو ابن القاضي التنوخي ابو القاسم علي بن محمد بن داود بن فهم (المصدر نفسه) .
(٢) الخمار : ما تغطّي به المرأة رأسها .
(٣) يقول الثعالبي : حامدة : من أعمال واسط ، ولم يبلغني ذكر هذا الرجل إلّا مما أنشد فيه ميمون الواسطي (المصدر نفسه) .

ذاتُ الخمارِ الأسود

قيل : إنّ تاجراً من أهل الكوفة قدم المدينة بخُمُر فباعها كلّها وبقيت السُّود منها ، فلم تَنْفُقْ ، وكان صديقاً للدَّارمي[1] ، فشكا ذاك إليه ، وقد كان نَسِكَ وترك الغناء وقول الشعر ، فقال له : لا تهتمّ بذلك فإنّي سأنفقها لكَ حتّى تبيعها أجمع ، ثم قال :

قُلْ لِلْمَلِيحَةِ في الخمارِ الأسودِ ... ماذا صَنَعْتِ براهبٍ مُتَعبِّدِ

قد كان شَمَّرَ لِلصلاةِ ثيابَهُ ... حتّى وقفتِ لهُ ببابِ المسجدِ

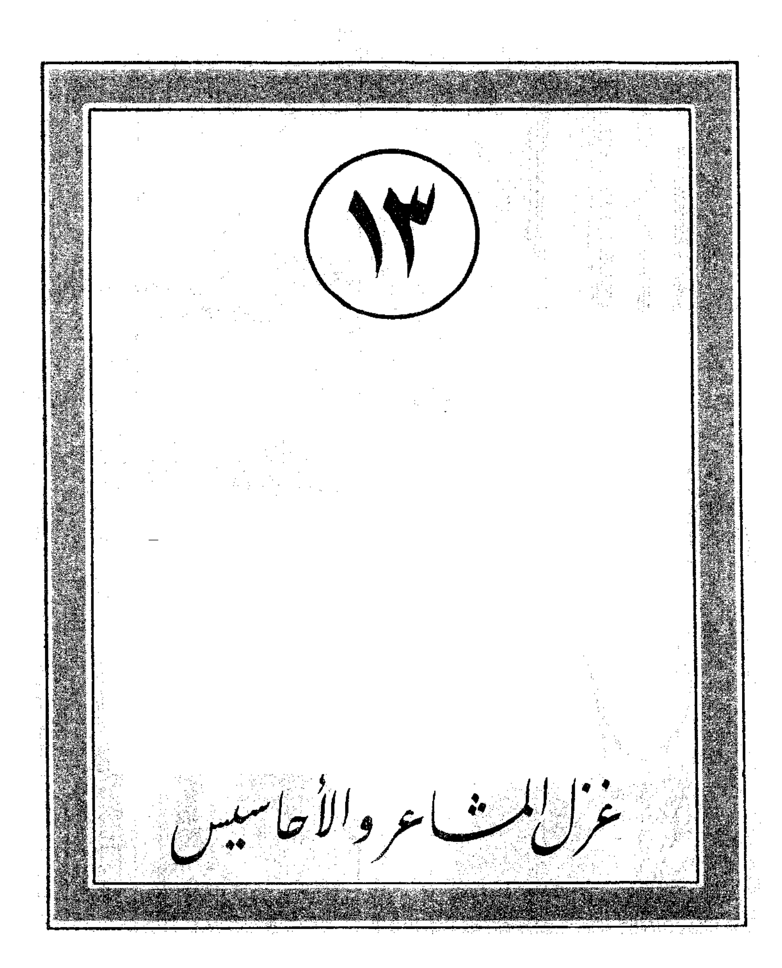
وغنّى فيه ، وشاع في الناس ، وقيل : قد رجع الدارمي عن نُسْكِهِ ، فلم تبقَ في المدينة ظريفة إلّا ابتاعت خِماراً أسود حتّى نَفِدَ ما كان مع العراقي منها . فلمّا علم بذلك الدارميّ رجع إلى نُسكه ولزم المسجد .

(الأصفهاني : الأغاني ، ٣/ ٤٥)

* * *

(١) الدارمي (. . . ـ نحو ١٥٥هـ/ ٧٧٢م) .

هو سعيد الدارمي التميمي من بني سويد بن زيد . شاعر غزل من المغنّين الظرفاء ، من أهل مكّة (الزركلي : أعلام ، ٣/ ١٤٦) .



١٣
غزل المشاعر والأحاسيس



طيفُ الحبيبِ

أنشد أحدهم :

قالت لطَيْفِ خَيالٍ زارَها ومَضى
بالله صِفْهُ ولا تَنْقُصْ ولا تَزِدِ
فقال : خلّفتُهُ لو ماتَ مِن ظمأٍ
وقلتُ قِفْ عن وُرودِ الماءِ لم يَرِدِ
قالت : صدقتَ ، الوَفا في الحبِّ عادتُهُ
يا بَرْدَ ذاكَ الذي قالت على كَبِدي !

(الثعالبي : يتيمة ، ١/ ٩٢)

* * *

رسول الحبيب

قال حمدان الموصلي :

يا رسولَ الحبيب وَيْحَكَ قد أَلْـ ـقَى عليكَ الحبيبُ حُسْناً وطِيبا
وتعلّمتَ حُسْنَ ألفاظِهِ تِلْـ ـكَ فَظَرُفْتَ بادِئاً ومُجيبا

ولقــد كِـدْتُ أَن أضمّــكَ لَــوْلا أن يسيءَ الـظنونَ أو يَسْتــرِيبا
خِيفــةَ أن يكــونَ ذاكَ كمــا قِيـ ـلَ قـديماً ، صـارَ الرسـولُ حَبيبا

(الثعالبي : يتيمة ، ١/ ٩٠)

* * *

خَفْق الفؤاد

قال الحظيري الورّاق[١] :

يـقــولُ لـي حـيـنَ وافَــى قــد نِـلْتَ مــا تَـرْتَجيـهِ
فـمــا لـقـلبـكَ قــد جــا ءَ خَـفْـقُـهُ يَـعْـتَـريـهِ
فـقـلت : وَصْــلُـكَ عُـرْسٌ والــقــلبُ يَـرْقُصُ فــيـهِ

(الصفدي : نصرة الثائر ، ص ٢٢٠)

* * *

العــنــاق

أنشد أبو المُطاع ذو القرنين بن ناصر الدولة أبي محمد :

إنّي لأحسِدُ «لا» في أَسْطُرِ الصُّحُفِ
إذا رأيتُ اعتنـاقَ الـلام لِـلألفِ
ومـا أَظُنّهمـا طـالَ اجْتِمـاعُهُمـا
إلاّ لِمَا لَقِيَا مِن شِدّةِ الشغَفِ[٢]

(الثعالبي : يتيمة ، ١/ ٩١)

* * *

---

(١) الحظيري الورّاق (ت ٥٦٨ هـ/ ١١٧٢ م) .
هو أبو المعالي سعد بن علي الأنصاري الخزرجي المعروف بدلاّل الكتب (فرّوخ : تاريخ الأدب ، ٣/ ٣٤٤) .
(٢) الشغف : شدّة الحبّ .

جوارح الحبيب

قال بعضهم أنشدتُ إسحاق الكِندي[1] :

وفـي أَرْبــعٍ مِنّـي حَـلَتْ منــكِ أربــعُ
فمــا أنـا أدري أَيُّهــا هــاجَ لي كَــرْبي
أَوَجْهُــكِ في عيني أم الـطعمُ في فَمي
أَمِ النُّطْقُ في سَمْعي أَمِ الحبُّ في قلبي

فقال : والله ، لقد قسّمتها تقسيماً فلسفياً .

(ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ص ٢٨٨)

* * *

مسألــة

يقول الثعالبي : لم أسمع أملح وأظرف من قول أبي العشائر الحمداني في الغَزل :

للعبــدِ مَسـألــةٌ عليـكَ جـوابُهـا   إن كنتَ تـذكـرُهُ فـهـذا وقتُـهُ
ما بالُ رِيقـكَ ليس مِلْحاً طعمُـهُ   ويـزيـدني عَـطَشـاً إذا مــا ذُقْتُهُ؟

(الثعالبي : خاص الخاص ، ص ١٤٤)

* * *

(١) الكِنْدي (. . . ـ نحو ٢٦٠ هـ/ ٨٧٣ م) .
يعقوب بن إسحاق . فيلسوف العرب في عصره (الزركلي : أعلام ، ٨/ ٧٠) .

شَيْبُ الدموع

قال المسعودي[1] شارح المقامات :

قـالت : عَهِـدْتُـكَ تبكي   دَمـاً حِـذارَ التَّـنـائـي
فَلِمْ[2] تَعَـوّضْتَ عنهـا   بعـد الـدمـاءِ بمـاءِ ؟
فـقـلتُ مـا ذاكَ مـنّـي   لِـسَـلْوةٍ أو عَـزاءِ
لـكن دُمـوعـي شـابَتْ   مِن طُـول عُمـر بُكـائي

(ابن خلكان : وفيات ٤/ ٣٩١)

* * *

عِشْق الأذن

قال بشّار بن بُرد (وكان أعمى) :

يـا قـومُ أُذْنِي لبعض الحيِّ عـاشِقـةٌ
والأُذْنُ تَـعْشَـقُ قبـلَ الـعـيـنِ أحـيـانـا
قالوا : بمَنْ - لا تَرى - تَهْذِي فقلتُ لهم
الأُذْنُ كـالعَيْنِ تُـوفي القلبَ مـا كـانـا

(بشّار : ديوان ، ص ٤/ ١٩٤)

* * *

---

(١) المسعودي - شارح المقامات (٥٢٢ هـ/ ١١٢٨ م - ٥٨٤ هـ/ ١١٨٨ م) .
هو محمد بن أبي السعادات عبد الرحمن بن محمد المسعودي ، الملقب تاج الدين . كان أديباً فاضلاً ، اعتنى بالمقامات الحريرية فشرحها (المصدر نفسه) .

(٢) لِمْ : لماذا .

جوارحي مُقَلٌ

قال محمد بن عمر[1] :

أخفيتُ حبّكِ عن جميع جَوانحي[2] ... فـوَشَتْ عُيـوني والـوُشـاةُ عُيــونُ
وَدِدْتُ أنّ جَـوانحي وجـوارحي ... مُقَـلٌ تـراكِ ومـا لهنّ جُفُـونُ[3]
وَدِدْتُ دمـعَ الخـافِقَيْن[4] لِمُقلتي ... حتّى عَـزيزُ الـدمـعِ فيـكِ يَهـونُ
يا ليتَ قيساً[5] في زمـان صَبابتي ... حتّى أُريــهِ العِشْقَ كيف يكــونُ

(الصفدي : الوافي ، ٤/ ٢٧١)

* * *

لا قَطْعَ في ثمرٍ

قال محمد بن ابراهيم التجاني[6] :

قَـطَفْتُ بـاللحظِ مِن بُستـانِ وَجْنَتِـهِ
تُفّـاحـةً ضَـرَّجَتْهـا حُمْـرَةُ الخَفَـرِ[7]
وقلت : هــذا أَمـانٌ مِن قَـطِيعَتِــه
فالشرعُ قد نَصَّ أن لا قَطْعَ في ثَمرِ

(الصفدي : الوافي ، ٢/ ١٥)

* * *

---

(١) محمد بن عمر (. . . - نحو ١٤٠هـ / ٧٥٧م) هو الشيخ صدر الدين محمد بن عمر بن مكيّ . أحد أعاجيب الزمان في الذكاء والحافظة والذاكرة . (الصفدي : الوافي ، ٤/ ٢٦٤) .

(٢) جوانحي : أضلاعي .

(٣) مقل : عيون .

(٤) الخافقين : المشرق والمغرب .

(٥) قيساً : يشير إلى قيس ليلى .

(٦) محمد بن ابراهيم التجاني .
هو محمد بن ابراهيم التجاني البجلي اللغوي . أديب متفنّن من أهل تونس (المصدر نفسه) .

(٧) الخفر : الحياء الشديد .

حديدٌ يمنع الجاني

قال الأنطاكي[1] :

أفـدِي التي زارَتْ بـلا مَـوْعـدٍ ... في غفـلةِ الـواشِيـنَ والجـانـي
والـوجـهُ منهـا رَوْضَـةٌ أيْنَعَـتْ ... مـا لَـمَسـتْهـا راحـةُ الـجـاني
قمتُ لأجني الـوردَ مِن خَـدّهـا ... وهي بسَيْفِ[2] اللحظِ تَـرْعـاني
فقلت : مـا هـذا ! وقـد راعَني ... قـالت : حـديـدٌ يمنـعُ الجـاني !

(الأنطاكي : تزيين الأسواق ، ٢/ ٦١)

* * *

أَسير الليل

كان للشيخ أحمد بن أبي الحسن[3] شعر منه :

إذا جَنَّ لَيْلي هـامَ قلبي بـذكـركم ... أنـوحُ كمـا نـاحَ الحمـامُ المُـطَوَّقُ
وفوقي سَحابٌ يمـطرُ الهمَّ والأَسَى ... وتـحتي بحـارٌ بـالأسـى تَتـدفَّـقُ
سَلوا أُمَّ عَمـروٍ كيف باتَ أَسِيـرُها ... تُفَكُّ الأسـارى دُونَـهُ وهـو مُـوثَقُ

---

(١) الأنطاكي (. . . ـ ١٠٠٨ هـ/ ١٦٠٠ م) .
داود بن عمر الأنطاكي . عالم بالأدب والطب ، كان ضريراً (الزركلي : أعلام ، ٣/ ٩) .
(٢) سيف اللحظ : كناية عن نظراتها التي هي كالسهام .
(٣) ابن الرفاعي (. . . ـ ٥٧٨ هـ/ ١١٨٢ م) .
هو الشيخ أحمد بن أبي الحسن المعروف بابن الرفاعي (ابن خلكان : وفيات ، ١/ ١٧٢) .
والطائفة الرفاعية منسوبة إليه (المصدر نفسه) .

فـلا هُوَ مقتـولٌ ففي القتـلِ راحـةٌ
ولا هُـوَ مـمنـونٌ عَـلَيْـهِ فَيُـطْلَقُ

(ابن خلكان : وفيات ، ١/ ١٧٢)

* * *

العِفّة في الحبّ

أنشد أبو عبد الله الواسطي قائلاً :

كم قد ظَفِرْتُ بِمَنْ أَهْوى فَيَمْنَعُني ... منهُ الحَيَاءُ ، وخوفُ الله ، والحَذَرُ
وكم خَلَوْتُ بِمَنْ أَهْوَى ، فَيُقْنِعُني ... منهُ الفُكاهَةُ ، والتحديثُ ، والنظرُ
أَهْوَى المِلاحَ وأَهْوَى أن أُجالِسَهُم ... وليس لِي في حَرام ٍ منهمُ وَطَرُ[1]
كـذلـكَ الحُبُّ لا إِتْيـانُ مَعْصِيَـةٍ ... لا خَيْرَ في لَذَّةٍ مِن بعدِها سَقَرُ[2]

(الوشّاء : الموشّى ، ص ٦٩)

شدّة الشوق

قال الشاعر :

إذا ذكـرتـكِ كـادَ الشـوقُ يقتلُني ... وأرّقَـتْـنـي[3] أحـزانٌ وأوجـاعُ
وصـارَ كلِّي قُلوبـاً فيـكِ داميـةً ... للسّقْـمِ فيـهـا ولـلآلام إسـراعُ
فـإن نَـطَقْتُ فكلّي فيـكِ أَلسنـةٌ ... وإن سمعتُ فكلّي فيـك أسمـاعُ

(الثعالبي : لطائف ، ص ١٤٩)

* * *

(١) الوطر : الحاجة والبغية .
(٢) سقر : علم لجهنّم .
(٣) أرقتني : أبعدت النوم عن عيني .

الجوى في الهوى

قال الطغرائي[1] :

وسائلٍ عن جَوى قلبي فقلتُ لهُ ... مــا أنتَ عنــدي على سِــرٍّ بمُتَّهَمِ
طاب الجَوَى[2] في الهَوى حتّى أَنِسْتُ به ... فهـوَ المرارةُ يَحْلو طَعْمُهـا بفمي !

(النويري : نهاية الأرب ، ٢/ ٢٩٣)

* * *

رُوحان لي !

قال أحدهم :

اللـهُ يـعـلمُ أنّـنـي كَـمِـدُ ... لا أسـتـطيـعُ أَبُثُّ مـا أَجِـدُ
رُوحـان لـي : روحٌ تَضَـمّـنـهـا ... بـلدٌ ، وأخـرى حـازَهـا بَـلَدُ
وأرى الـمُقـيمـةَ لـيس ينفعُـهـا ... صـبـرٌ ولا يـقـوى بـهـا جَلَدُ
وأَظـنّ غـائبتـي كـشـاهـدتـي ... بمكـانـهـا تَجِـدُ الـذي أَجِـدُ

قال المبرّد : إنّ هذا لطريفٌ والله !

(السرّاج : مصارع العشّاق ، ١/ ١٦)

* * *

---

(١) الطغرائي (٤٥٥هـ/ ١٩٦٣م/ ـ ٥١٣هـ / ١١٢٠م) .
هو الحسين بن علي الأصبهاني الطغرائي . شاعر من الوزراء والكتّاب (الزركلي : أعلام ، ٢/ ٢٤٦) .

(٢) الجوى : شدّة الشوق .

معاناة

قال أحدهم[1] :

هـا أَنَـذَا عـارِي الجَسَـدْ　　أَسْهَـرني الـذي رَقَـدْ[2]
آهٍ لـعَـيْـنٍ نَـظَرتْ　　إلى غـزالٍ ذِي غَـيَـدْ[3]
أَرَيْـتَـنـي يـا نـاظِـري　　صَيْـدَ الغـزالِ لـلأسـدْ
إنّ الـضَّـنَـى لـهـجـرِهِ　　يـا عـاذِلي هَـدَّ الجَسَـدْ
حَـشـا حـشـايَ إذ نـأى　　نـارَ الغَضَـا حينَ شَـرَدْ[4]
يـا غـادِراً غـادَرَنـي　　عـلى لَـظَى نـارٍ تَقِـدْ[5]
ألّا اصْـطَنَـعْـتَ نـاحِـلاً　　لا يـشـتـكـي إلـى أَحَـدْ

(الصفدي : نصرة الثائر ، ص ٣٧٢)

* * *

خطّ العاشقين

قال الناشىء :

كتبتُ إليكم أشتكي حُرْقَةَ الهَوى　　بخطٍّ ضعيفٍ ، والخطوطُ فُنونُ
فقال خَليلي : ما لخطّكَ هكذا　　دقيقاً ضئيلاً ما يكادُ يبينُ
فقلتُ : حَكاني في نُحولٍ ودِقّةٍ　　كذاك خطوطُ العاشقين تكونُ

(الأصبهاني : محاضرات ، ١/ ١٠٢)

* * *

---

(١) هذه قطعة إذا قُرئت لا تتحرّك فيها الشفتان .
(٢) رقد : نام .
(٣) غَيد : نعومة ورقّة .
(٤) نأى : ابتعد . الغضا : شجر خشبه من أصلب الخشب ، وجمره يبقى زمناً طويلاً لا ينطفىء .
(٥) لظى : لهيب . تقد : تشتعل .

يوم الفراق

قال حبيب بن أحمد الأندلسي[1] :

وَدَّعَتْنِي بِزَفْرةٍ وآعْتِنَاقِ ... ثُمّ نادَتْ متى يكونُ التلاقي ؟
وتصدَّت فأشرقَ الصبحُ منها ... بين تلك الجُيوبِ والأطواقِ[2]
يا سقيمَ الجُفونِ مِن غيرِ سُقْمٍ ... بين عَيْنَيْكِ مصرعُ العُشّاقِ
إنَّ يومَ الفراقِ أفظعُ يومٍ ... ليتني مِتُّ قبلَ يومِ الفراقِ

(الثعالبي : يتيمة ، ١/ ٤٤٦)

* * *

عِقد لؤلؤ

قال الوأواء[3] :

جعَلتْ تشتكي مِن الفراقِ وفي أجـ ... ـفانِها عِقْدُ لُؤلؤٍ منثورِ
فكأنّ الكُحْلَ السحيقَ مع الدمـ ... ـعِ على خدّها بقايا سُطورِ

(الثعالبي : يتيمة ، ١/ ٢٧٥)

* * *

---

(١) حبيب بن أحمد الأندلسي (. . . ـ نحو ٤٣٠ هـ/ ١٠٣٨ م)
لعله حبيب بن أحمد القرطبي الأندلسي . شاعر وأديب أدرك أيام الحكم المستنصر (الزركلي : أعلام ، ٢/ ١٧٠) .

(٢) الجيوب : جيوب الثوب . الأطواق : جمع طوق ، وهو حَلْي للعنق يحيط به .

(٣) الوأواء (. . . ـ نحو ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م) .
هو محمد بن أحمد الغسّاني الدمشقي ، المعروف بالوأواء . شاعر مطبوع ، حلو الألفاظ ، في معانيه رقّة (الزركلي : أعلام ، ٦/ ٢٠٤) .

خبرُ الحبّ

أنشد أبو الطيب :

سلني عن الحبّ يا مَن ليس يعلمُهُ   عندي مِن الحبّ إن ساءَلتِني خَبَرُ
إنّي آمرؤٌ بالهوى ما زلتُ مشتهراً   لاقيتُ فِيهِ الذي لم يلقهُ بشرُ
الحبُّ أوّلهُ عَذْبٌ مَذاقتُهُ   لكن آخِرهُ التنغيصُ والكَدَرُ

(ابن قيّم الجوزية : أخبار النساء، ص ٣٢)

* * *

أَميرٌ أسير !

عشق ابن المعتزّ فملكه الهوى ، وسأل الناس أن يعذروه ولا يلوموه فقال :

لا تلومُوني على حبِّ هندٍ   سَحَرَتْني ، وإنّما الحبُّ سِحْرُ !

فلما اشتدّ به الوَلَه نادى :

أَسرَ الحبُّ أميراً   لم يكنْ قبلُ أَسيرا
فأرْحَموا ذُلَّ عزيزٍ   صارَ عبداً مُسْتَجِيرا

(المنجّد : الظرفاء والشحاذون ، ص ٤٠)

* * *

مخالفة الحبيب

قال محاسن الشوا[1] :

أَدِينُ فما يُدني ، أَفِيء فما يَفي
أَكُفُّ فما يكفي ، أَجود فما يُجْدِي[2]

(١) محاسن الشوّا (. . . ـ ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧ م) . واسمه يوسف بن اسماعيل شهاب الدين ، شاعر من الأدباء (ابن خلّكان : وفيات ، ٢/٤١١) .

(٢) أدين : أخضع . أفيء : ارجع .

تَهَنَّوا أَهُنْ ، جُوروا أُجِرْ ، أَوْعِدُوا أُعِدْ
تَسلَّوْا أَسَلْ ، صُولوا أَصِلْ ، هَدّدوا أُهْدِي[1]

(الصفدي : نصرة الثائر ، ص ٢٥٦)

* * *

وقال آخر في المعنى ذاته :

يا مَن وَقَفْتَ على فَرْطِ الضَّنَى جَسَدي
فيهِ ، وقلبي على التعذيبِ والعَنَتِ
بِنْ[2] أَدْنُ ، قاطِع أَصِلْ ، بُحْ أُخْفِ ، شُحَّ أَجُدْ
خُنْ أُوفِ ، جُرْ أَعْدِلِ ، آسْخَطْ أَرْضَ ، عِشْ أَمُتْ

(الصفدي : نصرة الثائر ، ص ٢٥٧)

* * *

عتاب الضمائر

قال أحدهم :

أُريدُ عتابَهُ فإذا التقينا   تعاتبتِ الضمائرُ في النفوسِ
سأصمتُ لا أَلُمْهُ ولا يَلُمْني   لقد فهمَ الضميرُ على الضميرِ

(الأنصاري : مشارق ، ١/ ٨٣)

* * *

(١) أجر : أُساعد . أَسَل : أسأل . صولوا : اقهروا .
(٢) بن : باعد .

التواء المحبوب

قال أحدهم :

إنَّ التي عــذّبتني في مـحبّـتهــا ... كلَّ العذابِ فما أبقتْ ولا تركَتْ
عاتبتُها فبكَتْ ، فاَسْتَعْبَرتْ[1] جَزَعاً ... عيني ، فلمّا رأتني باكياً ضَحِكَتْ
فعدتُ أضحكُ مسروراً بضحكتها ... منّي فلمّا رأتني قد ضحكتُ بَكَتْ
تَهْوَى خِلافي كمـا حثَّتْ براكبهـا ... يوماً قَلُوصٌ[2] فلمّـا حَثّها بَـرَكَتْ

(الأصبهاني : محاضرات ، ٣/ ٧٥)

* * *

عيّرته بالنوم

قال ابن طباطبا[3] :

عيّـرتني بـالنـومِ جَـوْراً وظلْمـاً ... قلتُ : زِدْتِ الفؤادَ همّـاً وغمّاً
إسْمَعي حُجّتي وإن كـنتُ أدري ... أنّ عُـذري يكـونُ عنـدكِ جُـرْمـا
لـم أنَمْ لـذّةً ولا نـمـتُ إلاّ ... طَمعـاً في خَيالكم أن يَلُمّـا[4]

(الثعالبي : يتيمة ، ١/ ٤١٣)

* * *

النومُ ممنوع !

قال جحظة البرمكي :

فقلتُ لهـا : بَخِلْتِ عليَّ يَقْـظَى ... فجُودِي في المنامِ اَلْمُسْتَهـامِ

---

(١) استعبرت : دمعت . الجزع : شدّة الخوف .
(٢) القلوص : الناقة الشابّة .
(٣) هو أبو القاسم أحمد بن محمد بن اسماعيل الحسني الرسّي .
(٤) يلمّ : يأتي .

فقالت لي : وصِرْتَ تنامُ أيضاً   وتطمعُ أن أَزورَكَ في المنام !

(ابن خلكان : وفيات ، ١/ ١٣٣)

* * *

أين أذهب ؟

قال عمرو الورّاق :

فلو كان لي قلبانِ عشتُ بواحدٍ   وخَلّفتُ قلباً في هَواكِ يُعَذّبُ
ولكنّما أَحيا بقلبٍ مُرَوَّعٍ   فلا العيشُ يصفو لي ولا الموتُ يقربُ
تَعلّمتُ أسباب الرِّضى خوف هجرها   وعلّمها حبّي لها كيف تَغْضَبُ
ولي أَلفُ وجهٍ قد عرفتُ مكانها   ولكن ، بلا قلبٍ إلى أين أذهبُ ؟

(الأصفهاني : الأغاني ، ٦/٢٩٦) .

* * *

ومما قيل في الغيرة على المحبوب

أغار عليه منّي

قال أبو تمّام (حبيب بن أوس الطائي) :

بنفسي مَن أَغَارُ عليهِ منّي   وتحسدُ مُقلتي نظري إليهِ
ولو أنّي قَدِرْتُ طَمَسْتُ عنهُ   عُيونَ الناس مِن حَذَري عليه
حَبيبٌ بَثَّ في قلبي هَواهُ   وأمسكَ مُهْجَتي رهْناً لَدَيْهِ
فَرُوحي عندهُ والجسمُ خالٍ   بِلا رُوحٍ وقلبي في يَدَيْهِ

(الأنطاكي : تزيين الأسواق ، ٢/ ٤٤)

* * *

أَغار عليكِ مِن طَرْفي

قال ابن حزم الأندلسي :

أَغـارُ عليـكِ مِن إدراكِ طَـرْفي ... وأُشْفِقُ أن يُـذيبَـكِ لَمْسُ كَفِّي

فـأمتنـعَ اللقـاءَ حِـذَارَ هـذا ... وأعتمـدُ التَّـلاقي حينَ أُغْفي

فـروحي إن أَنَمْ بـكِ ذو انْفـرادٍ ... مِن الأعضـاءِ مُسـتَتِـرٌ وَمَخْـفي

ووصلُ الروحِ ألـطفُ مِنكِ وَقْعاً ... مِن الجسم المُواصِلِ أَلْفَ ضِعْفِ

(ابن حزم : طوق الحمامة ، ص ٩٨)

* * *

يا ربِّ قبّحها إلى كل ناظر

من لطيف كلام ابن أبي الحديد(١) :

فيا ربِّ بَغّضْها إلى كلِّ صاحبٍ ... سِواي وقبّحها إلى كـلِّ نـاظِـرِ

وَبَغِّضْ إليها الناس غيري كما أرى ... قبيحـاً سِـواها كـلَّ بـادٍ وحـاضِـرِ

فيا جنّةً فيهـا العذابُ ولم أخَفْ ... حُلولَ عـذابٍ في الجِنان النـواضِـرِ

(الأنطاكي : تزيين الأسواق ، ٢/ ٤٣)

* * *

أَغَارُ منكَ عليكَ !

قال الخُبْزُ أُرْزي(٢) :

خَلصَ الهوى لكَ وآصْطَفَتْكَ مَحبّتي ... حتّى أَغـارَ عليـكَ مِن مَلَكَيْكـا

(١) ابن أبي الحديد (٥٨٦هـ/ ١١٩٠م - ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) .
هو عز الدين عبد الحميد المدائني . صاحب شرح نهج البلاغة المشهور .

(٢) الخُبز أُرْزي (. . . - ٣٢٧هـ/ ٩٣٩م) .
هو أبو القاسم نصر بن أحمد بن نصر بن المأمون . كان يخبز خُبز الأُرز في دكّان له في مربد البصرة (فروخ : تاريخ الأدب ، ٢/ ٤٣٠) .

وأَرَاكَ تَخْطُرُ في محاسِنِكَ التي هي مِحْنَتي فأغارُ منكَ عَلَيْكا
ولو آسْتَطَعْتُ جَرَحْتُ لفظكَ غَيْرةً إنّي أراهُ مُقَبِّلاً شَفَتَيْكا

(الصفدي : نصرة الثائر ، ص ٣٧٩)

* * *

أين تحميني ؟

قال معين الدين بن تولُوا :

لم أنْسَه إذ قال : أين تُحِلُّني[1] حَذَراً عليَّ من الخيالِ الطارقِ
فأجبتُهُ : قلبي ، فقال تعجُّباً : أرأيت عُمْرَكَ ساكِناً في خافِقِ[2]

(الصفدي : نصرة الثائر ، ص ٢٢٢)

* * *

النهي عن وصف الحبيب

ومن أعاجيب أَحاسِن ابراهيم بن المهدي في هذا :

ولستُ بواصِفٍ أَبداً حبيباً أُعرِّضُهُ لأهواءِ الرجالِ
وما بالي أُشَوِّقُ قلبَ غَيْري إليهِ ودونَهُ سِتْرُ الحِجالِ[3]
كأنّي أشتهي الشُّركاءَ فيهِ وآمَنُ فيهِ أحداثَ الليالي

(الثعالبي : خاص الخاص ، ص ١١٦)

* * *

(١) تحلّني : تنزلني وتسكنني .
(٢) الخافق : القلب .
(٣) الحجال : جمع حجلة ، وهو سترٌ يُضرب للعروس في جوف البيت . وربّات الحجال : النساء .

ومما جاء في الحث على كتمان الهوى :

لم يَبُح

أنشد بعضهم :

وقـائلةٍ ما بـالُ جسمـكَ لا يُـرى سَقيمــاً وأجســامُ المحبّين تَسْقَمُ
فقلت لها : قلبي بحبِّكِ لم يَبُحْ لجسمي فجسمي بالهوى ليس يعلمُ

(ابن قيّم الجوزية : أخبار النساء ، ص ٢٨)

* * *

سِرّ المحبّة

وقد أحسن بعضهم وتلطّف وأبدى ما هو أدقّ وألطف ، حيث قال :

وَمُسْتَـوْدِعي سِـرّاً تقصّيتُ سِـرّهُ فـأَوْدَعْتُهُ مِن مُسْتَقَـرِّ الحَشـا قَبْـرا
وما السرُّ في قلبي كمَيْتٍ بحُفرةٍ لأنّي أرى المدفونَ ينتظرُ الحَشْرا
ولـكنّـني أُخـفيــهِ حتّـى كـأنّــهُ مِنَ الدهرِ يوماً ما أحطتُ به خُبْرا

(الأنطاكي : تزيين الأسواق ، ٢/ ٤٥)

* * *

اختلاس النظر خشية الرقباء

قال أحدهم :

إذا مـا التقينا والـوُشـاةُ بمجلسٍ فليس لنا رسلٌ سِوى الطَّرْفِ للطَّرْفِ
فـإنْ غـفَلَ الـواشونَ فُـزْتُ بنظرةٍ وإن نظروا نَحْوي نظرت إلى السقفِ

(الأصبهاني : محاضرات ، ٣/ ١١٧)

* * *

سِرّي وسرّها

قال أحدهم :

لَعَمْري ما آسْتَوْدَعْتُ سِرّي وسرّها سِوانا ، حِذاراً أن تشيعَ السرائرُ
ولا خاطَبْتُها مُقلتايَ بنظرةٍ فتعلمَ نَجْوانا العُيونُ النواظِرُ
ولكنْ جعلتُ اللحظَ بيني وبينها رسولاً ، فأدّى ما تُجِنُّ[1] الضمائرُ

(الوشّاء : الموشّى ، ص ٦٢)

* * *

ومما قيل في الطبابة والهوى :

طبيبي حبيبي

قال الصاحب بن عبّاد :

لقد قلتُ لمّا أَتَوْا بالطبيبِ وصادفَني في أَحرِّ اللهيبِ
وداوَى فلم أنتفعْ بالدواءِ دَعُوني فإنّ طبيبي حبيبي
ولستُ أُريدُ طبيبَ الجُسومِ ولكن أُريدُ طبيبَ القلوبِ
وليس يُزيلُ سِقامي سِوى حُضورِ الحبيبِ وبُعْدِ الرقيبِ

(الثعالبي : يتيمة ، ٣/ ٢٣٣)

* * *

(١) تجن : تخفي .

دواءُ الحبّ غالٍ

أنشد حمّاد بن إسحاق[1] :

ولــقــد قــال طـبـيـبـي وطـبـيـبـي غــيــرُ آلِ[2]
أُشْكُ ما شئتَ سوى الحُبـ ـبِ فـإنّـي لا أُبـالـي
سَـقَـمُ الـحـبِّ رخـيـصٌ ودواءُ الـحـبِّ غـالِ

(السرّاج : مصارع العشّاق ، ص ٣٢١)

* * *

ومما قيل في الغزل أيضاً :

التشفّي من الحبيب

قال الصابىء[3] :

أَقْبَلَتْ ثـمّ قبّلتْ ظهـرَ كـفّي قُبلةً تنقـعُ الغليـلَ وتَشـفي
فـتـلظّى فـمـي عـلـيـهـا وَوَدَّتْ شَـفَتي أنّـهـا هـنـالك كَفّـي
فَعَضَضْتُ اليـدَ التي قَبَّلَتْهـا بفمٍ حـاسـدٍ يُـريـدُ التشفّي

(الأصبهاني : محاضرات ، ٣/ ١٢٢)

* * *

---

(١) حمّاد بن إسحاق (. . . - ٢٦٧هـ/ ٨٨٠م) .
هو حمّاد بن إسحاق بن إسماعيل الأزدي . فقيه عراقي ، ممن انتشر على أيديهم مذهب مالك (الزركلي : أعلام ، ٢/ ٢٧١) .

(٢) آل : مقصّر .

(٣) الصابىء (٣١٣هـ / ٩٢٥م - ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م) .
هو أبو إسحاق إبراهيم بن هلال بن هارون الصابي الحرّاني . كان أوحد العراق في البلاغة في زمانه (الزركلي : أعلام ، ١/ ٧٣) .

زكاة الصِّبا

قال ابن سناء الملك :

وغـانيـةٍ لم تَعْـدُ عشـرينَ حِجّـةً أَقـول لهـا قَـوْلاً لـديـهِ صَـوابُ
عليـكِ زكـاةٌ فـآجْعَلِيهـا وِصَـالنـا فـعمْـرُكِ عـشـرون وذاك نصـابُ

(الصفدي : نصرة الثائر ، ص ٢٤٩)

* * *

حِيلة عاشق

قال تُوَيْت اليمامي[١] :

قد تَحيّلْتُ كي أَرى وجهَ سعدى فـإذا كـلُّ حِيلـةٍ تُـعْيـينـي
قلتُ لمّـا وقفتُ في سُدَّةِ البـاب لـسعـدى مَقـالَـةَ المسكـينِ
إفْعلي بي يا ربّةَ الخِدْرِ[٢] خيراً ومِنَ المـاءِ شَـرْبـةً فـآسْقينـي
قـالتِ المـاءُ في الـرّكيِّ[٣] كثيرٌ قلتُ : مـاءُ الـركيِّ لا يَـرْويني
طَـرَحَتْ دُونيَ السّتـورَ وقـالت : كـلَّ يـومٍ بـعلّةٍ تـأتـيـنـي !

(الأصفهاني : الأغاني ، ٢٣/ ٣٩)

* * *

ومما جاء في غزل النساء :

جرحٌ بجرحٍ

قالت مُهجة بنت عبد الرزّاق[٤] :

---

(١) تويت اليمامي :
هو عبد الملك بن عبد العزيز السَّلولي اليمامي . ولد ونشأ ومات في اليمامة ، وكان شاعراً فصيحاً رقيقاً (فرّوخ : تاريخ الأدب ، ٣/ ١٦٦) .

(٢) الخدر : الستر . (٣) الركيّ : الركوة .

(٤) هي مهجة بنت عبد الرزّاق الغرناطية ، شاعرة من شواعر غرناطة في الأندلس .

لِحاظُكم تَجْرَحُنا في الحَشا وَلَحْظُنَا يَجرحُكم في الخدودْ
جُرْحٌ بجُرحٍ فاَجْعلوا ذا بذا فما الذي أَوْجَبَ هذا الصدودْ

(بيهم : المرأة في حضارة العرب ، ص ٢٤٦)

* * *

ولها أيضاً

ولّما أَبَى الواشون إلّا فِراقنا وما لهم عندي وعندكَ مِن ثارِ
وشَنُّوا على أسماعنا كلَّ غارةٍ وقلّ حُماتِي عند ذاك وأنصاري
غَزَوْتُهم مِن مُقْلَتَيْكَ وأَدْمُعي ومِن نَفَسي بالسيفِ والسيلِ والنارِ

(كحّالة : أعلام النساء ، ٥/ ١١٨)

* * *

صفة الحبّ

سُئلت أعرابيّة عن صفة الهوى فقالت :

الحبُّ أَوّلُهُ مَيْلٌ تَهيمُ بِهِ نفسُ المحبِّ فيَلْقَى الموتَ كاللعبِ
يكون مبدؤه مِن نظرةٍ عَرَضَتْ أو مَزْحةٍ أَشعلتْ في القلبِ كاللهبِ
كالنار مبدؤها مِن قَدْحةٍ فإذا تضرّمت[1] أَحرقَتْ مُسْتَجْمَعَ الحطبِ

(ابن قيّم الجوزيّة: أخبار النساء ، ص ٢٦)

* * *

(١) تضرّمت : اشتعلت .

شفاء الحبّ

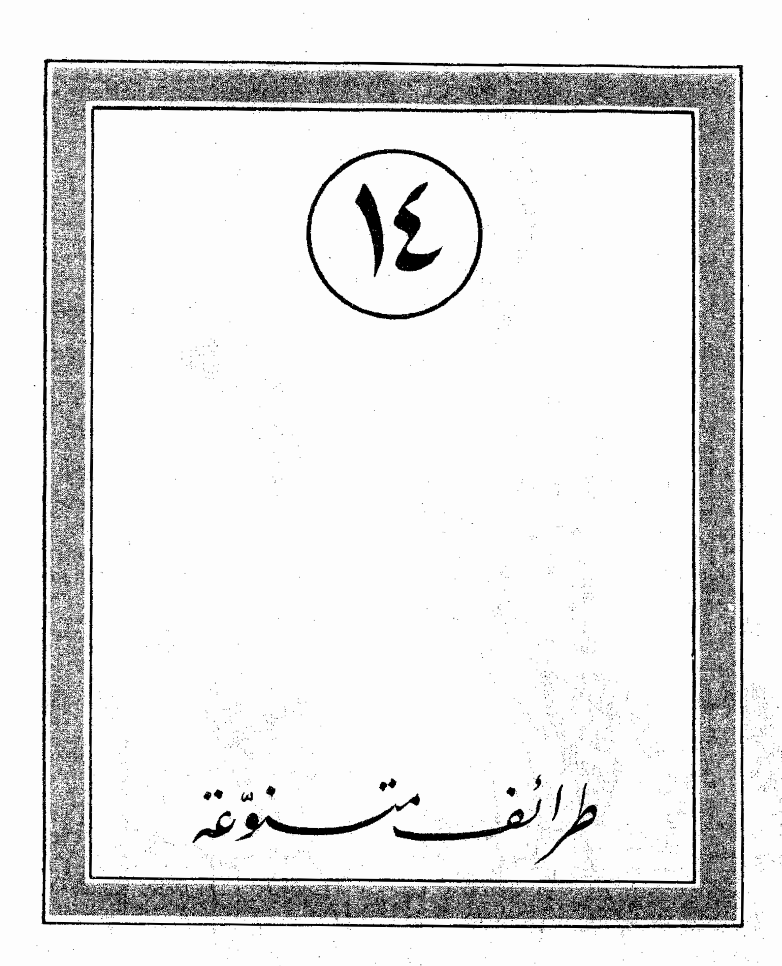
كانت أمّ الضحّاك المحاربية[1] تحبّ رجلاً حبّاً شديداً ، فطلّقها ، فقالت :

سـألتُ المُحبّينَ الـذين تَحمّـلوا ... تَبارِيحَ[2] هذا الحبّ في سالفِ الدهرِ
فقلتُ لهم : ما يُذْهِبُ الحبَّ بعدما ... تَبَوَّأَ ما بينَ آلجَوانحِ[3] والصـدرِ
فقالوا : شِفـاءُ الحبِّ حُبٌّ يُزيلُهُ ... مِن آخرَ أَو نأْيٌ[4] طَويلٌ على هَجْرِ
أو اليأسُ حتّى تَذْهَلَ النفسُ بعدما ... رَجَتْ طَمعاً واليأسُ عَوْنٌ على الصبرِ

(القالي : أمالي ، ٢/ ٨٦)

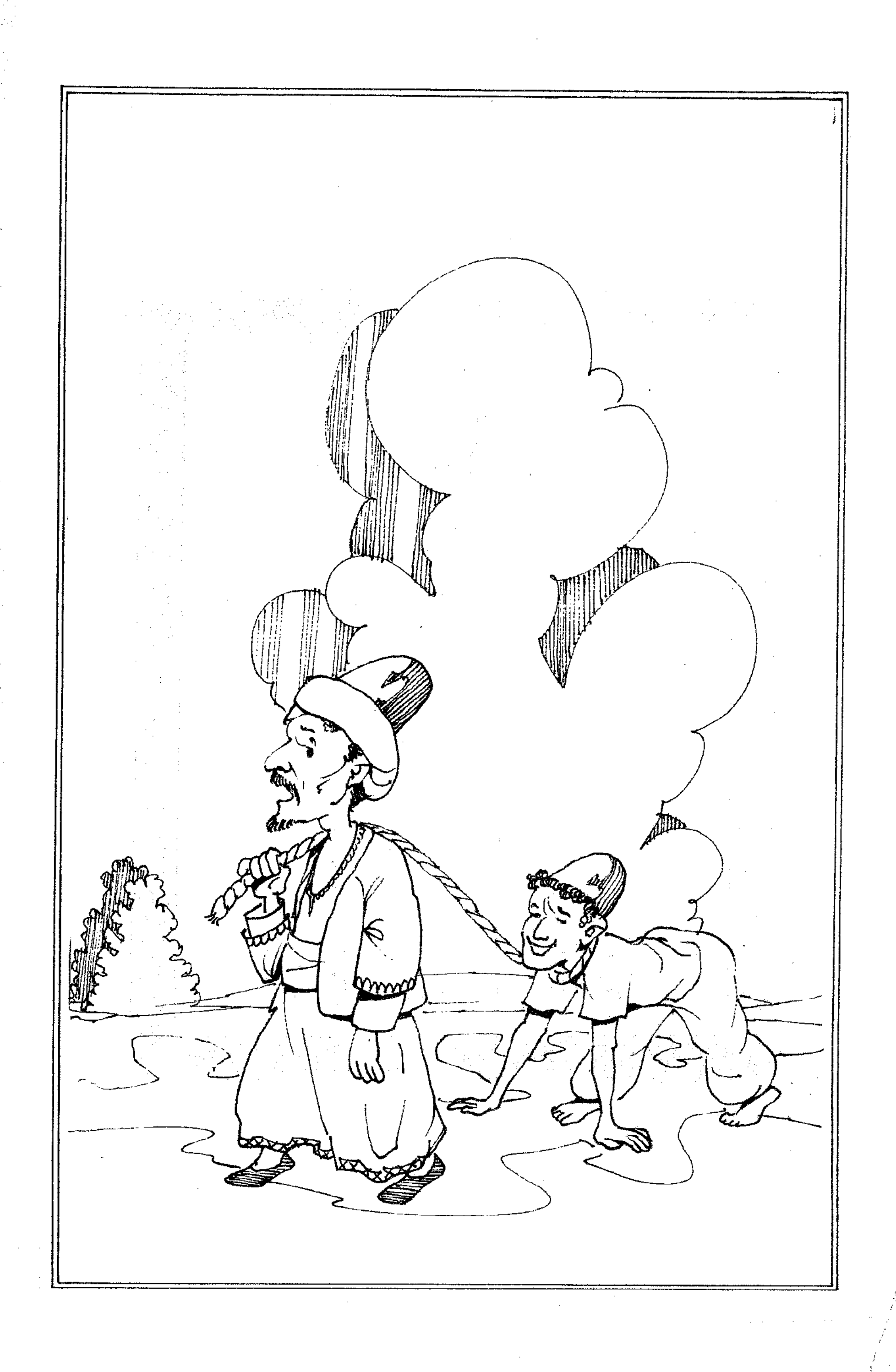
* * *

(١) شاعرة من شواعر العرب ، كانت تحت رجلٍ من بني الضباب .
(٢) تباريح : شدائد .
(٣) الجوانح : الأضلاع .
(٤) نأي : بُعد .



١٤

طرائف متنوّعة



عَبث الجاحظ

قال الجاحظ : ما غلبني أحدٌ قطّ إلاّ امرأة ورجل ، فأمّا الرجل فإنّي كنتُ مُجتازاً ببعض الطرق ، فإذا أنا برجلٍ بَطين[١] كبير الهامةِ[٢] ، طويل اللّحية ، بيده مُشْطٌ يمشطُ به لحيته ، فقلتُ في نفسي : رجلٌ قصيرٌ بطينٌ ألْحَى[٣] ، فاسْتَزْرَيْتُهُ[٤] ، فقلتُ : أيّها الشيخ ، قد قلتُ فيكَ شعراً . فتركَ المشط من يده وقال : قُل . فقلتُ :

كأنّكَ صَعْوَةٌ في أصْلِ حَشٍّ   أصابَ الحَشَّ طَشٌّ بعدَ رشٍّ[٥]

فقال : إسمع جواب ما قلتَ :

---

(١) بطين : كبير البطن .
(٢) الهامة : الرأس .
(٣) ألحى : ذو لحية .
(٤) استزريته : احتقرته .
(٥) الصعوة : الناقة الصغيرة الرأس . الحشّ : البستان . الطشّ : المطر الذي هو أكبر من الرشّ . الرش : المطر الخفيف .

كـأنّـكَ كُنْـدُرٌ في ذَيْـلِ كَبْشٍ يُـدَلْدَلُ هَكَـذا ، والكبشُ يمشي[1]

(الخطيب : متعة الأديب ، ص ٨٩)

* * *

اصعد حتّى ترى الدنيا

وقال الجاحظ : وأمّا المرأة ، فقد رأيتُ بالعسكر امرأةً طويلة القامة جداً ، ونحن على طعام ، فأردتُ أن أمازحها فقلت : انزلي حتّى تأكلي معنا . فقالت : وأنتَ فاصعد حتّى ترى الدنيا!

(ابن الجوزي : الأذكياء ، ص ٢١٧)

* * *

صـورة الـشيطـان

قال الجاحظ : أتتني امرأة ، وأنا على باب داري ، فقالت : لي إليكَ حاجة وأُريد أن تمشي معي . فقمتُ معها إلى أن أتت بي إلى صائغ وقالت له : مثل هذا ! وانصرفَتْ . فسألتُ الصائغ عن قولها ، فقال : إنّها أتت إليَّ تسألني أن أنقش لها على خاتمٍ صورة شيطان ، فقلت لهـا : ما رأيتُ الشيطان لأنقش صورته ! فأتت بكَ وقالت ما سمعتَ !

(السندوبي : أدب الجاحظ ، ص ١٦٦)

* * *

---

(١) كندر : صمغ شجرة شائكة . يدلدل : يضطرب ويتهدّل .

وصيّة الجاحظ

ومن نوادر الجاحظ ما رواه عن نفسه قال : سألني بعضهم كتاباً بالوصيّة[1] فإذا فيها : « كتابي إليكَ مع مَن لا أعرفهُ ولا أُوجب حقّه ، فإن قضيتَ حاجته لم أحمدْكَ ، وإن رددته لم أذمّك » . فرجع الرجل إليَّ ، فقلت : كأنّك قرأتَ الرقعة ؟ قال : نعم . قلتُ :لا يَضيرك[2] ما فيها ، فإنّه علامةٌ لي إذا أردتُ العناية بشخصٍ ! فقال : قطع اللّه يديكَ ورجليكَ ولعنك ! قلتُ : ما هذا ؟ قال : هذا علامة لي إذا أردتُ أن أشكر أحداً .

(السندوبي : أدب الجاحظ ، ص ١٦٦)

* * *

ما تشتهي؟

وقال الجاحظ : مرض عليّ بن عبيدة الريحاني ، فدخلت عليه عائداً وقلتُ له : ما تشتهي يا أبا الحسن ؟ فقال : عيون الرُّقباء ، وألْسُن الوُشاة ، وأكباد الحسّاد .

(التكريتي : طبقات الأطباء ، ص ٩٠)

* * *

ومن نوادر المعلمين

عن الجاحظ أنّه قال : ألّفت كتاباً في نوادر المعلمين وما هم عليه من التغفُّل ، ورجعتُ عن ذلك ، وعزمتُ على تقطيع الكتاب . فدخلتُ يوماً مدينة فوجدتُ فيها معلماً في هيئة حسنةٍ فسلَّمتُ عليه ، فردّ عليَّ أحسن ردٍّ ورحبّ بي .

(١) أي طلب منه توصية .
(٢) لا يضيرك : لا يهمّك .

فجلستُ عنده وباحثته في القرآن فإذا هو مـاهر فيه . ثم فاتحته في الفقه والنحو وعلم المعقول[1] وأشعار العرب فإذا هو كامل الآداب . فقلت : هذا واللّه مما يقوّي عزمي على تقطيع الكتاب . قال : فكنت أختلف[2] إليه وأزوره . فجئته يوماً لزيارته فإذا الكتاب مُغْلق ، ولم أجده . فسألت عنه فقيل : مات له ميّت فحزن عليه وجلس في بيته للعزاء . فذهبت إلى بيته وطرقتُ الباب فخرجَتْ إليَّ جارية وقالت : ما تريد ؟ قلت : سيّدك . فدخَلَت وقالَتْ : باسم اللّه . فدخلتُ إليه وإذا به جالس فقلتُ : عظّم اللّه أجرك ، لقد كان لكم في رسول اللّه أسوةٌ حسنة ، وكلّ نفسٍ ذائقة الموت ، فعليك بالصبر ثم قلت له : هذا الذي توفي ولدك ؟

قال : لا .

قلت : فوالدكَ .

قال : لا .

قلت : فأخوكَ .

قال : لا .

قلت : فزوجكَ .

قال : لا .

فقلت : وما هو منك .

قال : حبيبتي .

فقلت في نفسي : (هذه أوّل المناحس) فقلت : سبحان اللّه ، النساء كثير وستجد غيرها .

فقال : أتظُنّ أنّي رأيتها ؟

قلت : (وهذه مَنْحَسَة ثانية) ثم قلت : وكيف عشقتَ ولم ترَ ؟

فقال : اعلم أنّي كنتُ جالساً في هذا المكان وأنا انظر من الطاق[3] ، إذ رأيتُ رجلاً عليه بُرْد[4] وهو يقول :

---

(1) علم المعقول : علم الفلسفة .

(2) أختلف إليه : أتردّد عليه لزيارته .

(3) الطاق : نافذة صغيرة .

(4) البرد : ثوب مخطّط .

يا أُمَّ عمروٍ جَزاكِ اللّه مَكْرُمَةً ... رُدّي عليَّ فُؤادي أينما كانا
لا تأْخذينَ فُؤادي تلعبينَ به ... فكيف يلعبُ بالإنسان إنسانا

فقلت في نفسي : لولا أَنَّ أَمّ عمروٍ هذه ما في الدنيا أَحسن منها ما قيل فيها هذا الشعر فعشقتها ، فلمّا كان منذ يومين مرَّ ذلك الرجل بعينه وهو يقول :

لقد ذهبَ الحمارُ بأُمِّ عمروٍ ... فلا رَجعتْ ولا رجعَ الحمارُ

فقلت : إنها ماتت ، فحزنتُ عليها وأغلقتُ المكتب وجلست في الدار . فقلت : يا هذا ، إنّي كنتُ قد ألّفتُ كتاباً في نوادركم معشر المعلمين ، وكنت حين صاحبتكَ عزمتُ على تقطيعه ، والآن قد قوّيت عزمي على إبقائه . وأوّل ما أبدأ بك إن شاء اللّه تعالى .

(الأبشيهي : المستطرف ، ٢/ ٢٤٢)

* * *

ادّعاء النبوّة

ادَّعى النبوّةَ رجلٌ أيام المتوكّل . فلمّا حضر بين يديه قال له : أنتَ نبيّ ؟ قال : نعم . قال : فما الدليل على صحّة نبوّتكَ ؟ قال : القرآن العربي يشهد بنبوّتي في قوله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾[1] . وأنا اسمي : نصرُ اللّه . قال : فما معجزتكَ ؟ قالَ : إيتوني بامرأةٍ عاقرٍ أنكحُها تحبلُ بولدٍ يتكلّم في الساعة ويؤمن بي . فقال المتوكّل[2] لوزيره الحسن بن عيسى : أعطِه زوجتكَ حتّى نبصر كرامته . فقال الوزير : أمّا أنا فأشهد أنّه نبيّ اللّه . . . وإنّما يعطي زوجته مَن لا يؤمن به ! فضحكَ المتوكّل وعفا عنه .

(العطيري : أدبنا الضاحك ، ص ٨٢)

* * *

(١) الفتح/ ١ .
(٢) المتوكّل : الخليفة العبّاسي ، جعفر بن محمد (المعتصم باللّه) بن هارون الرشيد .

الأصمعي وخليلُهُ

استقرضَ مِن الأصمعي خليلٌ له ، فقال : نعم وكرامة ، ولكن سكِّن قلبي بَرَهْنٍ يساوي ضعف ما تطلبه . فقال : يا أبا سعيد ، أما تثقُ بي ؟ قال : بلى ، وهذا خليل اللّه إبراهيم قد كان واثقاً بربّه ، وقال : ﴿ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾[1] .

(العاملي : المخلاة ، ص ٦)

* * *

الأعمى والسِّراج

قال بعضهم : خرجتُ ليلةً من قريةٍ لبعض شأني ، فإذا أنا بأعمى ، على عاتقهِ[2] جرّته ، وبيده سراجٌ ، فلم يزل يسير حتى انتهى إلى النهر ، وملأ جرّته وعاد . فقلت له : يا هذا ، أنت أعمى ، والليل والنهار عندك سَواء ، فما تصنعُ بالسِّراج ؟ قال : يا كثير الفضول ، حملتُه لأعمى القلبِ مثلك ، يستضيء به لئلّا يعثر في الظلمة ، فيقع عليّ ، وأقعُ ، وتنكسر جرّتي !

(النويري : نهاية الأرب ، ٤/ ٢٢)

* * *

قل إن شاء اللّه

قال بعضهم : خرج أبو جُوالق[3] يوماً فلقيه بعض أصدقائه فقال : إلى أين يا أبا جُوالق ؟ فقال : أشتري حماراً . فقال صديقه : قل إن شاء اللّه . فقال :

---

(١) البقرة/ ٢٦٠ .

(٢) عاتقه : كتفه .

(٣) أحد الحمقى المشهورين .

ما هذا موضعُ إن شاء اللّه ، الدراهم في كُمّي والحمار في السوق . ومضى إلى السوق ، فسُرِقت دراهِمُهُ . فعاد فرآه فقال له : اشتريتَ الحمار ؟ فقال له : سُرقت الدراهِمُ إن شاء اللّه !

(ابن الجوزي : أخبار الحمقى والمغفّلين ، ص ١٤٥)

* * *

الولد شبيه أبيه

كان لمحمد بن بشير[1] الشاعر ولدٌ جَسيمٌ ، فأرسلهُ في حاجةٍ فأبطأ عليه ، ثم عاد ولم يقضها ، فنظر إليه ، ثمّ قال :

عقلُهُ عقلُ طائرٍ وهو في خَلْقِهِ جَمَل

فأجابه :

مُشْبِهٌ بكَ يا أبي ليس لي عنكَ مُنْتَقَلُ

(الأبشيهي : المستطرف ، ٢/ ١٤)

* * *

بين الرجل وزوجته

تحدّثَ ابن الجوزي عن رجلٍ اسمه يزيد كان قبيح الصورة . فلمّا حَمَلتْ امرأته قالت له : الويلُ لكَ إن كان ولدي يُشبهكَ . فأجابها : بل الويل لكِ أنتِ إن جاء يُشبهُ أحداً غيري !

(......)

* * *

---

(١) محمد بن بشير : شاعرٌ فصيحٌ من شعراء الدولة الأموية ، وهو من أهل المدينة (الأصفهاني : الأغاني ، ١٦/ ٦١) .

وصيّة أبٍ لابنته عند زواجها

لمّا زوّج أسماءُ بن خارجة[1] ابنته دخل عليها ليلة بنائها فقال : يا بنيّة ، كُوني لزوجكِ أمَةً يكن لكِ عبداً ، ولا تقربي منه جدّاً فيملّكِ أو تملّيه ، ولا تَبَاعَدِي عنه فتُثْقِلي عليه ، وكُوني له كما قلتُ لأمّكِ :

خُذِي العفوَ منّي تَستديمي مَودّتي
ولا تَنْطِقي في سَوْرتي[2] حينَ أغضبُ
ولا تَنْقُريني نِقْرَةَ الدفِّ مرّةً
فإنّكِ لا تَدرينَ كيف المُغَيَّبُ
فإنّي رأيتُ الحُبَّ في القلبِ والأذى
إذا اجْتَمَعا لم يلبثِ الحبُّ يذهبُ

(ابن عبد البرّ : بهجة المجالس ، ٢/ ٥٦)

* * *

الرجل الجبان

قيل لرجلٍ جبانٍ في بعض الوقائع تقدّم ، فأنشأ يقول :

وقالوا : تَقَدّمْ . قلت : لستُ بفاعلٍ
أخافُ على فَخَّارتي[3] أنْ تَحطَّما
فلو كان لي رأسانِ أتلفتُ واحداً
ولكنّه رأسٌ إذا راحَ أعْقَما[4]

---

(١) هو أسماء بن خارجة بن حصن الفزاري . كان من سادات العرب وأشراف الكوفة ، وقد مات في أيام الحجّاج الثقفي (فرّوخ : تاريخ الأدب ، ١/ ٤٦٢) .
(٢) سورتي : غضبي .
(٣) فخّارتي : جمجمتي .
(٤) أي لا بديل عنه .

ولـو كـان مُبْتـاعـاً لـدَى السُّـوقِ مثلُهُ
فعلتُ ولم أَحْفِلْ[1] بـأن أتـقـدَّمـا
فـأُوتِـمْ أولاداً وأُرْمِـلْ نِـسْـوةً
فكيف على هـذا تَـرَوْنَ الـتـقـدُّمـا

(ابن عبد ربه : العقد ، ١/ ٤٣)

* * *

كِسْرى وأحد خواصّه

أحبَّ كِسْرى امرأة رجلٍ من خواصّه ، فكان يختلفُ إليها سِرًّا وتختلفُ إليه[2] ، فعلمَ الرجلُ بذلك فهجرَها وتركَ فراشها . فأخبرت الملك بذلك ، فقال له يوماً : بلغني أنّ لكَ عَيْناً عَذْبةً وأنّك لا تشربُ منها ، فقال الرجل : بلغني أيّها الملك أنّ الأسد يَرِدُها فخفتهُ ، فتركتها له !

(. . . . . .)

* * *

رزق الأحمق

قيل : أوحى اللّه تعالى إلى موسىٰ صلوات اللّه وسلامه عليه ، أتدري لِمَ رزقتُ الأحمق ؟ قال : لا ، يا ربّ . قال : ليعلم العاقلُ أنّ طلب الرزق ليس بالاحتيال . ولبعض العرب :

ولا تجـزعْ إذا أَعْسَـرْتَ يـومـاً فقـد أيْسَـرْتَ في الـزمنِ الـطويـلِ
ولا تَـظْـنُـنْ بـربّـكَ ظَنَّ سُـوءٍ فـإنّ الـلّه أَوْلَـى بـالـجـمـيـلِ

---

(١) أحفل : أهتمّ .
(٢) يختلف إليها وتختلف إليه : يأتي إليها وتأتي إليه .

وإنّ العُسْرَ يتبعُهُ يَسارٌ		وقولُ اللّهِ أصدقُ كلِّ قِيلِ
فلَو أنّ العقولَ تَسوقُ رِزْقاً		لكانَ المالُ عند ذوي العُقولِ

(الأبشيهي : المستطرف ، ١/ ٩٦)

* * *

انظر في المرآة

قيل : كان أطليموس الأخير (ملك الروم) يقول : ينبغي للعاقل أن ينظر في المرآة ، فإن رأى وجهه جميلاً فلا يَشِينُهُ بقبيحٍ ، وإن رآه قبيحاً فلا يجمع بين قبيحين . وقيل في ذلك :

يا حَسَنَ الوجهِ تَوَقَّ الْخَنا		لا تَخْلِطَنَّ الزَّيْنَ بالشَّيْنِ[1]
ويا قبيحَ الوجهِ كُنْ مُحْسِناً		لا تَجْمَعَنْ بينَ قَبيحَيْنِ

(الثعالبي : لطائف ، ص ٣٢)

* * *

يا شيخ ، ما صناعتك ؟

دخل يزيد بن منصور الحِمْيَري على المهدي وبشّار بن بُرْد بين يديه يُنشده قصيدةً امتدحه بها . فلمّا فرغ من شعره أقبل عليه يزيد ، وكانت فيه غفلة ، فقال : يا شيخ ، ما صناعتك ؟ فقال بشّار : أثقب اللؤلؤ .

فضحك المهدي ، ثمّ قال لبشّار : أغرب ويلك ، أَتَتَنادرُ على خالي[2] ؟

(١) الشَّيْن : العَيْب . الخنا : السُّوء ، الفحش في الكلام .
(٢) تتنادر : تهزأ .

فقال بشّار : ما أصنعُ به ؟ يرى شيخاً أعمى ينشد الخليفة شعراً ويسأله عن صناعته !

(العمري : من كلّ وادٍ حجر ، ص ١٦٨)

* * *

إصابة العين

كانت امرأة شهيرة بإصابة العين لا تنظر إلى شيءٍ باستحسان إلّا عانته[1] ، فدخلت على أشعب وهو في الموت ، فقال لها : إن استحسنتِ منّي شيئاً فصلّي على النبيّ . فقالت : أي شيءٍ أنتَ مما يُستحسن ؟ أنتَ في آخر رَمَق . قال : قد علمتُ ولكنّي قلتُ لئلاّ تكوني قد استحسنتِ خفّة الموت عليّ وسهولة النَّزْعِ ، فيشتدّ ما أنا فيه . فخرجت المرأة من عنده وهي تسبّه . وضحك مَن حولُه من كلامه ، ومات .

(العمري : من كلّ وادٍ حجر ، ص ١٩٨)

* * *

الخادم المطيع

روى أبو العَيْناء قصة عن صاحبه عيسى المُرابي قال :

كان لهذا الرجل خادمٌ شأنه عجيب ، فهو من أكسل خَلْق اللّه . فوجهه يوماً ليشتري له عنباً وتيناً فأبطأ زيادة على العادة . ثمّ عاد يحمل عنباً فقط ، فقال له : لقد أبطأتَ حتى بلغت الروح الحلقوم ، ثم جئتَ بإحدى الحاجتين ! ثمّ أوجعه ضرباً وقال له : إيّاك إذا أمرتك بحاجتين أن تجيء بحاجة وإنّما ينبغي لك إذا استقضيتكَ بحاجةٍ أن تقضي حاجتين .

---

(١) عانته : أصابته بالعين .

ثمّ لم يلبث إلّا قليلاً حتى دهمته علّة . فقال لغلامه : امضِ فجئني بالطبيب وعجّل . . . فمضى الغلام وجاء بطبيب ومعه رجل آخر ، فقال له سيّده : هذا الرجل أعرفه ، فمن ذلك الرجل الآخر ؟ فقال الغلام : إنك ضربتني بالأمس وأمرتني أن أقضي لك حاجتين إذا طلبت حاجة واحدة . وها أنذا قد أطعتك فجئتك بالطبيب وبحفّار القبور !

(التكريتي : طرائف الأطبّاء ، ص ١٨٠)

* * *

أول شعر قاله الأخطل

روى رجل تغلبي قال :

لحظ الأخطل(١) شَكْوَةً(٢) لأُمّه فيها لبنٌ ، وجراباً فيه تمرٌ وزبيب ، وكان جائعاً ، وكان يُضَيَّق عليه ، فقال لها : يا أُمَّه ، آل فلان يزورونكِ ويقضون حقّكِ وأنتِ لا تأتينهم وعندهم عليلٌ(٣) ، فلو أتيتِهم لكان أجملَ وَأَوْلَى بك . قالت : جُزِيتَ خيراً يا بنيّ ! لقد نبَّهتَ إلى مَكْرُمةٍ . وقامت فلبست ثيابها ومضت إليهم . فمضى الأخطل إلى الشّكوةِ ففرّغ ما فيها وإلى الجراب فأكل التمر والزبيب كلّه . وجاءت فلحَظت موضعَهَا فرأتهُ فارغاً ، فعلمت أنّه قد دهاها ، وعمدت إلى خشبةٍ لتضربه بها ، فهرب وقال :

أَلَمَّ على عِنَباتِ العجوزِ ... وشَكْوَتِها مِن غياثٍ لَمَمْ(٤)
فظلّت تنادي أَلا وَيْلَها ... وتلعنُ واللعنُ منها أَمَمْ(٥)

(١) الأخطل : هو الشاعر الأموي غياث بن غوث التغلبي .
(٢) شكوة : وعاء من جلد للماء واللبن .
(٣) عليل : مريض .
(٤) ألمّ : باشر . اللمم : صغار الذنوب .
(٥) أمم : يسير .

وذكر يعقوب بن السكّيت هذه القصة ، وقال في خبره : وهذا أول شعر قاله الأخطل .

(الأصفهاني : الأغاني ، ٨/ ٣٠١)

* * *

جحا وحماره

ذهب جحا إلى السوق ، واشترى حماراً وربطه بحبلٍ ومشى وسحبه وراءَه ، فتبعه لصّان وحلَّ واحدٌ منهما الحبل ووضعه حول عنق نفسه ، وهرب الآخر بالحمار ، وجحا لا يدري . ثمّ التفت خلفه فوجد إنساناً مربوطاً في الحبل فتعجّب وقال له : أين الحمار ؟ فقال : أنا هو ، قال : وكيف هذا ؟ قال : كنتُ عاقّاً لوالدتي فدعتِ اللّه أن يمسخني حماراً . فلمّا أصبحَ الصباح قمتُ من نومي فوجدتُ نفسي ممسوخاً حماراً ، فذهَبَتْ إلى السوق وباعتني للرجل الذي اشتريتني منه . والآن أحمد اللّه لأنّ أُمّي رضيَتْ عني فعدتُ آدَمِيًّا . فقال جحا : لا حول ولا قوّةَ إلّا باللّه ، وكيف كنت استخدمكَ وأنت آدمي ، اذهب إلى حال سبيلك ، وحلَّ الحبل من حول عنقه وهو يقول له : إيّاك أن تُغضب أُمّك مرّة أخرى ، واللّه يعوّضني خيراً . وفي الأسبوع الثاني ذهب جحا إلى السوق ليشتري حماراً فوجد حماره الذي اشتراه من قبل ، فتقدّم إليه وجعل فمه في أذنه وقال له : يا مشؤوم عدتَ إلى عُقوق أمّك ، ألم أقل لك لا تُغضبها ؟ إنك تستحقّ ما حلَّ بك !

(فرّاج : أخبار جحا ، ص ٦٤)

* * *

الساعاتي يعزّي بفرس

يقول محمود صفوت الساعاتي[1] أبياتاً من التهكّم والدعابة يعزّي بها زين العابد المكّي في فرس فقدها ، وهو في طريقه إلى مدينة جدّة :

قَضَتْ وهي تدعو خالقَ الحَبِّ والنَّوى
بقلبٍ كئيبٍ دَقَّهُ الحُبُّ والنَّوى[2]
فكيف نُعزِّي الشيخَ في الفَرس التي
به طَوَت الأسفارَ صبراً على الطَّوى[3]
وكانت به تجري مَعَ الريح خِفَّةً
وأَسبَقها جَرْياً فعاشَتْ على الهَوى
وكانت لتقواها تزولُ مِن الهَوى
فتمشي حَياءً وهي تعثرُ في النَّوى
وإن حُمِّلَتْ ما لا تُطيقُ لضعفها
تَعَوَّجَ منها الظهرُ والذَّنَبُ اسْتَوى
هَوتْ فوقَ تلٍّ عُمِّرتْ وَهْيَ تحتهُ
فكيفَ هَوَتْ والتلُّ مِن تحتها هَوى
قَضَتْ وهي ما ذاقَتْ شَعيراً لِزَهْوِهَا
فما شَعَرَتْ إلَّا وعُرْقُوبها التَوَى[4]
ألا أَيُّها الخِلّ الذي طالَ حزنهُ
عليها وفي أَحشائِهِ التهبَ الجَوَى[5]

---

(١) محمود صفوت الساعاتي (١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م - ١٢٩٨هـ/١٨٨١م).
هو محمود صفوت بن مصطفى آغا ، الشهير بالساعاتي . شاعر مصري ، ولد ونشأ بالقاهرة (الزركلي : أعلام ، ٧/ ١٧٤) .

(٢) النوى : البزور . دقّه : أضعفه . النوى : البعد .

(٣) الطوى : الجوع .

(٤) الزهو : الفخر ، التيه . العرقوب : عصب غليظ فوق مؤخّر القدم .

(٥) الخلّ : الصديق . الجوى : الحزن .

فعش أنتَ وآسْلم والحميرُ كثيرةٌ
ومثلُكَ مَعدومُ النظيرِ[1] لِمَا حَوى

(العطيري : أدبنا الضاحك ، ص ١٤٨)

* * *

الشاعَر المغترب

حكى الصُّولي عمّن أخبره قال : خرجنا للحج فَعَرَّجْنا عن الطريق للصلاة . فجاءَنا غلام وقال : هل أَحدٌ منكم من البصرة ؟ فقلنا : كلّنا منها . فقال : إنَّ مولاي مريض ـ وهو منها ـ يدعوكم . قال : فقمنا إليه فإذا هو نازلٌ على عين ماء . فلمّا أَحسّ بنا رفع رأسه ، وهو لا يكاد يرفعه ضعفاً وأَنشأ يقول :

يا بعيدَ الدارِ عَن وَطَنِهْ ... مُفْرَداً يبكي على شَجَنِهْ[2]
كلّما جَدَّ الرحيلُ بِهِ ... زادتِ الأَسقامُ[3] في بَدَنِهْ

ثم أُغمي عليه طويلاً ، فجاء طائر ، فوقع على شجرةٍ كان مستظلاًّ بها وجعل يغرّد ، ففتح عينيه وجعل يسمع التغريد ، ثم أنشد :

فلقد زادَ الفؤادَ شَجىً ... طائِرٌ يبكي على فَنَنِهْ[4]
شَفَّني ما شَفَّهُ فبكى ... كلُّنا يبكي على سَكَنِهْ[5]

ثم تنفّس الصُّعَدَاء[6] ففاضت نفسه[7] ، قال : فغسلناه وكفّناهُ ، ودفنّاه ،

(١) النظير : المثيل .
(٢) الشجن : الهمّ ، الحزن .
(٣) الأسقام : الأمراض .
(٤) الفنن : الغصن .
(٥) شفّ : أنحلَ ، أضعف .
(٦) الصعداء : التنفّس الطويل من همّ أو تعب .
(٧) فاضت نفسه : مات .

وسألنا الغلام عنه ، فقال : هذا العباس بن الأحنف[1] .

(الخطيب : متعة الأديب ، ص ١٤٠)

* * *

حضور البديهة

يوصف بعض الموالي بالذكاء وحضور البديهة في المواقف التي تتطلّب ذلك . فقد روى سعيد بن يحيىٰ الأموي عن أبيه قال : كان فِتْيان مِن قريش يَرْمونَ فرمى واحد منهم ، مِنْ ولد أبي بكر وطلحة[2] ، فقرطس[3] ، فقال :

أنا ابن عظيم القريتين[4] .

فرمى آخر من ولد عثمان فقرطس ، فقال :

أنا ابن الشهيد[5] .

ورمى رجل من الموالي فقرطس ، فقال :

أنا ابن من سجدت له الملائكة .

فقالوا له : من هو ؟

فقال : آدم .

(ابن الجوزي : أخبار الأذكياء ، ص ١٥٠)

* * *

---

(١) العبّاس بن الأحنف (. . . - ١٩٢هـ/ ٨٠٨م) .
العباس بن الأحنف بن الأسود الحنفي اليمامي . شاعر غزل رقيق (الزركلي : أعلام ، ٤/ ٣٤) .

(٢) هو طلحة بن الزبير ، الصحابي المشهور .

(٣) قرطس : أصاب الهدف .

(٤) القريتين : مكّة والمدينة .

(٥) الشهيد : عثمان (رض) .

السائل والدجاجة المشويّة

حُكي أنّ رجلاً جلس يوماً يأكل هو وزوجته وبين أيديهما دجاجةٌ مشويّة . فوقف سائل ببابه ، فخرج وانتهره فذهب . فاتفق بعد ذلك أنَّ الرجل افتقر وزالت نعمته وطلّق زوجته ، وتزوّجت بعده برجلٍ آخر . فجلس يأكل معها في بعض الأيام وبين أيديهما دجاجةٌ مشويّةٌ ، وإذا بسائل يطرقُ الباب ، فقال الرجل لزوجته : ادفعي إليه هذه الدجاجة ، فخرجت فإذا هو زوجها الأول ، فدفعت إليه الدجاجة ورجعت وهي باكية ، فسألها زوجها عن بكائها ، فأخبرته أنّ السائل كان زوجها ، وذكرت له قصتها مع ذلك السائل الذي انتهره زوجها الأول ، فقال لها زوجها : أنا واللّهِ ذلك السائل .

(الأبشيهي : المستطرف ، ١/ ١٤)

* * *

جوامع الطبّ

قال الحجّاج الثقفي لطبيبه : أخبرنا بجوامع الطبّ . فقال : لا تنكح إلّا فتاةً ولا تأكل من اللحم إلّا فتيًّا ، وإذا تغديتَ فَنَمْ ، وإذا تعشيتَ فامْشِ ولو على الشوك ، ولا تُدْخل بطنكَ طعاماً حتى تَسْتَمْرِي[1] ما فيه ، ولا تـأْوِ إلى فراشك حتى تدخل الخَلاء ، وكل الفاكهة في إقبالها وذرها في إدبارها[2] .

(الأبشيهي : المستطرف ، ٢/ ٢٧٧)

* * *

يموتُ غيظاً وأنا أموت فرحاً

كان في بغداد في زمنٍ سَلف رجلان يتحاسدان ويتنافسان على الجاه والسلطان وكان أحدهما في أحدِ المناصب وأمّا الثـاني فكان خـارجها . وكـان وليّ الأمر يبغض الاثنين ويتمنّى زوالهما . فحضر الثاني يوماً لدى الوالي فقال : إنّني

(١) تستمري ، تستخرج .
(٢) إدبارها : انقضائها .

أيّها الأمير أعلم بأنّك تبغضني ، كما أنّك تبغض منافسي فلان ، فإن أردتَ دللتكَ على حيلةٍ تنقذك من الاثنين . فقال الوالي : وما هي ؟ قال : تعزله وتنصّبني مكانه ، فهو يموتُ غيظاً وأنا أموتُ فرحاً !

(العمري : من كلّ وادٍ حجر ، ص ٨٨)

* * *

حُكْم سليمان الحكيم

اختصمت امرأتان في طفلٍ وليدٍ ، وذهبتا إلى سليمان الحكيم ، فقال لهما : ما دامت كلّ منكم تدّعيه لنفسها فإنّي سآمر بشَطْرِهِ شطرَيْن ، فتأخذ كلّ منكما نصفه ، وأمر بالسيف . فصاحت إحداهما فزعاً : كلّا ، دعْه حيًّا ولتأخذه هي ، وسكتت الأخرى . فقال سليمان : لا بل تأخذيه أنتِ لجزعك[1] عليه وسكوتها .

(العمري ، من كلّ وادٍ حجر ، ص ١٦٦)

* * *

وفاء الحَمام

زعموا أنّ حمامتين ـ ذكراً وأنثى ـ ملأا عشّهما من الحنطة والشعير . فقال الذكرُ للأنثى : إنّا إذا وجدنا في الصحاري ما نعيشُ به فلسنا نأكل مما هٰهنا شيئاً . فإذا جاء الشتاءُ ولم يكن في الصحراء شيءٌ رجعنا إلى ما في عشّنا فأكلناه . فرَضيتْ الأنثى بذلك وقالت : نِعْمَ ما رأيتَ ! . وكان ذلك الحَبّ نديّاً حين وضعاه ، فامتلأ عشّهما منه . وانطلق الذّكر في بعض أسفاره . فلمّا جاء الصيف يبس ذلك الحَبُّ ونقص عمّا كان في العين . فلمّا رجع الذكر فرأى الحبّ ناقصاً قال للأنثى : أليس كنّا قد اجتمعنا على ألّا نأكل من عشّنا شيئاً ؟ فلِمَ أكلتِ ؟ فجعلت الأنثى تحلف أنّها ما أكلت منه شيئاً . فلم يصدّقها وجعل ينقرها ويضربها حتى قتلها . فلمّا جاء الشتاء والأمطار نَدِيَ الحبّ ، وعاد إلى ما كان عليه ، وامتلأ

(١) الجزع : الخوف الشديد .

العشّ كما كان . فلمّا رأى ذلك الذكرُ تندّم . ثم اضطجع إلى جانبها وناداها : كيف ينفعني العيشُ إذا طلبتكِ فلم أقدر عليكِ ؟ وإذا فكّرتُ في أمرك وعلمتُ أنّي قد ظلمتكِ ولا أقدرُ على تدارُك ما فاتَ . ثمّ استمرّ على حزنه ، فلم يَطْعَم طعاماً ولا شراباً حتى مات إلى جانبها .

فمن كان عاقلاً علم أنّه لا ينبغي أن يعجّل بالعذاب والعقوبة ، ولا سيّما بعذاب مَن يخافُ أن يندم عليه كما ندمَ الحمامُ الذكرُ .

(ابن المقفّع : كليلة ودمنة ، ص ٢٤٦)

* * *

أبو العيناء وابن آدم

وقف رجلٌ من العامّة بجوار أبي العيناء ـ وكان أعمى ـ فلمّا أحسّ به قال : مَن هذا ؟ قال : رجلٌ من بني آدم . فقال أبو العيناء : مرحباً بكَ ، أطال اللّه بقاءَك ، ما كنت أظنّ أن هذا النسل إلّا قد انقرض !

(الحوفي : الفكاهة ، ٢/ ٢٢)

* * *

جَوِّعْ كلبكَ يَتْبَعْك

قالوا : أوّل من قاله ملك من ملوك حمير ، كان عنيفاً على أهل مملكته يغصبهم أموالهم ويسلبهم ما في أيديهم ، وكانت الكهنة تخبره أنهم سيقتلونه ، ولا يحفل[1] بذلك . وإن امرأة له سمعت أصوات السؤّال[2] فقالت : إنّي لأرحمُ هؤلاء لما يلقون من الجهد ونحن في العيش الرغد ، وإنّي لأخافُ أن يكونوا عليك سِباعاً ، وقد كانوا لنا أتباعاً . فردّ عليها « جَوِّع كلبكَ يتبعْكَ » فأرسلها مثلاً ، فلبث كذلك زماناً ثم أغزاهم مع أخيه فغنموا ولم يقسم فيهم شيئاً ، فقالوا لأخيه : قد ترى ما نحن فيه من الجهد ، ونحن نكره خروج المُلْك عنكم إلى غيركم ، فساعدنا على قتل أخيك واجلس

(١) يحفل : يهتمّ .　　(٢) السؤّال : السائلين .

مكانه ، وعرف أخوه بَغْيَهُ[1] واعتداءَه ، فأجابهم إلى ذلك ، فوثبوا عليه وقتلوه . فمرّ به عامر بن جُذيمة وهو مقتول ، وقد سمع قوله « جوِّع كلبك يتبعْك » فقال : « ربّما أكلَ الكلبُ مُجَوِّعَهُ إن لم يَنَلْ شِبَعَه » .

وقال المنصور أبو جعفر لقواده : صدقَ الأعرابي حيثُ يقول : « أَجِعْ كلبكَ يتبعْكَ » . فقال أبو العباس الطُّوسي منهم : يا أمير المؤمنين أخشى أن يلوّح له رجلٌ برغيفٍ فيتبعه ويَدَعُكَ .

(البكري :فصل المقال، ص ٤٢٠)

***

خمسة لم يُخلق واحدٌ منهم في رَحِم !

ذُكر أنّ ملك الروم بعث إلى معاوية يسأله عن هذه المسائل :

يسألهُ عن رجل سارَ به قبره ، وعن رجل لا قِبْلة له ، وعن خمسة أكلوا في الدنيا وحَيوا لم يُخلق واحدٌ منهم في رَحِم ، وعن شيءٍ ، ونصف شيء ، ولا شيء . وبعث بوفدٍ يسمعون الجواب عنها . فاستنظرهم معاوية وبعث إلى ابن عبّاس يسأله عنها . فقال ابن عبّاس : أمّا من سار بـه قبره فيونس حين التقمه الحوتُ ، وأمّا مَن لا قِبْلة له فمَن صعد فوق الكَعْبة فلا قِبْلة لـه حتّى ينزل ، وأمّا الخمسة الأنفس الذين أكلوا في الدنيا وعاشوا لم يُخلق واحد منهم في رَحِم فآدم وحوّاء وكبش إبراهيم أخرجه اللّه عزّ وجلّ من الجنّة ، وناقة ثمود أخرجها اللّه من صخرة صمّاء ، وعصا موسى ألقاها من يده فانقلبت حيّة تسعى والتقمت ما ألقى السَّحَرة . وأمّا الشيء فالرجل العاقل العالم ترد عليه الأمور فيديرها بعقله ويمضيها بعلمه ، وأمّا نصف الشيء فالرجل المُمضي لما علمَ المتثبّت فيما جهل ، ترِد عليه أمور يعجز عنها علمه ويقصر فهمه فيلجأ إلى ذوي العقول فيستشيرهم فلا تنتشر قواه ولا يتبع هواه . وأمّا لا شيء فالرجل الذي لا علم له ولا عقل ، ترِد عليه الأمور فيتبع فيها هواه ، فيحلّ به رَداه[2] فلا تلقاه إلّا حائراً ولا تجده إلّا بائراً[3] .

(البكري : فصل المقال، ص ٣٣٠)

---

(١) البغي : الظلم .
(٢) الردى : الهلاك .
(٣) يقال : حائر بائر، أي لا يطيع مرشداً ولا يتّجه لشيء .

المصادر والمراجع

ابن أبي أصيبعة : أبو العبّاس أحمد .

ـ عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء ط . دار مكتبة الحياة ـ بيروت ١٩٦٥م .

ابن أبي الحديد : عزّ الدين عبد الحميد المدائني .

ـ شرح نهج البلاغة ط . البابي الحلبي ـ القاهرة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م .

ابن أبي دنيا : أبو بكر عبد الله .

ـ ذمّ الملاهي ط . لندن ١٩٣٨م .

ابن أبي طاهر : أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور .

ـ بلاغات النساء ط . النجف ١٣٦١هـ .

ابن برد : بشّار :

ـ ديوان ط . القاهرة ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م .

ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي .

ـ أخبار الأذكياء ط . المكتب التجاري ـ بيروت ١٩٧٠م .

ـ أخبار الحمقى والمغفّلين ط . المكتب التجاري ـ بيروت (بلا تاريخ) وط . النجف ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م .

ـ أخبار الظرّاف والمتماجنين ط . القدسي ـ دمشق ١٣٤٧هـ .

ـ سيرة عمر بن الخطّاب ط . مصر ١٩٣١م .

ابن حبيب : الحسن بن محمّد النيسابوري .

ـ عقلاء المجانين ط . دمشق ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م وط . النجف ١٩٦٨م .

ابن حجّة الحموي : تقي الدين بن أبي بكر .

ـ ثمرات الأوراق في المحاضرات ـ على هامش كتاب المستطرف ـ ط . المكتبة التجارية ـ مصر ١٩٣٥م .

ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد بن سويد .
- طوق الحمامة في الألفة والآلاف ط. القاهرة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م .

ابن خلّكان : شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد .
وفيّات الأعيان ط. دار الثقافة - بيروت ١٩٧١م .

ابن رشيق : أبو علي الحسن بن علي .
- كتاب العمدة ط. القاهرة ١٩٥٥م .

ابن سديرة : ابن القاسم .
- التحفة السنيّة في النوادر العربية ط. باريس ١٩٤٢م .

ابن شاكر : محمد ابن شاكر الكتبي .
- فوات الوفيّات ط. السعادة - مصر ١٩٥١م .

ابن عبد ربّه : أحمد بن محمد الأندلسي .
- العقد الفريد ط. القاهرة ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م .

ابن العديم : كمال الدين عمر بن احمد بن هبة الله .
- كتاب الدراري في ذكر الذراري ط. الجوائب - قسطنطينية ١٢٩٨هـ .

ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم .
- كتاب عيون الأخبار ط. القاهرة ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م .

ابن قيّم الجوزية : شمس الدين محمد بن أبي بكر أيوب بن سعد .
- كتاب أخبار النساء ط. مصر ١٣١٩هـ .
- روضة المحبّين ونزهة المشتاقين ط. السعادة - مصر ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م .

ابن المقفّع : عبد الله .
- كليلة ودمنة ط. دار الشروق - بيروت ١٩٨١م/ ١٤٠١هـ .

ابن هشام : عبد الملك بن هشام المعافري .
- السيرة النبوية ط . دار الجيل - بيروت ١٩٧٥م .

أبو نواس : الحسن بن هانيء .
- ديوان ط . بيروت ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م .

الأبشيهي : أحمد .
ـ المستطرف من كلّ فنّ مستظرف ط. المطبعة التجارية ـ مصر ١٩٣٥م .
الأزدي : علي بن ظافر .
ـ بدائع البدائه ط. القاهرة ١٩٧٠م .
الاسكندري : الشيخ أحمد .
ـ نزهة القارىء ط. مطبعة المعارف ـ مصر ١٩٤٢م .
الأصبهاني : محمد الراغب .
ـ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ط. بيروت ١٩٦١م .
الأصفهاني : أبو الفرج علي بن الحسين .
ـ الأغاني ط. دار الكتب المصرية ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م وط. دار الثقافة ـ بيروت ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م .
الأفغاني : سعيد .
ـ من تاريخ النحو ط. دار الفكر ـ بيروت (بلا تاريخ) .
الأنباري : محمد بن قاسم .
ـ كتاب الأضداد ط. الكويت ١٩٦٠م .
الأنصاري : عبد الرحمن بن محمد .
ـ كتاب مشارق أنوار القلوب ط. بيروت ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م .
الأنطاكي : الشيخ داود .
ـ تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشّاق ط. القاهرة ١٣٠٢هـ .
البرقوقي : عبد الرحمن .
ـ دولة النساء ط. مصر ١٩٤٥م .
البغدادي : الخطيب .
ـ البخلاء ط. بغداد ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م .
البكري : أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد .
ـ فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ط. الخرطوم ١٩٥٨م .
البهاء : زهير .
ـ ديوان ط. دار المعارف ـ مصر (بلا تاريخ) .

البيهقي : الشيخ إبراهيم بن محمد .
- المحاسن والمساوىء ط. بيروت ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م .
بيهم : محمد جميل .
- المرأة في حضارة العرب ط. دار النشر للجامعيين - بيروت ١٩٦٢م .
التكريتي : الحكيم راجي .
- طرائف الأطبّاء ط. دار الأندلس - بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .
التنوخي : أبو يعلى عبد الباقي بن عبد الله .
- كتاب القوافي ط. دار الإرشاد - بيروت ١٩٧٠م .
التنوخي : أبو علي المحسن بن علي .
- المستجاد من فعلات الأجواد ط. دمشق ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م .
التوحيدي : أبو حيّان علي بن محمد .
- كتاب الإمتاع والمؤانسة ط. المكتبة العصرية - بيروت ١٩٥٣م .
الثعالبي : أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل .
- لطائف اللطف ط. دار المسيرة - بيروت ١٩٨٠م .
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ط. القاهرة ١٩٤٧م/ ١٣٦٦هـ .
- كتاب خاص الخاص ط. بيروت ١٩٦٦م .
- اللطائف والظرائف في الأضداد ط. القاهرة ١٣٠٠هـ .
ثعلب : أبو العباس أحمد بن يحيى .
- مجالس ثعلب ط. دار المعارف - مصر ١٩٤٨م .
الجاحظ : عمرو بن بحر .
- البيان والتبيين ط. مصر ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م .
- المحاسن والأضداد ط. مصر ١٣٣٠هـ .
- كتاب الحيوان ط. دار الكتاب العربي - بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م .
- كتاب البخلاء ط. دار المعارف - مصر ١٩٥٨م .
- البرصان والعرجان والعميان والحولان ط. بيروت ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م .
الحوفي : أحمد محمد .
- الفكاهة في الأدب العربي ط. مصر ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م .

الخطيب : صالح .
- متعة الأديب ط. القدس ١٩٤٥م .
الخليلي : محمد .
- معجم أدباء الأطباء ط . النجف ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م .
الخوارزمي : قاسم بن الحسين بن محمد .
- بدائع الملح (مخطوط في مكتبة الجامعة الأميركية - بيروت) .
الدّباغ : سالم .
- أدب المعدمين في كتب الأقدمين ط. بغداد ١٩٧١م .
الزركلي ، خير الدين .
- الأعلام ط . بيروت ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م وط . دار العلم للملايين - ١٩٨٠م .
الزمخشري : أبو القاسم محمود بن عمر .
ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ط. العاني - بغداد ١٩٧٦م .
زيدان : إبراهيم .
- نوادر العشّاق ط. الهلال - القاهرة ١٩٠٠م .
السراج : الشيخ أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين .
- مصارع العشّاق ط. المكتبة الأنجلو- مصرية ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م .
السمعاني : عبد الكريم بن محمد بن منصور التيمي .
- أدب الإملاء والاستملاء ط . دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .
السندوبي : حسن .
- أدب الجاحظ ط. القاهرة ١٩٣١م .
السيوطي : جلال الدين .
- الشهاب الثاقب في ذمّ الخليل والصاحب ط. دمشق ١٣٦٨هـ .
- نزهة الجلساء في أشعار النساء ط. دار المكشوف - بيروت ١٩٥٨م .
الشابستي : أبو الحسن علي بن محمد .
- الديارات ط. بغداد ١٩٥١م .

الصفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك .

- كتاب الوافي بالوفيات ط. دمشق ١٩٥٣م .

- كتاب نصرة الثائر على المثل السائر ط. دمشق ١٣٩١ . ١٩٧٢هـ/١٩٧١م .

- نكت الهميان في نكت العميان ط. القاهرة ١٩١١م .

- دمعة الشاكي (مخطوط في مكتبة الجامعة الأميركية - بيروت) .

الصُّقاعي : فضل الله بن أبي الفخر .

- تالي كتاب وفيات الأعيان ط. دمشق ١٩٧٤م .

الصقلي : محمد بن ظفر .

- كتاب أنباء نجباء الأبناء ط. مصر (الطبعة الأولى) بلا تاريخ .

العاملي : بهاء الدين محمد بن حسين .

- كتاب المخلاة ط. البابي الحلبي - مصر (بلا تاريخ) .

- كتاب الكشكول ط. القاهرة ١٣٢٩هـ .

العابدي : محمود سليمان .

- أنيس الجليس ط. عمان، جمعية عمّال المطابع التعاونية ١٩٧٢م .

العباسي : عبد الوحيد بن عبد الرحمن .

- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ط. القاهرة ١٩٤٧م .

العسكري : أبو هلال الحسن بن عبد الله .

- المصون في الأدب - تحقيق عبد السلام هارون - ط. الكويت ١٩٦٠م .

العسقلاني : ابن حجر شهاب الدين أبو الفضل .

- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ط. الكويت ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م .

العسكري : أبو هلال الحسن بن عبد الله .

- الصناعتين : الكتابة والشعر ط. البابي الحلبي - القاهرة ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م .

العطيري : عبد الغني .
ـ أدبنا الضاحك ط . دار النهار ـ بيروت ١٩٧٠م .
العلوي : هادي .
ـ المستطرف الجديد ط . دار الطليعة ـ بيروت ١٩٨٠م .
العمـري : خير الدين .
ـ من كلّ واد حجر ط . الموصل ـ العراق ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م .
الغزّي : بدر الدين أبو البركات محمد .
ـ المراح في المزاح ط . دمشق ١٣٤٩هـ .
فراج : عبد الستّار .
ـ أخبار جحا ط . مصر (بلا تاريخ) .
فروخ : عمر .
ـ تاريخ الأدب العربي ط . دار العلم للملايين ـ بيروت .
القالي : أبو علي إسماعيل بن القاسم .
ـ كتاب الأمالي ط . مركز الموسوعات العالمية ـ بيروت (بلا تاريخ) .
ـ كتاب ذيل الأمالي ط . مركز الموسوعات العالمية ـ بيروت (بلا تاريخ) .
القرطبي : يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البرّ .
ـ بهجة المجالس وأنس المجالس ط . القاهرة (بلا تاريخ) .
القيرواني : أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري .
ـ جمع الجواهر في الملح والنوادر ط . الخانجي ـ مصر ١٣٥٣هـ .
القيسي : أبو النصر الفتح بن خاقان .
ـ كتاب مطمح الأنفس ومسرح التأنس ط . الجوائب ـ قسطنطينية ١٣٠٣هـ .
كحالة : عمر رضا .
ـ أعلام النساء ط . مؤسسة الرسالة ـ دمشق ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م .
المبرّد : أبو العباس محمد بن يزيد .
ـ الكامل في اللغة والأدب ط . البابي الحلبي ـ مصر ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م .

المرتضى : الشريف أبو القاسم علي بن الطاهر .
ـ كتاب الأمالي ط. السعادة ـ مصر ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م .
الميداني : أبو الفضل أحمد بن محمد .
ـ مجمع الأمثال ط. المطبعة الخيرية ١٣١٠هـ .
المنجّد : صلاح الدين .
ـ الظرفاء والشحّادون في بغداد وباريس ط. دار الكتاب الجديد ـ بيروت ١٩٦٩م .
مجهول: التحفة البهيّة والطرفة الشهيّة ط. الجوائب ـ قسطنطينية ١٣٠٢هـ .
النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهّاب .
ـ نهاية الأرب في فنون الأدب ط. المؤسسة المصرية العامة ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م .
النيسابوري : أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين .
ـ كتاب آداب الصحبة وحسن العشرة ط. القدس ١٩٥٤م .
الوشّاء : أبو الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى .
ـ الموشّى / الظرف والظرفاء ط. بيروت ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م .
اليافعي : أبو محمد عبد الله بن أسعد .
ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان ط. حيدر أباد ١٣٣٨هـ .
يموت : بشير .
ـ شاعرات العرب ط. بيروت ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م .